وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ



تقديم
الشيخ أبو بكر جابر الجزائري
الشيخ أحمد علاء عبس
الشيخ عوض محمد القرني

تأليف
خميس بن السعيد محمد

بيت الأفكار الدولية



212
محمد، خميس السعيد
والذين هم لفروجهم حافظون / خميس السعيد محمد. - عمان: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٥.
(٣٤٥) صفحة
ر.إ: (٢٣٥/ ٢/ ٢٠٠٥).
الواصفات: /الآداب الإسلامية/ /الإسلام/ /المواعظ الاسلامية/ /المسلمون/

ISBN 995721210-9

بيت الأفكار الدولية

الأردن

P.O.Box 927435 Amman 11190 Jordan
Tel +962 6 566 0201 Fax +962 6 566 0209

السعودية

P.O.Box 220706 Riyadh 11311 K.S.A
Tel +966 1 404 2555 Fax +966 1 403 4238

WWW

www.afkar.ws
e-mail: ideashome@afkar.ws

المؤتمن للتوزيع

السعودية

P.O.Box 69786 Riyadh 11557 K.S.A

الرياض
+966 1 243 5423 Fax +966 1 243 5421
مكة المكرمة 02 5742532
جدة 02 6873547
المدينة المنورة 04 8344355
الدمام 03 8264282
القصيم 06 3260350
أبها 07 2296615

الإمارات
P.O.Box 32920 Sharja - U.A.E
Tel +971 6 743 6936 Fax +971 6 743 6937

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ فضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري

بعد حمد الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أقول: لقد ناولني الأستاذ الفاضل خميس السعيد محمد عبدالله، ناولَني بالمسجد النبوي الشريف كتابه الجديد الحديث والمعنوَن له بـ (والذين هم لفروجهم حافظون)، فتصفّحته فوجدتُه قد حوى خمسة أبواب: في الباب الأول فصل واحد[1]، وفي الباب الثاني فصلان، وفي الباب الثالث سبعة فصول، وفي الباب الرابع تسعة فصول، وفي الباب الخامس والأخير اثنا عشر فصلاً. ووجدتُ مَراجعهُ في التفسير سبعة تفاسير من مشاهيرها وأصحّها، كما وجدتُ في الحديث اثنين وثلاثين مرجعًا، وفي الفقه ثلاثة عشر مصدرًا، وفي الفكر سبعة عشر مرجعًا، وفي المتفرّقات من هنا وهناك ستة مصادر. وعليه فمجموع هذا الكتاب - أي مجموع مصادرِه التي تألّفَ منها- مائة وأربعة مصادر قطعًا وبدون شك.

والأمراض التي يعالجها طبُّ هذا الكتاب النافع - بإذن الله تعالى- أجملها فيما يلي:

١- الأمراض العارضة: وهي السُّفور واختلاط الرجال الأجانب بالنساء الأجنبيات في مجالات عديدة، وسماع الأغاني وهي أصوات العواهر والمخنثين من الرجال، ومعارض شاشات التلفاز والصحون الهوائية المختلفة.

٢- الأمراض الفتّاكة: وهي الزنا واللواط، ومقدماتهما، والأسباب الداعية إلى فعلهما.

٣- الأمراض العصرية: كاصطلاحات: الحرية والديمقراطية، والماركسية واليهوديّة والشيوعية..

---

(١) فصلان

وأخيرًا فهذه الأمراض كلها وضع لها المؤلف -أيده الله- أدوية علاجها، من الدعاء والذكر، إلى الصلاة والصيام، إلى العمل بالكتاب والسنّة والاقتداء بصالح الأمة، فما ترك مرضًا خطيرًا إلى وضع له دواءه الذي يعالج به، فجزاه الله خيرًا.

والكلمة الأخيرة في هذا التقريظ الموجز هي: أنّ هذا المؤلّف هو حاجة علماء الأمة ودعاتها إلى الإصلاح، فلا ينبغي أن تخلو منه مكتبة عالم داع إلى الله تعالى.

كتب

ابو بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

في ٥/٥/ ١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ: أ.د أحمد علاء عبدالحميد دعبس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأولين والآخرين معلِّم البشرية وهادي الإنسانية سواء السبيل، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فإن الاهتمام بسلوك الفرد والجماعة مِن أهم الأمور التي ينبغي أن تتضافر الجهود حيالها، إذ تقاس المجتمعات رقيًا وعدمه برفعة ذلك السلوك وعدمه.

ولذلك سررت غاية السرور، حين جاء أخي صاحب هذا البحث يعرضه عليَّ، وأبدي فيه رأيًا، وأُقوِّم ما أرى تقويمه، وقد قمتُ بقراءته معه قراءة متفحِّصة، ورأيت أنه جامع في بابه، وقد بذل الباحث فيه جهدًا طيبًا في تأليف أجزائه، وجمع شوارده، وترتيبها ترتيبًا يغبط عليه.

وقد علَّق الباحث على ما نقل من عبارات سلفنا الصالح تعليقات جيدة نافعة لكل من يقرأ، منبهة على خطر هذا الموضوع، وضرورة تنبيه الشيب والشباب إليه، حتى يتجنب المجتمع الوقوع في الردى والهلاك، فأجراس الخطر حولنا تدقُّ معلنة النذير مما يفتح على شبابنا كل يوم من أبواب تتفنن في تزيين الرذيلة، وإظهار الشهوات في ثوب خلاَّب برَّاق يُغري النفوس الضعيفة بالتعلق والسير وراءها دون نظر إلى العاقبة.

وقد تكاتفت وسائل الإعلام المختلفة على رسم تلك الصورة وصنع ذلك الواقع الذي يكون ضحيته في الغالب الشباب الغر من البنين والبنات.

وقد عالج هذا البحث هذه القضية علاجًا جيدا يعتمد أولا وآخرًا على مصادر منهج الإسلام من الكتاب والسنة، وأعلام الأمة من العلماء الذين أفنوا حياتهم في سبيل رفعة الأمة.

ولم يستورد الباحث أفكارًا ولا حلولا ممن لا يدينون بدين الحق عملا بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(1)

ولا شك أن هذا المنهج في علاج القضايا الإسلامية هو المنهج الأريب الذي لا محيص عنه لكل من أراد أن يتصدى لقضايا الأمة، إذ ليس في ديننا ولا منهجه قصور ولا إفراط ولا تفريط ولا خلل حتى نلجأ إلى غيره من المناهج في سدِّ عجزه.

وفي ختام هذه الكلمات أهيب بكل قارئ لهذا البحث أن يقرأه بتأنٍّ واستيعاب، وأن ينوي بالقراءة وجه الله عز وجل، ثم تطبيق ذلك في حياته ونشره بين من استطاع من أقرانه وأقربائه وجيرانه وأصدقائه.

والله وحده المسؤول أن يوفق الباحث في أبحاث قادمة نافعة، وأن يكتب لهذا البحث القبول عنده، وأن يجزل له العطاء، وأن يجنِّب قلبه ولسانه وقلمه الزلل.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(2)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أ.د أحمد علاء عبدالحميد دعبس

الأستاذ المشارك للفقه المقارن، جامعة الأزهر الشريف

الأحد: ٧ / محرم/ ١٤١٩هـ

٣/ مايو/ ١٩٩٨م

(١) الكهف ٢٨

(٢) آل عمران ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ: د. عوض بن محمد القرني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وبعد:

فقد رغب إليّ الأخ خميس السعيد محمد عبدالله أن أقدم لكتابه: (والذين هم لفروجهم حافظون)، فتصفحت الكتاب على عجل بعد أن كنت قد قرأت مسودته الأولية فوجدته يفيض غيرةً على الأمة وأخلاقها وأعراض رجالها ونسائها، وينادي فيها بحماس شديد.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولا شك أن الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم والعفة والطهارة وحفظ الأعراض إنما هي ثمرات للإيمان الحق والعقيدة الحية، ودلائل على كرامة الأمة وشرفها ونقاء معدنها.

وبالضد من ذلك فإن مرذول الأخلاق واعوجاج السلوك وتدنيس الأعراض واللهاث وراء سعار الشهوات إنما هو مدرجة لضياع الدين وفساد الاعتقاد ومحو شخصية الإنسان وآدميته ليتحول إلى كلب يلهث وحيوان يكدح ليس له قيم ولا قيمة ولا عزة ولا كرامة ولا نقاء ولا طهارة، وإن أمة هذا حالها لا تستحق أن تعيش في عزة وإباء وسيادة وريادة، بل إن سنة الله في الحياة لتحتم تلاشي مثل هذه الأمة واندثارها، ولئن أمهلها الحق -سبحانه- فلن يهملها ولن تفلت من عقابه.

(١) القلم ٤

ومن هنا تأتي أهمية مثل هذا الموضوع الذي تطرق له الأخ المؤلف، ولئن خشنت عبارته في بعض المقامات واشتد قلمه في بعض الكلمات فإنما وراء ذلك -إن شاء الله- الحرص على أمته والخشية على شبابها والحب لهم والرغبة الشديدة في تحذيرهم من كل ما يضرهم.

رزقنا الله جميعًا البصيرة في الدين، والإخلاص في القصد، والسداد في العمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتبه

د. عوض بن محمد القرني

أبها- السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3]

وإن أحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[4].

وبعـد..

---

(١) آل عمران: (١٠٢).

(٢) النساء: (١).

(٣) الأحزاب: (٧٠- ٧١).

(٤) مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٨)، نووي (٦/ ١٥٧).

"لقد طغت شهوة الفرج اليوم على كثير من الناس طغيانًا ليس فوقه طغيان، وأصبح سلطانها على أفراده شيبًا وشبابًا لا يدانيه سلطان، حتى إنه لَيُخيل إلى بعضهم أن فاحشة الزنا سهلة والعياذ بالله، وأن مغازلة النساء والخلوة بهن مباحة! نسأل الله العافية.

يدلك على ذلك ما تشاهده من الرجال والنساء، فترى الرجال قد حلقوا لحاهم والهبوا الأصباغ في وجناتهم وتعرضوا للنساء في الطرق وقد خلعوا سربال الحياء!

وترى المرأة تستعد استعدادا تامًا إذا أرادت الخروج من بيتها، فتتزين بأنواع الزينة من لباس برّاق وشفاف، ومن حلي يلمع لمعانًا يأخذ بالأبصار ومن تعطر بما تهزأ رائحته برائحة المسك، ومن أدهان تدهن به وجهها وأطرافها وحاجبيها وشفتيها، ومن آله تفرق بها رأسها ليصير لامعًا كثيرًا وبذلك تنقلب فتنة للناظرين بعد أن كانت قبل ذلك تشق على العيون رؤيتها وعلى الآذان سماع صوتها، ويُفرّ من شهابتها وقبح هيئتها التي كانت تتقدم بها لزوجها في البيت"[1]

وكل هذه المهازل وغيرها المستوردة من دول الكفر والإلحاد جاءت إلينا واردة، فاستقبلها أناس سلخ الله من قلوبهم الإيمان والحياء، فزينوها بزينة أملاها عليهم إبليس اللعين وحببها إلى نفوسهم.

شهوات مسعورة لا تعرف ربًا ولا دينًا، مفلوتة الزمام لا تعرف معنى للشرف والكرامة والفضيلة!..

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان: (٤/ ٢٦٦، ٢٦٧).

فهؤلاء المنافقون الذين هم من جلدتنا، سيتحملون كل هذه الأوزار والآثام التي انتشرت بسبب تأجيجهم لهذه الشهوات التي كانت آمنة مطمئنة، فلما أن تطلعت إلى هذه الفتن فارت وثارت شهوتها، وانزلق كثير وكثير وراء هذه الشهوات.

فهؤلاء الذين أضَلُّوا هذه الفتن في بلاد الإسلام عليهم، وِزرهم ووِزر من تبعهم إلى يوم القيامة من دون أن ينقص من أوزارهم شيء.

فيا ترى متى ينتبه هؤلاء ويصحون من سكرتهم؟! متى يقفون أمام طغيان هذه الشهوة - شهوة الفرج- التي جاء على إثر ترك زمامها كل هذه البلايا.

لو أمعن كل منا النظر في معظم ما أصاب الأمة في أبنائها لكانت هذه الشهوة الشاردة عن الصواب هي السبب المباشر لضياع كثير من الشباب الذين يفترض لهم أن يحملوا ألوية هذا الدين وينصبوها في بلادهم أولا ثم في بلاد هؤلاء الكفار الذين زرعوا في كل ميدان من ميادين المسلمين رايات ورايات!!.. ويا للعار أن تجد لرايات هؤلاء الملاحدة في بلاد المسلمين أنصارًا لها يدعون إليها ويذبُّون عنها.

رحم الله أقوامًا كانت شهواتهم مصونة بـ قال الله وقال الرسول ﷺ، أما اليوم فإلى الله المشتكى من غربة هذا الدين، فوالله لو خرجت إلى الشارع وتجولت ببصرك هنا وهناك، لوجدت ما يذرف الدمع ويفت الكبد من حال شباب وفتيات الإسلام هذا في الشارع! أما إن دخلت إلى الأسواق، وعاينت ببصرك الفاسقات والفساق لسال الدمع وارتجف القلب وأشفق الإنسان أن ينزل الله نقمته ويعم عذابه وهلاكه للناس كافة!

نظرات جريئة بلا قيود ولا حدود ولا حياء، نظرات فاتنة تحرِّك شهوة من لا شهوة له، هذه تبالغ في إظهار مفاتنها بحيل إبليسية قذرة منحطة، وذاك يترصدها بتخنث بالغ الميوعة، هذا يعاكس وهذه تستجيب!

لذلك.. ما أكثرَ من يذهب إلى أماكن الازدحام المشبوه لكي يروي ما يظن أنه ري، ولكن سرعان ما يصبح أسيرًا لشهوة عارمة مخزية، تترك وراءها العار والفضيحة في الدنيا، والندم والخذلان في الآخرة.

ما أكثرَ الأفلام المدمرة، منها ما هو علانية، ومنها ما يوزع خلسة من وراء أبصار البشر، ونسوا وتغافلوا بصر رب البشر.

مجلات خليعة، خُلِع منه كل شرف وفضيلة، واندس فيها كل هوىً ورذيلة، ومع ذلك ما أكثر انتشارها ورواجها بصورة تدعو إلى الخوف والذعر من ثمارها!

البثُّ المباشر وغير المباشر، والنظر بتفحص لما يحتويه هذا البث من برامج مركزة لأهداف معينة واضحة، ويا للخجل! كل ذلك على الملأ ومرأى الأبصار.

شهوة قد شابها الذل والعار من شبقها الطليق في وحل الدنس والفجور، شهوة قد وجدت تنفيسًا لها ومخرجًا في وقت تكميم الأفواه التي تدعو إلى نبذ كل هذا الانحلال، والتنكيل بكل من يدعو إلى نبذ هذا الانحطاط البهيمي بكل ألوانه.

شهوة قد أقلقت مضاجع البيوت الآمنة خوفًا من تسلق هؤلاء المخمورين الضائعين جدر بيوتها.

شهوة مسعورة ترك حبلها على الغارب حتى صارت تركل أصحابها في كل وادٍ سحيق، وتلعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة.

شهوة تأججت واشتد سعيرها من جرَّاء هذه الدعوة السافرة على شواطئ البحار الذهبية، وتحت الشماسي المشبوهة، وفوق الأمواج المتلألئة الساحرة تشق عُباب الرمال الهادئة تحت وهج الشمس والنسمات الدافئة على مرأى العيون الجامدة والقلوب السوداء المتنكسة.

إن كانت هذه الشهوات قد تناثرت والتحمت على شواطئ الكفار فلا ذنب أعظم من الكفر، أما أن نستوردها ونروج لها سوقها في بلاد المسلمين وعلى شواطئ المسلمين، فهذا شيء لا يقره شرع ولا عقل لمسلم ولا فطرة ناصعة غير ملوثة.

"وقد ساقت كثرة الانحرافات الجنسية وشيوعها بعض البلاد المنتسبة إلى الإسلام إلى إباحة الزنا في قوانينها، وتنظيم عملية البغاء والسماح بفتح دور للدعارة المنظمة، إلى جانب الترخيص بفتح الملاهي والمراقص، بل إن الفوضى الجنسية العارمة أدت إلى ظهور الشذوذ الجنسي بصورة جديدة ومنظمة وقوية، مما جعل قضية الضلال الجنسي باكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء مشكلة خطيرة تنذر بالانقراض وانتشار أمراض جديدة فتاكة لا علاج لها"(١)

ومن أجل هذا وذاك، كان هذا المجهود المتواضع، محاولة مني في سد هذه الثغرة التي اتسعت شيئًا فشيئًا، حتى صارت من أخطر الفجوات على الإسلام وأهله.

وقد حاولت جهدي ألا أضع في هذا العمل حديثًا عن رسول الله ﷺ إلا وقد ثبتت صحته أو حسنه عن علماء هذا الشأن ممن تلقتهم الأمة بالقبول سواء كان ذلك من الحفاظ المتقدمين، أو رجال الحديث في عصرنا كالشيخ العلامة الألباني -رحمه الله- وأكثرت في نقل تخريجه فجزاه الله خيراً وأفسح الله له في قبره.

واقتصرت على الصحيح والحسن حتى أثبت لإخواننا أن في الصحيح غنية عن الحديث الضعيف مهما كان.

---

(١) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة: ص (٤٥٢).

" فالكتاب والسنة الصحيحة منهج حياة للأفراد والمجتمعات يتكفلان بالسعادة الدنيوية والأُخروية، والإعراض عنهما سبب للشقاء في الدنيا والآخرة"(١).

ولقد ميزت بين قولي والمنقول أن جعلت المنقول داخل تنصيص "..." هكذا، كما هو معلوم.

فيا أيها الناظر في جمعي هذا، لك غُنمه، وعليَّ غُرمه، لك صفوه وعليَّ كدره، ولا تنسَ أخاك من دعوة صادقة في جوف ليلٍ أو وقت إجابة.

وأسأل الله العون والسداد، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه تعالى، هذا وما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من زلل فمن نفسي والشيطان، وأسأله ﷻ أن يغفر لي ويتجاوز عن ذنبي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

خميس السعيد محمد عبدالله

مصر/كفر الشيخ/الحامول

٢٠٠٤/٦/٢٤م

١٤٢٥/٥/٦هـ

الأربعاء

(١) البحر الرائق في الزهد والرقائق: ص (٧).

البـــاب الأول

جذور البـلاء

الباب الأول

جذور البلاء

الفصل الأول /

مذاهب هدامة:

- تمهيد
- العلمانية
- الشيوعية
- الماسونية
- الراسمالية
- الديمقراطية
- التغريب
- الحداثة
- الصهيونية

الفصل الثاني/

ثمرة الانحراف والمذاهب الهدامة:

- تمهيد
- غزو الجريمة والجنس للمجتمع الإسلامي
- الفن ودوره الظاهر
- ظهر الفساد في البر والبحر
- فتوى الشيخ ابن باز في حكم التلفاز
- نصيحة الحاخام لليهود
- دور الصحافة في حركة تدمير المرأة
- الأدب، الشعر، القصة والمسرحية

الباب الأول

جذور البلاء

تمهيد

كانت الحياة قبل مبعث الرسول ﷺ يسودها الجهل والبغي والظلم، كانت مستنقعًا من الخرافات والأباطيل، لا يعرفون الله حق المعرفة، وهذا بالنسبة للعرب، الذين كانت فيهم بقايا خير ممزوجة بالكفر والفسوق والعصيان، فالخير الذي كان عندهم لا يعدو أن يكون عادات متوارثة من أجل الفخر والخُيلاء والسمعة.

أما باقي أهل الأرض دون العرب كانوا أشر من يمشي على الأرض فناهيك عن الفساد الذي يحيون فيه من إلحاد وكفر وفسوق، والحديث هنا ليس مختصًا بهؤلاء، إنما الحديث عن أرض الإسلام ومهبط الوحي.

فكان الشرك هو دين العرب العام والعقيدة السائدة، كانوا يعتقدون في الله أنه إله أعظم، خالق الأكوان، ومدبر السموات والأرض، لكن ما كانت حوصلة فكرهم الجاهلي تسع توحيد الأنبياء في خلوصه وصفائه.

وكان للعرب -شأن كل أمة مشركة في كل زمان ومكان- آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب، وكان جمهورهم ينكر ذلك "الميعاد" لا يصدق بالمعاد ولا يقول بالجزاء.. فكانت فيهم أدواء وأمراض متأصلة، وأسبابها فاشية، فكان شرب الخمر واسع الشيوع، شديد الرسوخ فيهم، وكان أهل الحجاز- العرب واليهود- يتعاطون الربا، وكان فاشيًا فيهم.

ولم يكن الزنا نادرًا، وكان غير مستنكر استنكارًا شديدًا، فكان من العادات أن يتخذ الرجل خليلات ويتخذ النساء أخلاء بدون عقد"[1] أهـ.

وبالجملة فقد كان الفساد قائمًا على قدم وساق، وكان الشر أصل الحياة في بلاد العرب نتيجة الجهل والخرافات والأساطير.

فلم يكن في هذه الجاهلية الزخماء[2] شيء مستقبح، كانت عبادة الأهواء لهم طبيعة غير مستنكرة ولا منبوذة.

وكما ملئت الأرض ظلمًا وجورًا وفسادًا، ملئت نورًا ورحمة وعدلاً وإيمانًا، وذلك بمبعث النبي المنتظر محمد ﷺ.

فلاقى رسول الله ﷺ في سبيل الدعوة ما لاقى، إلى أن نشر رسالة التوحيد، وأعاد الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وانتشرت الرسالة المحمدية في ربوع الأرض، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وخالط الإيمان قلوب هؤلاء القوم، فعاشوا بدين الله أطهر قلوبًا وأزكى أرواحًا من ذي قبل، وصارت قافلة الدعوة بعده ﷺ تنشر النور والهداية في أصقاع الدنيا، وعاش الناس في ظل الإسلام بطهره وأمنه وعدله ورحمته ردحًا من الزمن أقوى وأصلب ما يكونون، رهبانًا بالليل، أسودًا وفرسانًا بالنهار، فلم تجرؤ أي قوة آنذاك أن تناهض الإسلام

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص(٧٧- ٨٥) بتصرف شديد.

(٢) الزخماء: المنتنة (القاموس المحيط / ١٤٤٣).

وفرسانه، وصار الإسلام منارة العالم، لم تنل منه أيدي الأعداء، وظل متماسك الأركان، ينشر الفضيلة ويدحر الرذيلة كلها بشموخ وعزٍ وأنفة.

ومضت الدهور الطويلة، وبدأ المسلمون يتفلّتون ويحيدون عن النهج والصراط الذي رسمه لهم رسول الله ﷺ وظهرت الأخبار التي أخبر بها رسول الله ﷺ مثل فلق الصبح كائنة كما قال، فظهرت الفتن والقلاقل والأحزاب تنبثق من صفوف المسلمين يوم أن حادوا عن الطريق القويم، وتحققت سنة الله ﷻ في خلقه أظهر ما تكون، وتكالب الناس على الدنيا التي كان يخافها رسول الله ﷺ علينا، وغيروا وبدلوا، وعضوا على الدنيا بالنواجذ، وجعلوا دين الله وراء ظهورهم غير عابئين ولا نادمين.

عندئذٍ نال منهم أعداء الإسلام ما عجزوا عنه بالأمس، وتحالفت الأحقاد السوداء على دين الله ﷻ وأضحوا يبذلون الغالي والرخيص في سبيل إطفاء نور الله وإزاحة كل ما يقف في طريقهم، وتفننوا في أساليب المواجهة الحاقدة المستعرة.

وفي خضم هذه الموجة العنيفة والفتن الثقيلة، انبرت الطائفة الناجية والفرقة المنصورة تنافح عن دين الله مكائد أعداء الله، وتحذر منهم وتفضح خططهم وخداعهم ومكرهم.

واشتعلت الغيرة على الدين في قلوب الطائفة المؤمنة الصابرة المحتسبة وظهرت حركات شابة تحمل أرواحها على أكفها في سبيل إرجاع المسلمين من هذا التيه المخيف إلى دين الله الحنيف، وتحملت في سبيل ذلك جميع أساليب القمع، فلن تنفع مع هذه الحركات المؤمنة إرجاف المرجفين، ولا كيد الكائدين، فكثرت الدماء وتناثرت الأشلاء

وسقط الشهداء، وتكالب عليهم الأعداء، وطال منهم السفهاء، وقابل المؤمنون العاملون هذا البلاء وهم صابرون محتسبون.

وما زالت الحرب بيننا وبين أعداء الله حتى ننال إحدى الحسنيين إما إرجاع المسلمين إلى دينهم، وإما الصبر والجلد لفضح أسرار الأعداء وكشف عوارهم ما كادوا الإسلام وأهله، حتى يرجع الناس إلى دين ربهم أو نذهب إلى الله كما ذهب من قبلنا في سبيل ذلك.

وإلى أن يعود المسلمون إلى دينهم وتعاليمه السامية، ستظل تُنصَب لهم الفخاخ، وتهيأ لهم الشُباك ما داموا شاردين عن الحق، وستظل هذه الفئة الناجية المنصورة تنازل أعداء الله الذين يريدون إبعاد المسلمين عن دينهم.

فلا ريب بعد ذلك أن تظهر المكائد التي تريد أن تنال من الإسلام، منها ما هو علني صريح، ومنها ما يقدم في قوالب النصح ودواعي التقدم والرقي والحضارة!

فلا ريب أن تتمخض من هذه الاستلابية التي يعيشها المسلمون هذه الجذور الأفاكة الخداعة التي تستهدف شباب المسلمين، يوم أن علمت أن مصدر القوة فيه إن عاد إلى دينه.

وكان من مظاهر هذا الإعداد الدؤوب والسعي المستمر لتدمير شباب المسلمين أن ظهرت هذه الطائفة الكبيرة من الشباب الذي يعيش حالة من الخواء الروحي والبعد عن دين الله تعالى، والانغماس في وحل الرذيلة وبحور الشهوات، فمنهم من استمرأ اللذة ومات فيه الألم، ومنهم من يبكي وينوح مشفقًا على نفسه من عذاب الله، ويتمنى الرجوع إلى الله ولكن لا يدري أين الطريق، فإلى هذا الصنف الثاني كان هذا الكتاب، وكان هذا الاستنفار على جذور البلاء خذلهم الله!

الفصل الأول

مذاهب هدامة

تمهيد

وهذه المذاهب الهدَّامة تعتبر هي أولى جذور البلاء بعد بُعد المسلمين عن دين ربهم، عندما علم أعداء الدين أن المسلمين تميَّعوا في التزامهم بدينهم، أيقنوا أن دورهم في النزال الحقيقي قد جاء، وأن الفرصة التي كانوا يتحينونها قد أصبحت في أيديهم، مع أنهم يعلمون يقينًا أنه في صفوف المسلمين أناسًا لن يتركوهم ودورهم الخبيث في تدمير شباب المسلمين الذين هم -بعون الله- القوة الطاحنة لكل من أراد بديننا سواءً، علمَ هؤلاء الأعداء أن في دين الإسلام أناسًا يفدونه بأرواحهم، ولكنهم مع ذلك لم يحزنوا كثيرًا لأنهم اليوم قلة قليلة عمَّا كان في الأمس، ففي الأمس لو أعلنوها حربًا لوجدوا النساء والأطفال يعلنونها حربًا مع الرجال، أما اليوم فقد صار المسلمون كالغنم الشاردة في الليلة الباردة، وأصبح افتراس كل منهم على حدة من الأمر الميسور جدًا، وإلى أن يجتمعوا مثل ما كانوا على قلب رجل واحد، فعندئذٍ ستتولى هذه المذاهب التي تتربص بأبناء المسلمين إلى غير رجعة.

مذاهب متباينة ومتغايرة في أساليب كيدها، إلا أنهم يجتمعون في أنهم ضُلاَّل يريدون إضلال المسلمين وإخراجهم من دينهم إلى غياهب الظُّلمات وإلى تيه الفجور والخلاعة.

مذاهب كثيرة، وأسماء غريبة، وفرق دخيلة، ونِحَل متلونة، كلها اجتمعت على شيء واحد ألا وهو الكيد لهذا الدين، واجتماعهم لتدمير أخلاق الشباب، هو سلسلة

من هذه الحلقات المتصلة لإطفاء نور الله، وهم يعلمون أن الله متمُّ نوره ولو كرهوا، نعم! فإن الله متمُّ نوره ولو كره هؤلاء الكافرون الملحدون،.ولو كره أيضًا منافقونا ومرجفونا الذين هُم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

وسوف أقتصر -إن شاء الله- في هذا الفصل على أشهر هذه المذاهب الهدّامة وأكثرها ذيوعًا، وأشدها سمًّا، وأكثرها خطرًا، وذلك باختصار شديد وإيجاز هادف لموضوعنا لا غير.

العلمانية

تعريف العلمانية الجوهري الحقيقي هو:

"اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين"[1]

يقول محمد قطب حفظه الله:

"وهكذا يتضح أنه لا علاقة للكلمة بالعلم، إنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي، أي على أساس نفي الدين والقيم الدينية في الحياة"[2].

وقال حفظه الله عن تأثير هذا المذهب الهدَّام في الأخلاق:

ربما لم يكن هناك مجال تأثر بالعلمانية بقدر ما تأثرت الأخلاق، ذلك أن الدين هو المنبع الطبيعي للأخلاق، فإذا جُفِّفَ هذا المنبع أو جفَّ بسبب من الأسباب فلا بد أن يتبعه حتمًا انهيار تدريجي في الأخلاق ينتهي إلى اللاأخلاق"[3].

ثم بين -حفظه الله- معاول هدمهم للأخلاق من الناحية الجنسية أن أصبح الجنس عند هؤلاء:"مسألة [بيولوجية] لا علاقة لها بالأخلاق أي مسألة ذكر وأنثى يجري بينهما ما يجري بين الذكر والأنثى.. بلا قيود ولا أخلاق ولا ضبط ولا تصعيد.. وكانت الحمأة الدَّنسة التي تردَّت فيها البشرية، وكان السُّعار الجنسي المجنون الذي لا يشبع ولا يرتوي ولا يضيق"[4].

(١) الموسوعة الميسرة: (٣٦٧- ٣٧٠) بتصرُّف.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة: (٤٤٥).

(٣) مذاهب فكرية معاصرة: (٤٨٣).

(٤) المرجع نفسه: (٤٨٧).

ومن هذه الأفكار العدوانية الحيوانية التي تتبناها العلمانية وتريد من الجميع أن يعتنقوها وينافحوا عنها، والتي من خلالها يجعلون أتباعهم عبيد الأهواء والشهوات أنهم: "ينكرون وجود الله أصلاً، ويدعون إلى:

- إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.
- فصل الدين عن السياسة وإقامة حياة على أساس مادي.
- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة"[1].

وقد انتشرت هذه الجرثومة الفتاكة في مصر والهند والجزائر وتونس والمغرب وتركيا والعراق والشام ومعظم أفريقيا وإندونيسيا، وكذا معظم بلاد جنوب شرقي آسيا علمانية، وكذلك انتشرت الأحزاب العلمانية في معظم البلاد كما في الموسوعة.

---

(١) الموسوعة الميسرة: (٣٦٧- ٣٧٠) بتصرُّف.

الشُّيوعية

الشُّيوعية هي:

"مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسِّر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي"(1).

يقول المفكر الإسلامي محمد قطب حفظه الله:

"وأما أخلاق الشيوعية فلندعهم يصفونها بأقلامهم، يقول إنجلز: وهكذا فإننا نرفض كل محاولة لإلزامنا بأية عقيدة أخلاقية مهما كانت، على اعتبارها شريعة أخلاقية أبدية نهائية وثابتة أبدًا.

ويقول: إن الأخلاق التي نؤمن بها هي كل عِمل يؤدي إلى انتصار مبادئنا، مهما كان هذا العمل منافيًا للأخلاق المعمول بها.

ويقول لينين: إذا لم يكن المناضل الشيوعي قادرًا على أن يغير أخلاقه وسلوكه وفقًا للظروف مهما تطلَّب ذلك من كذب وتضليل وخداع فإنه لن يكون مناضلاً ثوريًا حقيقيًا.."(2).

ويقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله:

"ويكفي أن تقول في إيجاز: إن دعوتهم -أي الشيوعية- تنزل بالنوع البشري إلى الحيوانية، لأنها تهمل الجانب الروحي في الإنسان الذي هو به إنسان، وتخاطب الجانب المادي منه الذي يستوي فيه مع الحيوان"(3).

---

(1) الموسوعة الميسرة: (٣٠٩).

(2) مذاهب فكرية معاصرة: (٢٩٧- ٣٠١).

(3) الإسلام والحضارة الغربية: (٢٠٩).

ويقول المستشار الدكتور علي جريشة:

" ما تُشيعه الشيوعية من فوضى اجتماعية تتم تحت ستار إزالة الفوارق بين الطبقات، ويتم معها إزالة القيم الاجتماعية لتحل صور الانحلال والحيوانية التي تعذبها الشيوعية وتحرص عليها لتلهي الناس وتغرقهم في مستنقع الغريزة الآسن، فلقد وصلَت في مجال علاقات الرجال بالنساء حدًا حيوانيًا فاق ما وصلَت إليه بعض دول الغرب تحت اسم التحرُّر"[1] أ هـ .

ومن أفكار ومعتقدات الشيوعية:

" إنكار وجود الله، وكل الغيبيات، والقول بأن المادة هي أساس كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس، وستالين، ولينين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، والملكية الخاصة، عليهم من الله ما يستحقون.

- يقولون بأن الأخلاق نسبية، وهي انعكاس لآلة الإنتاج.
- تنكر الروابط الأسرية، وبالتالي لا بد أن تحل محلها الفوضى الجنسية.
- يهدمون المساجد ويحوِّلونها إلى دور تربية"[2].

وما مِن بلد فيه حزب أو تيار لهذا الفكر، إلا وتجد الفوضى الجنسية شائعة في كثير من مظاهر الحياة فيه. والسبب في ذلك هو هذا التيار الجارف، الذي وجد أرضًا خصبة يترعرع فيها وينمو كلما اتسعت الهوة بين الإسلام والمسلمين.

---

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة: ١٦٧).

(٢) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة: (٣١٠- ٣١٣) بتصرُف.

الماسُونيَّة

"الماسونية لغة معناها: البنَّاؤون الأحرار، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد"[1].

وهذه الطائفة من أخطر المنظمات التي عرفت كيف تسخر المرأة في صالح أهدافها الخبيثة.

يقول الدكتور عبد الرحمن عميرة:

"الحقيقة أن الماسونية تعرف قيمة المرأة لا كزوجة وأم وأخت وربة بيت، لأن هذا لم يخطر لها على البال، وإنما تعرف قيمتها في تحقيق الكثير من أهدافها، أهدافها الهدامة للأخلاق والمثل ولكل ما تعارفت البشرية عليه أنه خير وحق.

إن المرأة عند الماسونية سلاح قويّ يقرِّب الأغراض، ويقنع الرجال ويلوي الأعناق، ويلغي عقولهم، ويجعلهم جنودًا مخلصين لخدمة أغراض الماسونية العالمية وتحقيق بنودها.

من هنا كان اهتمام الماسونية بالمرأة، أو بالجنس على وجه التحديد، فهيأت لطلابه أسبابه، وأقامت له المعابد والمحافل ليجد فيه الشباب والفتيات متعتهم وتحقيق شهوتهم.

والمتصفح "لتوراتهم" المحرَّفة يجد الجنس هو الطابع المسيطر عليها، والذي يشغل الكثير من صفحاتها"[2]. ومن أهداف الماسونية الحقودة الدنيئة:

---

(١) الموسوعة الميسرة: (٤٤٩، ٤٥٣).

(٢) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها: (٦٩، ٧٢).

- "دعوة الشباب والفتيات إلى الانغماس في حمأة الرذيلة.

- مطالبتهم بتعجيل قضاء رغباتهم الجنسية بمجرد الإحساس بها، لا عن طريق الزواج المشروع، ولكن بالمشايعة الوقِحَة.

- تهوين الأخلاق والمُثُل والعفة والفضيلة، ومطالبة الجنسين بالتخلص من قيودها"[1].

وقد انتشرت في معظم أنحاء العالم حتى أصبح لها "نفوذ واسع في العالم من خلال الزعماء الذين اصطادتهم فأصبحوا كالدمى في يدها، ولها محافل في معظم أنحاء العالم تقريبًا، وتسيطر على معظم وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم.."[2].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الموسوعة الميسرة: (٤٤٩، ٤٥٣).

الرأسماليّة

"الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسّعًا في مفهوم الحرية ولقد ذاق العالم بسببه ويلات كثيرة"(1).

ويندد سيد قطب -رحمه الله- بالآثار التي خلفتها الرأسمالية في الحياة الاجتماعية، فيقول رحمه الله:

"إني أتّهم.. أتهم الأوضاع الاجتماعية القائمة بأنها تفسد الخُلُق والضمير، وتشيع الفساد في المجتمع والدولة، وتؤدي إلى الانحلال الفردي والقومي.

إن تضخُّم الثراء في جانب، وبروز الحرمان في جانب من شأنه أن يخلق طبقة من الأثرياء الفارغين المتبطلين، الذين يجدون لديهم وفرة من المال، ووفرة من الوقت،، ووفرة من الطاقة الجسدية التي لا بد لها من متصرَّف والطاقة التي لا تُصرف في العمل، والتي لا تشغلها فكرة أعلى من الذات، لا بد أن تجد لها طريقًا آخر: طريق المتاع الجسدي الغليظ، والرفاهية المترفة الناعمة، والموائد الخُضر، والسباق والسُّكر والعربدة والاستهتار.

وماذا يصنع أولئك الفتيان المُرد، وأولئك الشيوخ المترهلون الذين تُجبى إليهم ثمرات الكدّ والعرق والدماء من جهود الألوف الجياع والحُفاة العراة.. ماذا يصنع أولئك إلا أن يفكّروا في لذائذ الحسّ، وشهوات الجسد، والترف الناعم الرخيص.

---

(1) الموسوعة الميسرة: (231).

وهكذا تتكون حلقة مُفرغة من الشباب الفارغ، والشيخوخة الآسنة، ومن الرق الأبيض والنخاسة القذرة، ومن الملَق الحقير وفناء الشخصية والانحلال"[1] اهـ.

ويقول المستشار علي جريشة عن آثار الرأسمالية أيضًا:

"أما آثارها النفسية والاجتماعية، فقد أدَّت إلى ضعف الوازع الديني، وطُغيان الوازع المادي، واستغراق حياة الأفراد في السعي على الرزق، وفي المزيد من المادة.. وأخيرًا أمراض الترف وقمتها ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[2] [3]".

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: (١٢، ١٣).

(٢) الإسراء: (١٦).

(٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة: (١٤٢).

الدِّيمقراطيَّة

"الديمقراطية معناها الحرفي (حُكْم الشعب) أو حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه، فالسلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية منبثقة من الشعب، وتحكم باسم الشعب، والشعب باختياره الحُرّ يقوم بتنصيب حُكامه، وهي تستلزم وتتضمن إعطاء الحريات للناس مثل حرية العقيدة، حرية الرأي، حرية التملك، الحرية الشخصية"[(١)].

يقول الشيخ الدكتور سعيد عبد العظيم حفظه الله:

"ففي ظل النظام الديمقراطي أصبح البعض يطعن في الرسالة ويكفر ويرتدّ وينشر المناهج الكفرية الحزبية في وسط المسلمين تحت شعار حرية الرأي والتعبير، .. بل ويزني ويُزنى به عملاً بالحرية الشخصية، ولا عقوبة إذا وقعت الفاحشة بالتراضي بين الرجل والمرأة، وقد قرأت خبرًا في جريدة الوفد مؤدّاه أن فتاة ذهبت إلى القضاء تشتكي شابًا زنى بها، فذهب هو والمحامي وأقرّ بالزنا بها ولكنه قال إنه تم برضاها، وكأنه كان يجيد الإفلات من القوانين الوضعية!

وأصبح الدين أمرًا شخصيًا، فالحب والإخاء يكون في سبيل الوطن أو القومية، وأصبح لا فرق بين مسلم وكافر، وكانت الحريات على قدم المساواة بين الناس جميعًا، ليس فقط لمن أراد أن يرقص ويثير الفواحش وينشرها على الملأ، بل لمن وصف دين الله بأنه رجعي ومتخلّف.

(١) الديمقراطية في الميزان: (٣١١، ٧٩، ٨٠ بتصرف).

وكأن الإنسان إذا رقص أو زنى في النظم الديمقراطية، فهذه حرية شخصية، أما أن يطلق لحيته، أو تتجلبب المرأة فهذه هي الرجعية والتخلف ولا بد من منع اللحية والنقاب -أي الحجاب الكامل-.

يقول أحد القادة العرب:

"لا بد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين"، واستجابت بعض النسوة وخَرَجت تهتف وتغنّي: (أعطني حريتي أطلق يديّ)، وأصبح من الكلمات الدارجة على الألسنة قول البعض(كلّ إنسان حُرّ) وغيرها من الكلمات التي زخرفوا بها الباطل والضلال"[1] أ هـ.

(١) المرجع السابق.

التَّغريب

يقول أستاذنا الدكتور سليمان الخطيب حفظه الله:

"التغريب بالمعنى الخاص الضيِّق لهذه الكلمة يعني: نبذ الشرق والعرب والإسلام واللحاق مباشرة بالمدنية الغربية بكل حسناتها وسيئاتها فمنطلقات التغريب تكمن في دعوة الغربيين إلى الخروج من الدائرة العربية الإسلامية خروجًا كاملاً أو شبه كامل، وهذا الخروج يتبلور بصورة خاصة في التبني الكامل للقيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية للمدنية الغربية"[(١)].

ويقول أيضًا:

"وقد حمل لواء الدعوة إلى تكريس الثقافة الغربية على المناطق -الإسلامية- مجموعة من المثقفين والكتَّاب في العالم العربي، وهنا تبرز البراعة الأوروبية التي استطاعت أن تخلق من بين أبناء العالم الإسلامي من يدعو إلى التخلي عن تراثنا وحضارتنا.

وبذلك أصبح أعداء الفكر الإسلامي، والخصوصية الإسلامية من داخل المجتمع -الإسلامي- حقيقةً، لم يعد ممكنًا لأي محلل أن يشكك في صحتها، والهدف من تشويه الإسلام إبراز المنطق العكسي بخلق القناعة بالبديل الغربي"[(٢)].

وإن ما يؤكد خطورة هذا التيار الهدَّام الذي يهدد الإسلام وليس أبناءه فقط، بجرفهم في ظلمات الغريزة الجنسية، أنك تجد أن أعداء الإسلام جميعًا قد تكاتفوا وتعاهدوا على حمل هذه الراية راية التغريب الشامل في كل بقاع الإسلام، ليس هذا فقط، بل:

---

(١) التغريب والمأزق الحضاري: (١٧، ٢٣).

(٢) المصدر السابق.

و"نشر المذاهب الهدّامة كالفرويدية، والدارونية، والماركسية، والقول بتطور الأخلاق وبتطور المجتمع، والتركيز على الفكر الوجودي والعلماني والتحرُّري.. وحملة الانتقاص من الدين، ومهاجمة القرآن والنبوة والوحي والتاريخ الإسلامي، والشكّ في القيم الإسلامية"[1] إلى غير ذلك كثير.

ولقد سار هذا التيار الجارف سيرًا عنيفًا في جميع مظاهر الحياة الإسلامية، حتى قلَّ أن سلمت منه أسرة، ولم تذق ويلاته.

(١) الموسوعة الميسرة: (١٥٢).

الحداثة

قال شيخنا الدكتور عوض القرني حفظه الله:

"إن الحداثة في أصلها ونشأتها مذهب فكري وغربي، ولد ونشأ في الغرب، ثم انتقل منه إلى بلاد المسلمين.

ولا شك أن الحداثيين العرب حاولوا بشتى الطرق والوسائل أن يجدوا لحداثتهم جذورًا في التاريخ الإسلامي، فما أسعفهم إلا من كان على شاكلتهم من كل مُلْحِد أو فاسق أو ماجن"[1].

ومن دعواهم المارقة من كل شرف وفضيلة وتربُّص بالدين تلك الدعوى التي أبطلها شيخنا الفاضل من أن "الأدب يجب أن يُنظر إليه من الناحية الشكْلية والفنية فقط، بغضّ النظر عما يدعو إليه ذلك الأدب من أفكار، وينادي به من مبادئ وعقائد وأخلاق، فما دام النص الأدبي عندهم جميلاً من الناحية الفنية، فلا يضير أن يدعو إلى الإلحاد أو الزنا أو اللواط أو الخمريات أو غير ذلك.

وسنرى -بعون الله- أن هذه المقولة مرفوضة شرعاً وعقلاً، وأنها وسيلة لحرب الدين والأخلاق، يتستر وراءها من لا خَلاق له، وسنرى أن أذواقهم الأدبية فاسدة مفسدة، حتى لو سلّمنا بمقولتهم تلك"[2]. ثم فنَّد الشيخ هذه الشُبهة ودحضها.

وشهد شاهد من أهلها -أي الحداثة- بعد ما تاب ورجع إلى الله من هذا الطريق المعوج فقال: "إن الحداثة مولود غير طبيعي وأنه وُلِد مشوَّهًا، وإنها موجة فاسدة

(١) الحداثة في ميزان الإسلام: (١٧، ٤٧، ١٣٣، ١٣٥).

(٢) المصدر السابق.

امتطاها البعض لسهولة ركوب هذه الموجة، بلا ضوابط ولا روابط، وتحلل من القيم والمبادئ، واتجاه خطير، وأيدلوجيات يرفضها كل غيور على دينه وأمته"[١].

وتحذّر منها أيضًا بعض الكاتبات الفاضلات فتقول:

"الحداثة من أخطر قضايا الشعر العربي المعاصر، لأنها أعلنت الثورة والتمرد على كل ما هو ديني وإسلامي وأخلاقي"[٢].

ولقد انتشر هذا التيار في معظم بلاد المسلمين اليوم.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المصدر السابق.

الصهيونية أو الأفعى اليهودية

"الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس، حيث تطمع الصهيونية أن تشيد فيها -مكان المسجد الأقصى- هيكل سليمان، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها"[(١)].

يقول المستشار الدكتور علي جريشة:

"فنرجو ألا يكون تكرارًا، أن نقول إن معظم أنواع الانحلال الاجتماعي في العالم عامة، وفي الشرق خاصة، وراءها اليهود، فهم يحاولون في بلادنا الإسلامية غزوها اجتماعيًا، لنشر الانحلال في مجتمعاتها، وتعمد اليهود التجول في شوارع بعض البلاد الإسلامية بأزياء أقرب إلى العري، وما يحملون معهم أو قبلهم عند قدومهم من أفلام مثيرة، كل ذلك وغيره مما ظهرت أصابع اليهود وراءه، أو ظهرت علانية معه.. يؤكد الدور الاجتماعي الذي يحاولونه حتى ينزعوا من شعوبنا نخوة الجهاد ويصيبونهم بطراوة الانحلال!"[(٢)].

ومكائد هؤلاء الصهاينة لإفساد العالم، وإجلاء الإسلام ومحوه من الوجود، وإشاعة الانحلال والفوضى الشهوانية بين البشر، وإفساد المرأة، وجعلها من أقوى الأسلحة في أيديهم، وزرع البلبلات والقلاقل ثم سحب فتيلها لإشعال الحروب وتدمير العالم لتحل لهم السيطرة التي يسعون وراءها، وغير ذلك من مكائد، أصبحت مشهورة ومذخورة في المؤلفات التي أضحى أصحابها متيقظين لخطط هؤلاء الكفرة الفجرة.

---

(١) الموسوعة الميسرة: (٣٣١).

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة: (٢٢٢).

ومن هذه الأقوال السافرة عن قلوب سوداء، تقطر غيظًا وحقدًا على الإسلام وأهله، وعلى كل من ليس بيهودي ما يلي:

"- نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه، ومحركي الفتن فيه وجلاديه.

- تكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءًا بأفكار الحرية التي تسمى التحررية، ومن أجل هذه الفكرة يتخلى عن بعض سلطته [بروتوكول ١].

-إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه [بروتوكول ١].

-إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد [بروتوكول ١].

- ومن المسيحيين أناسٌ قد أضلتهم الخمر وانقلب شبانهم مجانين -وكذلك كثير من المسلمين أيضًا والله- والمجون المبكّر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماناتنا في البيوت الغنية وكتبتنا ومن إليهم، ونساؤنا في أماكن لهوهم.[بروتوكول ٢].

-دعوهم يتمتعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم، ودعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذات وملاه جديدة، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية، دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم. [بروتوكول ٢].

- لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونتشة قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحًا لنا على التأكيد [بروتوكول ٢].

- لقد خلقنا الجيل الناشئ من الأمميين -غير اليهود- وجعلناه فاسدًا متعفنًا بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة [بروتوكول ٩]

الفصل الثاني

ثمرة الانحراف والمذاهب الهدامة

تمهيد

وهذا الفصل هو الفروع المولودة من جذور البلاء الهدامة في الفصل السابق، وهذه المذاهب الهدامة ما استفحلَت وتأصلت بين المسلمين إلا بانحرافهم عن شرع الله تعالى علمًا وعملاً.

فهذا الفصل سنوضح فيه -بعون الله تعالى- بعض تلك الوسائل التغريبية التي راج سوقها، بل واعتنقها أبناء الإسلام الجُهَلاء والدُّخَلاء، حتى صارت تلك الوسائل تُقاد دفتها بأيدي مسلمين بارعين فاقوا أساتذتهم.

لقد استطاعت هذه المذاهب القذرة وغيرها أن تجند كتائب من أبناء المسلمين تحمل رسالتها، وتوطد رايتها، بل وتنافح وتُستَشهَد في سبيل إرضاء هذه الآلهة المعبودة من دون الله تعالى.

فتنٌ كقطع الليل المظلم المدلهم يركب بعضها بعضًا، لا يدري الإنسان كيف يفر منها، وهي تلاحقه في كل مكان رغمًا عنه، وأقول رغمًا عنه! أين يذهب الإنسان من تلك القوانين الوضعية التي تُيسِّر له كل أمر يُستحيا منه، لقد أرغمت الضرائب الباهظة كثيرًا من الناس أن تغلق محلات تجاراتهم، ويلجأ الكثير منهم إلى التكسُّب بطرق يندى لها الجبين، والفضل في ذلك لهذه القوانين! أين يذهب الإنسان من هذه الأغاني الخليعة التي تقرع سمعك رغمًا عنك في المحلات والشوارع والسيارات في كثير من البلاد

الإسلامية، وأين يذهب الإنسان من هذه الصور الخليعة بل والعارية التي لم تترك سلعة من السلع ولا دواء من الأدوية ولا شيء من الملبوسات -اللهم إلا النزر القليل- إلا وقد التصقت عليه صور فاضحات ومخزيات.

بل حتى الكتب التي تدعو إلى الإسلام لقد رأيت والله كثيرًا منها على غلاف الكتاب صورة فاتنة، هذه تقرأ القرآن، وتلك رافعة يديها إلى السماء تدعو بخضوع وخشوع، وغير ذلك كثير!

حتى إذاعات القرآن الكريم، لقد وُجدَ في بعض البلاد أن هذه الإذاعة يشوش عليها بالأغاني والموسيقى، وغير ذلك كثير كثير من تلك الحلقات التي لا تنتهي، والتي لا ينجو منها إلا من اعتصم بالله تعالى وآمن برسوله ﷺ وسار على نهج ذلك الدين، ورضي به حاكمًا وقاضيًا وهاديًا، وانتظم في سلك الصالحين، وهم في ذلك الزمان وفي سواد الناس قليل، فرحماك اللهم رُحماك!

فيا أيها الشباب الذي تخطفته هذه الحِيَل والشِبَاك اللعينة الخبيثة، إن الأمر خطير جد خطير، لا بد من الاعتصام بالله، والتسوُّر بدين الله لكي تنجو من سهام هؤلاء الغازين.

ويا أهل الإسلام، لا نجاة إلا بالله، حكّموا شرع الله تعالى في حياتكم واجعلوه لكم دستورًا ومنهاجًا، وكونوا خير خلف لخير سلف، واعلموا أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوَّلها.

فهذا الفصل هو الأسباب الطبيعية التي نقطف ثمارها المُرَّة جرَّاء انحراف المسلمين عن دين ربِّهم، ومسايرتهم لهذه المذاهب الهدَّامة.

ونستطيع أن نرى بوضوح أن من ثمرة الانحراف عن نهج الله والسير وراء أبواق الغرب، هذه الفوضى الجنسية التي كان من الأسباب الرئيسية لانتشارها هذا التقليد والاتباع المخزي لكل ناعق ينادي بالسير وراء الحضارة الغربية بكل حسناتها وسيئاتها.

غزو الجريمة والجنس للمجتمع الإسلامي

يقول الأستاذ أنور الجندي رحمه الله تعالى:

"تقوم الغارة الجنسية المُثارة الآن في أفق الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي على عاملين أساسين:

العامل الأول: هو مطمح الصهيونية العالمية في وضع نظام يتمثل في البروتوكولات، والذي يركِّز تركيزًا شديدًا على شباب العالم الإسلامي في محاولة لهدمه وتدميره.

العامل الثاني: هو ما حققه لهذا الهدف "فرويد " في مذهبه عن الجنس ومحاولة هدم الحصانة النفسية والجنسية في الدعوة الباطلة باسم الكبت إلى تحطيم قاعدة الاستعلاء عن الفاحشة تحت دعوى تأثيرها، والدعوة إلى الكشف عن المستور واعتبار العُري عملاً عاديًا، ومحاولة تعليم الشباب ألا يخجل من أعضائه التناسلية، ولقد أعلن الكتَّاب المتخصصون في علوم النفس فساد دعاوى الجنس جميعًا، وسلامة مقررات الدين الحق في استعلاء ما لا يملك، ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(١). كما أعلنوا فساد دعوى فرويد في أن الكبت سيصيب صاحبه بأي أثر نفسي أو اجتماعي.

وقد تبيَّن أن كل ما دعا إليه "فرويد" وما اعتبره علمًا هو مجموعة من تجاربه مع أكثر من مائة مريض لم يتعداها إلى المجتمع الواسع، وحصر فيها دراسة جاءت عاجزة عن أن تقدِّم الحقائق العلمية.

---

(١) النور: (٣٣).

وهي تجربة لم تكن ذات قيمة علمية حقيقة، وإنما كان عامل انتشارها وإذاعتها وفرضها على كثير من مناهج التعليم والتربية المطمع الذي وراءها من الأهواء التي تصاحب الدُّعاة إليها الراغبين في تدمير الحصانة النفسية ودفع الشباب إلى الغواية والأهواء والجنس.

ولم يكن الغرض الأساسي الخفيّ واضحًا في هذه الفترة حين كان يدعو سلامة موسى وغيره إلى مذهب فرويد في الثلاثينات، هذا الغرض الذي ظهر واضحًا اليوم من وراء محاولات صرف الشباب المسلم عن الزواج وإقامة الأسرة الاجتماعية الصحيحة، ودفع الشباب والفتيات إلى تصريف الطاقة الجنسية خارج الأسرة، بين عملية الإجهاض وعملية الزواج غير الشرعي، وزواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، على النحو الذي يدعو إليه فلاسفة السكّان، وتدمير المجتمع في محاولة لتحديد النسل الذي يُطلق عليه الانفجار السكاني..»[1].

---

(١) مجلة المجتمع – العدد (١٢٧٨) -٢ شعبان ١٤١٨هـ ص (٥٤).

الفنّ ودوره الظاهر

ويقول أيضًا رحمه الله تعالى:

"ولقد كان الفن بكل ما يتصل به من مسرح ومسلسلات ورقص وغناء على النحو الذي نراه اليوم، مدخلاً لتحقيق الغاية التي يقصد إليها النفوذ الأجنبي المقتحم.

فقد كان الفنُّ أساسًا يمثل مدخلاً من مداخل الخير حسبما ذكر النبي ﷺ، ولكنه سرعان ما تحوّل على أيدي جماعات موجهة لخدمة أهداف مدمِّرة، إلى عمل معقد يرمي إلى تدمير الكيان النفسي والوجود الأخلاقي في الإنسان والجماعة، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك بتزييف التاريخ وإفساد الحقائق.

ومن ثم تطور الفن إلى عمل خطير الأثر، لخدمة الغايات الاستعمارية والقوى المسيطرة ذات النفوذ، وأصبحت المسلسلات والمسرحية عملية صراع، لا تقدِّم الخير إلا قليلاً، ولا تحمل للناس إلا الشرّ غالبًا والحقد والإباحة، ومن هنا بدأت غزوة الجريمة والجنس للمجتمع الإسلامي.

هذا فضلاً عما تذيعه المسلسلات من حوار هابط، يشيع جوًا من الصراع، وينشر أساليب منفردة من الأوصاف، مما يعد بعدًا شديدًا عن مهمة الفن الأصيلة وهي إعلاء الذات الإنسانية عن الأحقاد والإباحيات.

ولا شك أن هذا العمل يرمي إلى تدمير القيم الإسلامية والضوابط التي قررها الإسلام في نفس الشباب مما يجعله منهارًا، ليتحقق هدف القوى الزاحفة للسيطرة، بالإضافة إلى هدف تقليل نسل المسلمين وتدميره، عن طريق الإجهاض والحرية الجنسية للمراهقين، ومقولة "فرويد" الخاطئة عن [الكبت]. كل هذا يجري في مخطط بعيد المدى للسيطرة على العالم وعلى الأمة الإسلامية أساسًا"(١).

---

(١) المرجع السابق ص (٥٤، ٥٥).

ظهر الفسادُ في البرِّ والبحر

يقول الأستاذ محمد محمد حسين رحمه الله تعالى:

"رأينا في الفصل السابق صورًا مما طرأ على المجتمع من فساد واضطراب نتيجة لغزو المدنية الغربية، ولم يكن هذا التطور في الواقع مقصورًا على مصر، فقد شمل كل العالم الإسلامي، بل لقد شمل الشرق كله.

ومع كل هذه الأدواء التي تفتك بأجسام الناس، كانت هناك أدواء أخرى تفتك بعقولهم، وتُلَوِّث كل الغذاء الثقافي الذي تتناوله الأجيال الناشئة، فانتشرت الصور العارية في المجلات لعرض الأوضاع المغرية باسم الفن فتارة هي من معرض رسام أو مثّال، وتارة هي لممثلة أو راقصة مما يسمى "نجوم" المسرح أو السينما في هذا البلد أو ذاك، وتارة هي أنموذج ابتدعه مصممو الأزياء الغربيون، وتارة هي صورة لمسابقة في جمال السيقان أو الصدور أو تناسق الأجسام أو ما يسمونه (ملكات) الجمال.

ثم اقتحم المعاهد الحكومية فدخل مدرسة الفنون الجميلة -ثم ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- صورًا مما يحدث هناك في مجال الرسم للنساء العرايا أضربتُ صفحًا عنها لاشتهارها- ثم قال: هل يمكن أن يكون ذلك كله إلا صورًا متعددة لمكيدة واحدة، تأتمر بالقيم الأخلاقية، وتستهدف تدمير كيان الشُّبان الذي يتكون منه الجيل القادم.

وصرف الناس مع ذلك كله عن عظائم الأمور إلى الصغائر، فكثر حديث الصحف والمجلات عن الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات والراقصين والراقصات، واحتلت أخبارهم وأخبارهن في أتفه ما يخطر على البال أبرز الأماكن في الصحف والمجلات،

حتى كأن الله - سبحانه وتعالى- لم يخلق في الناس طبقة أشرف ولا أحق بالرعاية والتقدير من هؤلاء"[1].

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: (٢/ ٣٣٣، ٣٣٤).

- فتوى الشيخ ابن باز عن حكم التلفاز:

قال فضيلة الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله تعالى:

"وأما التلفزيون فهو آلة خطيرة وأضرارها كالسينما أو أشد، وقد علمنا عنه من الرسائل المؤلفة في شأنه، ومن كلام العارفين به في البلاد العربية وغيرها، ما يدل على خطورته وكثرة إضراره بالعقيدة والأخلاق وأحوال المجتمع، وما ذلك إلا لما يُبثّ فيه من تمثيل الأخلاق السافلة، والمرائي الفاتنة والصور الخليعة وشبه العاريات، والخطب الهدّامة والمقالات الكفرية، والترغيب في مشابهة الكفار في أخلاقهم وأزيائهم، وتعظيم كبرائهم وزُعمائهم، والزهد في أخلاق المسلمين وأزيائهم، والاحتقار لعلماء المسلمين وأبطال الإسلام، وتمثيلهم بالصور المنفرة لهم... ولا شك أن ما كان بهذه المثابة وترتبت عليه هذه المفاسد، يجب منعه والحذر منه، وسد الأبواب المفضية إليه.

ومن ظنّ أن هذه الآلة تسلم من هذه الشرور ولا يبث فيها إلا الصالح العام إذا روقبت فقد أبعد النجعة وغلط غلطًا كبيرًا، لأن الرقيب يغفل، ولأن الغالب على الناس اليوم تقليد الخارج والتأسي بما يُفعل فيه.

ولأنه قلّ أن توجد رقابة تؤدي ما أسند إليها، ولا سيّما في هذا العصر الذي مال فيه أكثر الناس إلى الباطل، وإلى ما يصده عن الهدى، والواقع شاهد بذلك كما في الإذاعة والتلفزيون في بعض الجهات، فكلاهما لم يُراقب الرقابة الكافية المانعة من أضرارها.

ونسأل الله أن يوفق حكومتنا لما فيه صلاح الأمة ونجاتها وسعادتها في الدنيا والآخرة، وأن يصلح لها البطانة، وأن يعينها على إحكام الرقابة على هذه الوسائل حتى لا يُبثَ منها إلا ما ينفع الناس على دينهم ودنياهم.. إنه جوادٌ كريم"[1].

- **نصيحة الحاخام لليهود: بيعوا التلفزيون للعرب**

في مجلة المجتمع وتحت هذا العنوان ذكر ما يلي:

"نصح ثلاثة حاخامات نافذين اليهود ببيع أجهزتهم التلفزيونية إلى العرب لكي يتلقى هؤلاء تأثيراتها المفسدة.

وكتبت صحيفة (معاريف) الإسرائيلية الأحد ٤/ ١/ ١٩٨٨م أن رسالة توجيهية وُزِّعت في دور العبادة اليهودية، أن اليهود الذين يتخلصون من هذا الجهاز الجهنمي يستحقون الجنة في آخرتهم و[بركة كبار حُكماء جيلنا].

وأشارت الرسالة إلى أن هؤلاء الحُكماء هم الحاخامات أوفاديال يوسف، وإسحاق كادوري، ويورام إبيرجيل، وهم من رجال الدين اليهود السفارديم (الشرقيين) المقرَّبين من حزب (شاس) الديني.

وأضافت (معاريف) أن الرسالة تتضمن إعلانًا عن إسرائيلي أبدى استعداده لمساعدة اليهود على بيع أجهزتهم التلفزيونية وجاء في الإعلان:

(١) مجموعة فتاوى ابن باز (٢/ ٢٢٧).

" نحن مستعدون للمساعدة في بيع أجهزة التلفزيون إلى العرب لترتد النتانة عليهم.."[1].

دور الصحافة في حركة تدمير المرأة لإشاعة الفوضى الجنسية

قال فضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم حفظه الله تعالى:

"ويمكن تلخيص عمل الصحافة في سبيل إفساد المرأة المسلمة في ميادين مختلفة:

أولاً: في مجال الدعوة إلى حريتها الزائفة، وغرس الشعور بـ "القومية النسائية" عن طريق التهليل والتصفيق لكل امرأة وُليت عملاً من الأعمال.

ثانيًا: إشاعة جوّ من التبرج الصارخ، والتمرد على الفطرة من خلال قنوات الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والسينما والمسرح والقصة، وغيرها.

ثالثًا: تعمل الصحافة جاهدة لتحقيق هدف خطير ألا وهو: دمج الرجولة في الأنوثة، وتحويل الأنوثة إلى رجولة وبالعكس.

رابعًا: دعوة الصحافة إلى إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل، تحمل في طياتها خطرًا شديدًا، فإن انتشار هذه الحبوب بلا رقابة من شأنه إشاعة الفاحشة، والترويج للحرام، وهدم الأسر.

خامسًا: تستهدف الصحافة من وراء نشر عشرات الحوادث المخلة والإغراء بها، وكذا ما تنقله عن المجتمعات الغربية، تستهدف بذلك أن تبدو العلاقة المحرَّمة في نظر

---

(١) مجلة المجتمع- عدد (١٢٨٤) - ١٥ رمضان ١٤١٨هـ -١٣/ ١/ ١٩٩٨م – ص (١٨).

الناس سهلة يسيرة، بل ومقبولة، ويحاول بعض الصحافيين الإيحاء بين الناس أن الشرف والفضيلة والعِرض كلها مسائل تافهة لا يتمسك بها إلا السُّذج والبُسطاء والرجعيون.

سادسًا: ومن أخطر محاولات الصحافة بالنسبة لتغيير العُرف الإسلامي للمرأة هي رفع قدر الممثلات والراقصات والمغنيات، وجعلهن مثلاً أعلى للفتاة في أمور الملبس والمأكل والعادات والتقاليد.

سابعًا: ومن ذلك الدعوة إلى إلغاء قوامة الزوج على زوجته..[1].

ثامنًا: فساد توجيه الصحافة لطالبات الإجابة عن المشاكل والقضايا.

تاسعًا: حملت الصحافة حملات شعواء على العلماء الذين قدَّموا حُكم الإسلام إلى المرأة، في مواجهة سمومهم وضلالاتهم.

عاشرًا: حاولت الصحافة تصوير الدُّعاة إلى تحرير المرأة بأنهم أنصارها الذين يدفعونها إلى الحرية والعمل، والواقع غير ذلك فإن هؤلاء هم أعداؤها الحقيقيون الذين يدعونها إلى النار، ويقودونها إلى الهاوية»[2].

(١) عودة الحجاب (١/ ١٣٨- ١٤٢) بتصرف، عن الصحافة وأقلام مسمومة.

(٢) المصدر السابق (١/ ١٤٢).

الأدب، الشعر، القصة، المسرحية

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله تعالى:

"وانحرف الشعر والأدب، فأصبح اسم (الرومانسية) أو (الرمزية) مظهرًا من مظاهر الأنانية والانطواء على النفس، الذي يورث الهم القاتل لكل همّة حينًا، أو العكوف على الشهوات الصارفة عن كل خير حينًا آخر، وأصبح في معظمه تعبيرًا عن أمراض النفوس وانعكاس المعايير والتنفيس عن الشهوات، وكأنه قد أصبح من شروط الأدب أن تخرج موضوعاته عن حدود الأدب، وأن يلتزم التعبير عن جوعه إلى الشهوات.."[1].

و"أما القصص والمسرحيات فقد كان الهدف من نشرها على نطاق واسع هو تحطيم التقاليد الإسلامية التي تمنع الاختلاط وتنفر من الفاحشة والتحلل الخُلقي .. فقد كانت هذه التقاليد مع كونها خاوية من الروح عقبة ضخمة في سبيل الإفساد الخُلقي الهائل الذي تهدف الصليبية إلى إحداثه في المجتمع الإسلامي.

فالذي تعرضه تلك القصص والمسرحيات لا يزيد على أن يكون علاقات غير مشروعة بين رجل وامرأة أو بين شاب وفتاة، ويتم هذا في جو "الفن" الذي يسبغ على كل شيء جمالاً وجاذبية مهما يكن فيه من الشر، فحين يقرأ الشاب قصة غرامية -أو عاطفية كما كانوا يسمونها- يلتقي فيها الفتى والفتاة بعيدًا عن أعين الناس، ويجري

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٣٣٦).

بينهما من الكلام والمواقف ما يجري، مصورًا بجاذبية الفن وإغرائه، فيتمنى في دخيلة نفسه أن لو كان هو صاحب الموقف أو أن يقع له مثل ما يقرأ في القصة أو المسرحية.

ويعلم الشاب جيدًا أن مجتمعه المحافظ لا يسمح بمثل هذه المواقف التي يقرأ عنها، ولكنه حينئذٍ يتمنى أن يجيء يوم تتحطم فيه تقاليد مجتمعه التي تحول بينه وبين «الاستمتاع» على النحو الذي يتم في المجتمعات الأخرى، التي تحررت من مثل تلك التقاليد.

فإذا جاء اليوم الذي تُحطَّم فيه هذه التقاليد بالفعل -وقد جاء- فلن يكون مثل هذا الفتى من المعارضين! بل سيكون أول المرحبين..»[1].

(١) واقعنا المعاصر: (٢٣٥- ٣٢٧) بتصرُّف.

البـــاب الثاني

الترغيب والترهيب

البَـاب الثَّـاني

التَّـرْغِيب وَالتَّـرْهِيب

الفصل الأول/

فضل من حفظ فرجه خوفًا من الله ﷻ

- تمهيد
- فضل من حفظ فرجه من كتاب الله ﷻ
- فضل من حفظ فرجه من حديث رسول الله ﷺ
- عفة يوسف عليه السلام قدوة تحتذى
- الأمر بالعفة

الفصل الثاني/

وعيد من لم يحفظ فرجه

- تمهيد
- وصف من لم يحفظ فرجه ووعيده من كتاب الله ﷻ
- وعيد من لم يحفظ فرجه من حديث رسول الله ﷺ
- المتعة الزائفة

الباب الثاني

التَّرغيب والتَّرهيب

تمهيد

إن العبد المسلم ليشعر بالسعادة الكبرى إذا ما التزم بشرع الله ﷻ وإن هذا الالتزام يدور بين أمر ونهي:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[(١)]، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

إن العبد المسلم المستقيم على شرع الله، إذا ما ذُكِرَت أمامه الجنة ورُغِب فيها ألقى الدنيا وتبعاتها من فوق ظهره، وهرع إلى رب العالمين ليلحق بركب السائرين إلى الله، ولو أردنا أن نذكر أمثلة على ذلك لطال الحديث، وكذلك المسلم الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، إذا ما ذُكِرَت أمامه جهنَّم بأغلالها وسلاسلها وحميمها وزقومها انهمرت دموعه وارتجف قلبه وطال حزنه، وأشفق على نفسه فلا تجده بعد ذلك إلا صائمًا قائمًا. وهذه هي الثمرة الحقيقية للترغيب والترهيب، أن يُساق الإنسان إلى رب العالمين ﷻ بمواعظ الخوف والرجاء.

واعلم أيها المسلم أن القلب الذي يتأثر بذكر الجنة والنار، والترغيب والترهيب عمومًا، وينقاد بذلك إلى طريق الاستقامة، هو القلب الذي سكن الإيمان شغاف[(٢)] قلبه، فسرعان ما ينقاد هذا القلب إلى الله تعالى إذا ما ذُكر، ومن هنا نعرف السر الحقيقي في عزوف كثير من البشر عن سُبل الاستقامة الكاملة حسب الطاقة الحقيقية للإنسان، ذلك

(١) الحشر: (٧).

(٢) الشغاف: غلاف القلب، أو حجابه، أو سويداؤه (القاموس: ١٠١٦).

لأن القلوب قد امتُلِئت بحب الدنيا وشهواتها، وركن الإنسان إلى هذه الحياة الزائلة، فإذا ما خُوِّف أو رُغِّب ليلحق بقوافل السائرين إلى الله تعالى، وجد مئات المثبطات التي ارتضاها لنفسه وعاش في دائرتها، ولا يكفي لنجاة هذا الصنف دمعات عابرة، أو زفرات طائرة، أو تأوه أجوف لأنه سرعان ما يمر هذا الشعور الإيماني مرور الطيف في وهج الظهيرة، بل لا بد من عودة كاملة إلى الله تعالى، ليتحقق للإنسان السمع والطاعة بكل حب وامتثال.

الفصل الأول

فضل من حفظ فرجه خوفًا من الله ﷻ

تمهيد

كم يرتاح الإنسان نفسيًا، ويطمئن قلبه إذا ما وقع بصره فجأة على ما يثير كوامن الغريزة فيصرف الإنسان بصره ابتغاء مرضاة الله، إن الذي يصرف بصره عن كل منظر محرَّم من صورة فاتنة أو امرأة متبرجة، أو منظر لا يليق أن يُنظر إليه، يجد حلاوة الإيمان حقيقية ويشعر بها في قلبه، ويعتزُّ بدينه الذي رفعه هذه الرفعة ونزهه هذه النزاهة، وجعله طاهرًا باطنًا وظاهرًا.

إن العبد المسلم النظيف الحيي العفيف، تجده في منعةٍ من ربهِ، يصرف الله ﷻ عنه البلاء صغيره وكبيره، ويقيه مواطن الهلاك أيًا كانت، ويحفظه من الشائعات والشُّبه التي يتلوث بها الفُسَّاق. وتجده في منعة من الناس، فلا يقذفه إنسان، ولا يتهمه آخر، ويستأمنه القاصي والداني على أي شيء، فهو في الدنيا من أشرف الناس، وفي الآخرة -إن شاء الله- في أعلى الدرجات.

فضل من حفظ فرجه

من كتاب الله تعالى

قال تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

قال السعدي رحمه الله:

"فإن من حفظ فرجه وبصره، طَهُرَ من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، ومن غض بصره أنار الله بصيرته.

ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع دواعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظًا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما أوقعاه في بلايا ومحن"[٢].

---

(١) النور: (٣٠- ٣١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥١٥).

وقال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾[2].

وقال تعالى:

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ* إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[4].

---

(١) المعارج (٢٩- ٣٥).

(٢) النساء (٣١).

(٣) المؤمنون (١- ١١).

(٤) الأحزاب (٣٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[3].

(١) النازعات (٤٠- ٤١).

(٢) الرحمن (٤٦).

(٣) التحريم (١٢).

فضل من حفظ فرجه

من حديث رسول الله ﷺ

عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»(١). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

"قال ابن بطال: دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وُقيَ شرهما وُقِيَ أعظم الشر"(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: الإمام العادل..» الحديث، وفيه: «ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله..»(٣).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:

«خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في جبل فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم.. الحديث، وفيه: «وقال الآخر: اللهم إن كنتَ تعلم إني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيتُ فيها حتى جمعتها، فلما قعدتُ بين رجليها قالت: اتقِ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت

(١) البخاري: كتاب الرقاق: باب حفظ اللسان، رقم (٦٤٧٤) -الفتح (١١/ ٣٧٢).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٣) البخاري: كتاب الأذان، باب مَن جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم (٦٦٠)، الفتح (٢/ ١٨٢).

وتركتها، فإن كنت تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فُرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين...» الحديث[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

"وصاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه، وقد شهد الله لمن كان ذلك بأن له الجنة حيث قال:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]. وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة، فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدى، ولا سيَّما وقد قال إنها كانت ابنة عمه فتكون فيه صلة رحم أيضًا، وقد تقدم أن ذلك كان في سنة قحط فتكون الحاجة إلى ذلك أحرى"[3] أ هـ.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا صلَّت المرأة خَمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»[4].

وعن عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) البخاري: كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضيّ، رقم (٢٢١٥)، الفتح (٤/ ٥١٤).

(٢) النازعات (٤٠- ٤١).

(٣) فتح الباري (٦/ ٦٣٤).

(٤) حسن: رواه الإمام أحمد في المسند رقم (١٦٦١)، وحسنهُ الألباني في آداب الزفاف. (٢٨٦) وحسنه كذلك الشيخ علي بن محمد المغربي في الصحيح المسند من فضائل الأعمال (٢/ ٣٩٠).

«اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمنْ لكم الجنة: أصدُقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»[1]

(١) حسن: رواه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الوديعة، باب ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات رقم (١٢٦٩١)، ورواه الإمام أحمد في المسند رقم (٢٢٦٥٦)، وقال الشيخ حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠١٨)، والصحيحة رقم (١٤٧٠).

عفة يوسف عليه السلام - قدوة تُحتَذى

قال تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. إلى قوله:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ﴾[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

"وقد ذكر الله ﷻ عن يوسف الصدِّيق عليه السلام من العفاف أعظم ما يكون، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فإنه عليه السلام كان شابًا، والشباب مركز الشهوة، وكان عزبًا ليس عنده ما يعوِّضه، وكان غريبًا عن أهله ووطنه، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحيي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم، فإذا تغرَّب زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك، وكانت هي المطالبة فيزول بذلك كلفة تعرّض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التي تزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون، وزادَت مع تغليق الأبواب لتأمن هجوم الداخل على بغتة، وأتته بالرغبة والرهبة، ومع هذا كله فعفَّ لله ولم يُطعها، وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله، وهذا أمر لو ابتُليَ به سواه لم يُعلمَ كيف كانت تكون حاله"[2].

---

(١) يوسف (٢٣- ٣٣).

(٢) روضة المحبين: ص (٢٧٣).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:

"قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[1].

ظاهر هذه الآية الكريمة قد يفهم منه أن يوسف -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- همَّ بأن يفعل مع تلك المرأة مثل ما همَّت هي به منه، ولكن القرآن العظيم بيَّن براءته عليه السلام من الوقوع فيما لا ينبغي، حيث بيَّن شهادة كل من له بالمسألة ببراءته، وشهادة الله له بذلك واعتراف إبليس به، أما الذين لهم تعلُّق بتلك الواقعة فهم:

يوسف والمرأة وزوجها، والنسوة، والشهود.

أما جزم يوسف عليه السلام بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله:

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[2]، وقوله:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾[3]

وأما اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة:

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[4]، وقولها:

﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[5].

---

(١) يوسف (٢٤).

(٢) يوسف (٢٦، ٣٣).

(٣) يوسف (٣٢).

(٤) يوسف (٣٢)

(٥) يوسف (٥١).

وأما اعتراف زوج المرأة ففي قوله:

﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ * يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾[1].

وأما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[2].

وأما شهادة الله ﷻ ببراءته ففي قوله:

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾"[3].

(١) يوسف (٢٨،٢٩)

(٢) يوسف (٢٦).

(٣) يوسف (٢٤).

الأمر بالعفة

قال تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]

قال السعدي رحمه الله:

"هذا حكم العاجز عن النكاح أمره الله أن يستعفف، أي: أن يكُفَّ عن المحرَّم، ويفعل الأسباب التي تكفّه عنه، ومَن صرف دواعي قلبه بالأفكار التي تخطر بإيقاعه فيه، ويفعل أيضًا كما قال النبي ﷺ: « يا معشرَ الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[2].

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وعدٌ للمستعفف أن الله سيغنيه وييسر له أمره، وأمرٌ له بانتظار الفرج لئلا يشقّ عليه ما هو فيه"[3].

وقال الزمخشري رحمه الله:

(وَلْيَستعفِف): وليجتهد في العفة وظلف النفس، كأن المستعفَّ طالبٌ من نفسه العفاف وحاملها عليه.

(لَا يجدون نكاحًا) أي استطاعة تزوُّج، ويجوز أن يُراد بالنكاح ما يُنكح به من المال.

---

(١) النور (٣٣).

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (٥١٦).

(حتى يغنيهم الله من فضله): ترجيةٌ للمستعفين وتقدمة، ووعدٌ بالتفضُّل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لُطفًا لهم في استعفافهم وربطًا على قلوبهم، وما أحسن ما رتَّب هذه الأوامر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية، وهو غض البصر، ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام، ثم بالحمل على النفس الأمّارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه"[1].

(١) الكشاف (٣/ ٦٥).

الفصل الثاني

وعيدُ من لم يحفظْ فَرجَه

تمهيد

ألا يكفي وعيدًا أن نعلم أن الزنا من أعظم الكبائر ؟! ثم ألا يكفي أيضًا أن أمة لوط - عليه السلام- كانت من أشد الأمم عذابًا لفعلتها الشنعاء، التي ما اقترفها قبل ذلك أحد من البشر؟! ألا يكفي وعيدًا هذه الأمراض المستعصية والمستجدة؟! ألا يكفي هذا التهديد والتحذير الذي نقرؤه صباح مساء في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله ﷺ لمن أتبَع نفسه هواها؟!

ألا يكفي أن نعلم أنه ما من بيتٍ كُسيَ سوادًا وفاحت رائحة هتك عرضه إلا وكان رب هذه الأسرة قد ألمَّ بأعراض الناس، فَأُلِمَّ بعرض أهل بيته وذلك على الغالب، وهذا في حق من لم يتب من فحشه وأصر على ذنبه وأطاع هواه. ألا يعلم هذا العاصي ماله عند الله إذا ما أصر على ذنبه؟! ألم يسمع بنار وقودها الناس والحجارة؟! ألا يعرف هذا المخمور السكران أنه بفجوره هذا سيكون حطبًا لنار الجحيم؟! ألا يعلم هذا المسرف على نفسه أن الموت آتيه لا محالة، فما الذي سيجيب به إن سأله الله ﷻ عن ذنوبه؟!، ولله دَرُّ من قال يخاطب نفسه:

ألـم يأن لي يا نفـس أن أتنبَّـها ... وأن أترك اللّهوَ المُضرَّ لِمَن لَها
أرى عملي للشـر مـني بشـهـوةٍ ... ولسـتُ أروم الخـيرَ إلا تكـرُّها
كفى بامرئٍ جهلاً إذا كان تابعًا ... هواه من الدنيا إلى كل ما اشتهى
وفـي كـل يوم عـبرة بعـد عـبرة ... وفي الموت ناه للفتى لو هو انتهى

- وصف من لم يحفظ فرجه ووعيده من كتاب الله ﷻ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"وأما أهل الفواحش الذين لا يحفظون فروجهم فقد وصفهم الله بالسكرة والعمه والجهالة وعدم العقل وعدم الرشد، والبغض، وطمس الأبصار".

هذا مع ما وصفهم به من الخبث والفسوق، والعدوان، والإسراف، والسوء، والفحش، والفساد، والإجرام، فقال عن قوم لوط:

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1]، وقال:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]. وقال: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[3]، وقال:

﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾[4]، وقال: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[5]، وقال:

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[6]، وقال:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[7]، وقال:

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[8].

---

(١) النمل (٥٥).

(٢) الحجر (٧٢).

(٣) هود (٧٨).

(٤) القمر (٣٧).

(٥) الأعراف (٨١).

(٦) الأعراف (٨٤).

(٧) الأنبياء (٧٤).

(٨) العنكبوت (٢٩).

وقال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

وقال:

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[2]. وقال:

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾[3] .. أ هـ. من كلام شيخ الإسلام.

وقال ﷻ:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[4].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

"أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولُواط، لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، أو ما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لومَ عليه ولا حرج، ولهذا قال (فإنَّهُم غَيْرَ مَلومينَ. فَمَن ابتَغى وَرَاء ذلكَ) أي غير الأزواج والإماء (فأُولئِكَ هُمُ العَادونَ) أي المعتدون"[5] أهـ.

وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[6].

(١) العنكبوت (٣٠).
(٢) العنكبوت (٣٤).
(٣) الذاريات (٣٤).
(٤) المؤمنون (٥- ٧).
(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٣).
(٦) الشمس (٩، ١٠).

قال السعدي رحمه الله:

"﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنُّس بالرذائل، والدنوِّ من العيوب والذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها"[1] إلى غير ذلك من الآيات كثير جدًا.

- وعيد من لم يحفظ فرجه من حديث رسول الله ﷺ:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم- قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخٌ زانٍ وملكٌ كذاب، وعائل مستكبر»[2].

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ أخوَف ما أخافُ على أمتي عَمَلَ قومِ لوط»[3].

وعن أبي برزة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«إنما أخشى عليكم شهوات الغيِّ في بطونكم، وفُروجِكم، ومضلات الهوى»[4].

وعن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

«وأما المهلِكات: فشحٌ مُطاع، وهوىً مُتبَّع، وإعجاب المرء بنفسه»[5]

(١) تفسير السعدي (٨٥٦).

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله، ص ٩٧.

(٣) سيأتي تخريجه إن شاء الله، ص ١٠٥.

(٤) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده رقم (١٩٦٦١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٤٩).

(٥) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٥٠).

إلى غير ذلك من الأحاديث مما هو مذخور في كتب السنة كثير جدًا، فما أكثر الأخبار التي تحذِّر من الزنا واللُّواط وإتيان البهائم والسُّحاق، والعادة السرية، وإتيان النساء في أدبارهن ووقت الحيض والنفاس، منها ما هو صريح في التحريم، ومنها ما يندرج تحته هذا التحريم.

ونجد في هذه الأحاديث الترهيب الشديد، والوعيد الأكيد لمن تجرأ على مفارقة هذه الفواحش، تارة باللعن، وتارة بالجلد، وتارة بالرجم، وتارة بالتعزير، إلى غير ذلك من الأحكام القاسية والرادعة، التي يستحقها كل من بارز الله تعالى بهذه العظائم من الذنوب.

المتعة الزائفة

يقول ابن الجوزي رحمه الله:

"تذكَّرتُ في سبب دخول جهنم فإذا هو المعاصي، فنظرت إلى المعاصي فإذا هي حاصلة من طلب اللذات، فنظرت إلى اللذات فرأيتها خدعًا ليست بشيء وفي ضمنها من الأكدار ما يصيرها نغصًا فتخرج عن كونها لذّات.

فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضى بجهنم لأجل هذه الأكدار؟! فمِن اللذّات الزنا، فإن كان المراد إراقة الماء فقد يُراق في حلال، وإن كان في المعشوق فمُراد النفس دوام البقاء مع المعشوق، فإذا هي ملكته فالمملوك مملول، وإن هو قاربه ساعة ثم فارقه فحسرة الفراق تربو على لذّة القرب وإن كان له ولد من الزنا، فالفضيحة الدائمة، والعقوبة التامة، وتنكيس الرأس عند الخالق والمخلوق. وأما الجاهل فيرى لذّته في بلوغ ذلك الغرض، وينسى ما يُجنى ممّا يُكدِّر عيش الدنيا والآخرة.

فالعجب ممن يُؤثر لذّة ساعة تجني عقابًا وذهاب جاه، وعلى هذا فقس جميع المذوقات، فإن لذّاتها إذا وزنت بميزان العقل لا تفي بمعشار عشر عواقبها القِباح في الدنيا والآخرة، ثم هي ليسّت بكثير شيء، فكيف تُباع الآخرة بمثل هذا؟!

سبحان من أنعم على أقوام كلما لاحت لهم لذة نصبوا ميزان العقل ونظروا فيما يجني، وتلمحوا ما يؤثر تركها، فرجحوا الأصلح، وطمس على قلوب فهي ترى الشيء وتنسى جناياته"[1].

---

(١) صيد الخاطر: ص (٣٧٥- ٣٧٦).

البــاب الثالث

مِمَّ يُحفظ الفَرْج

البَــاب الثَّــالث

مِمَّ يُحفَـظُ الفَـرْجِ؟!/ تمهيد

الفصل الأول /

حفظ الفرج عن الزنا:

- تمهيد
- تحريم الزنا
- عقوبة الزنا

الفصل الثاني/

حفظ الفرج عن اللواط:

- تمهيد
- شناعة هذه الجريمة وقبحها
- من أضرار اللواط
- عقوبة اللواط

الفصل الثالث/

حفظ الفرج عن إتيان البهيمة

- تمهيد
- من وقع على بهيمة فاقتلوه

الفصل الرابع/

حفظ الفرج عن جماع الحائض والنفساء

- تمهيد
- ولا تقربوهن حتى يطهرن

الفصل الخامس/

حفظ الفرج عن إتيان المرأة في الدبر

- تمهيد
- التحريم القاطع لهذا الفعل
- الجزاء من جنس العمل

الفصل السادس/

حفظ الفرج عن العادة السرية

- تمهيد
- تحريم هذه العادة السيئة
- الأضرار الناتجة من هذه العادة السيئة
- اكثر من الاستغفار فإنه يمحو الذنوب وتب إلى ربك

الفصل السابع/

حفظ الفرج عن السحاق

- تمهيد
- من يشُكّ في تحريم هذا الوباء؟!

الباب الثالث

مِمَّ يُحفَظُ الفَرْجُ؟!

تمهيد

يقول فضيلة الدكتور القرضاوي حفظه الله تعالى:

"خلق الله الإنسان ليستخلفه في الأرض ويستعمره فيها، ولن يتم هذا إلاَّ إذا بقي هذا النوع، واستمرَّت حياته على الأرض يزرع ويصنع ويبني ويعمِّر، ويؤدي حق الله عليه، ولكي يتم ذلك ركب الله في الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية، تسوقه بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فردًا، وبقاءه نوعًا.

والغريزة الجنسية التي بالاستجابة لها يبقي نوعه، وهي غريزة قوية عاتية في الإنسان، ومن شأنها أن تطلب متنفسًا تؤدي فيه دورها، وتُشبع نهمها، وكان لا بد للإنسان أن يقف أمامها أحد مواقف ثلاثة:

١- فإمَّا أن يطلق لها العنان تسبح أين شاءت وكيف شاءت، بلا حدود توقفها، ولا روادع تردعها من دينٍ أو خُلُقٍ أو عُرف، كما هو الشأن في المذاهب الإباحية التي لا تؤمن بالدين ولا بالفضيلة، وفي هذا الموقف انحطاط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان، وإفساد للفرد والأسرة، وللجماعة كلها.

٢- وإما أن يصادمها ويكبتها، كما هو الشأن في مذاهب التقشُّف والحرمان والتشاؤم كالمانوية والرهبانية ونحوهما، وفي هذا الموقف وأدٌ للغريزة، وتعطيل لعملها، ومنافاة لحكمة من ركبها في الإنسان وفطرهُ عليها، ومُصادمة لسنة الحياة التي تستخدم هذه الغرائز لتستمر في سيرها.

٣- وإمَّا أن يضع لها حدودًا تنطلق في داخلها، وضمن إطارها، دون كبت مرذول، ولا انطلاق مجنون، وهذا الموقف هو العدل والوسط، فلولا شُرِع الزواج ما أدّت الغريزة دورها في استمرار بقاء الإنسان.. ولولا تحريم السِّفاح وإيجاب اختصاص المرأة برجل واحد ما نشأت الأسرة التي تتكون في ظلالها العواطف الاجتماعية الراقية من مودة ورحمة وحنان وحُب وإيثار، ولولا الأسرة ما نشأ المجتمع، ولا أخذ طريقه إلى الرُقيّ والكمال»[١]. أهـ.

(١) الحلال والحرام في الإسلام (١٤١- ١٤٢).

الفصل الأول

حِفظ الفَرج عن الزنا

تمهيد:

إن الزنا لا يعدو أن يكون لذة من لذائذ الحياة الآثمة عند هؤلاء النفر ضِعاف الإيمان، وساقطي الرُّجولة والشهامة.

فإن الزاني عندما ينزع عن لقيطته، ويهجر على خجل فراش عشيقته، يعاني ويلات هذه الفعلة القبيحة، فتصبح معشوقته أبغض الناس إلى قلبه، وينظر إلى نفسه نظرة ازدراء واحتقار، بل سفه وجنون! ويرى أنه أحقر خلق الله، وودَّ لو قرض ما أوداه إلى هذا المصير بالمقاريض، ويصبح أسير الخوف والهلع من نظرات الناس أن يكونوا كشفوا أمره، وتفارقه فكرة الزواج خوفًا أن يكون أُلِمَّ بعرضه ما ألَمَّ بعرض غيره، فيصبح أسير الوساوس والقلاقل الحياتية والنفسية فتفارقه الراحة، ويخلد في مستنقعه الآسن مرة أخرى.

مع أنه كان المفروض أن يكون هذا الشعور المخيف، والتأنيب الذريع بداية بصيص من الأمل يجلب له الوقوف عند هذا الحد من الانحلال، والتفكير في التوبة، ولكن جزاء السيئة سيئة أخرى مثلها، وهذه إحدى العواقب التي يتكردَس بسببها صاحبها في بحار الجحيم.

إن الزاني فاقد الرجولة والشهامة، والعزيمة والإرادة، منحط الأخلاق، عديم الحياء، جبان غالبًا كان أو مغلوبًا، حقيرٌ رئيسًا كان أو مرؤوسًا، محروم من الهيبة والوقار، وضيع الجانب عظيم العار، استحقَّ المقت والسخط والعذاب، نُزِع من قلبه كل شفقة ورحمة فهو ذئب متلفّع برداء الشرف وحب الناس، فإذا ما اختلى بفريسته، داس الشرف والعِرض والفضيلة بقدمه، وتَجلْبَبَ بالذلِّ والمهانة والخِسَّة، حتى صار كالكلب

الضاري المسعور، فإذا ما شبع وثمل وأنهدّ، ذهب مطأطئ الرأس يجر قدميه كالخنزير المهين الدّنيء الحقير.

والفرق بينه وبين الشريف الحيي العفيف، جهاد ساعة!

فاللهم احفظنا بحفظك، وثبتنا على طريقك حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا. اللهم آمين!

تحريم الزِّنا

يُعرِّف الراغب الأصفهاني الزنا فيقول: "هو وطء المرأة من غير عقد شرعي"[1]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عنه سلَمة بن قيس:

«ألاَ إنما هي أربع: لا تُشركوا بالله شيئًا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا»[4].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخٌ زانٍ، وملِك كذّاب، وعائل مُستكبر»[5].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ص (٣٨٤).

(٢) الإسراء: (٣٢).

(٣) الفرقان: (٦٨).

(٤) صحيح: رواه الإمام أحمد في المسند رقم (١٨٨٩٠)، وقال المحقق، إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٠) والصحيحة (١٧٥٩).

(٥) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية رقم (١٠٧)، نووي (٢/ ١١٥).

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: «قلتُ يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك. قلتُ: ثم أيّ؟
قال: أن تقتل وَلَدَك من أجل أن يطعم معك. قلت: ثم أيّ؟
قال: أن تزاني حليلة[1] جارك»[2].

إذًا فليخسأ دَعاة العهر والدعارة إلى غير رجعة، فهذا هو ديننا الحنيف، وهذه هي القوانين الإلهية تجيء لدحض هذه الشُبه والافتراءات التي تنبجس من قلوب تقطر حقدًا وحسدًا وغيظًا على الإسلام وأهله، وهذه هي وصايا من لا ينطق عن الهوى، ينزهنا عن هذه البراثن المقيتة، فيا أدعياء الضلالة، إن الواقع خير شاهد على بطلان دعاويكم التحررية من كل شرف وفضيلة، فضلاً عن كتاب ربنا ﷻ وعن سنة نبيِّنا ﷺ، فموتوا كمَدًا مثلما ماتت مُهاتراتكم كلما بزغ الحق ولاح.

- عقوبة الزُنا

سنفرد فيما بعد بابًا كاملاً لهذا العقوبات والأضرار التي يحصدها هذا المسكين جرّاء هذه الفواحش والأوابد[3] القذرة.

ولكن مما يضاف إلى هذه العقوبات، والحدود المتعلقة بهذه الفواحش كلٌ على حدة، وعقوبة الزنا التي قررها الله ﷻ وشدد في تطبيقها بصورة تدعو إلى الوله[4] والرعب، مما يدل على شناعة هذه الكبيرة،

(١) ليس معنى هذا أن الزنا بغير حليلة الجار مشروع، ولكن الحديث يبين أن هذه الصورة من أشنع صور الزنا.

(٢) البخاري: كتاب الحدود، باب إثم الزنا رقم (٦٨١)، الفتح (١٢/ ١٣٦).

(٣) الأوابد: الوحشيات- مفردات ألفاظ القرآن (٥٩).

(٤) الوله: الحزن أو ذهاب العقل حزنًا، والحيرة والخوف- القاموس المحيط (١٦٢١).

قال تعالى:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1].

يقول سيِّد قُطُب رحمه الله:

"فهي الصَّرامة في إقامة الحدود، وعدم الرأفة في أخذ الفاعلين بجرمهما، وعدم تعطيل الحدّ أو الترفُّق في إقامته تراخيًا في دين الله وحقه، وإقامته في مشهد عام تحضره طائفة من المؤمنين، فيكون أوجع وأوقع في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين.

والإسلام وهو يضع هذه العقوبات الصارمة الحاسمة لتلك الفَعلة المستنكرة الشائنة لم يكن يغفل الدوافع الفِطرية أو يحاربها، إنما أراد الإسلام محاربة الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد، أو لا تهدف إلى إقامة بيت وإنشاء حياة مشترَكة" [2] أهـ.

فحدّ الزنا على درجات كما بين العلماء، وليس المقام سرد الأقوال والاختلافات، ولكنه التنويه بحجم هذه العقوبة الشرعية، ولعذاب الآخرة لمن نجا من عقوبة الدنيا ولم يتب أشد وأخزى.

فيا له من منظر مروِّع فظيع، إذا ما شُدَّت الثياب، وعلت السياط كل مكان في الجسم! تُستلّ الروح مع كل سوط، ومع كل نظرة شامتة وضحكة ساخرة من صراخك وشكلك المُضحك المبكي، أما عند الرجم فحدِّث ولا حرج عن الموت قبل الموت!

---

(١) النور: (٢).

(٢) في ظلال القرآن (٢٤٨٨- ٢٤٨٩) بتصرُّف.

- حد البكر: قال تعالى:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

والآية صريحة في أن البكر إذا زنى فإنه يجلد مائة جلدة سواء كان ذلك في الرجال أو النساء.

- الجمع بين الجلد والتغريب

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

"فأما إذا كان بكرًا لم يتزوج فإن حده مائة جلدة -كما في الآية- ويزداد على ذلك أن يُغرَّب عامًا عن بلده عند جمهور العلماء، وحجة الجمهور في ذلك حديث أبي هريرة وزيد بن خالد أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس فقال: يا رسول الله اقضِ بكتاب الله، فقام خصمه فقال: صدق، اقضِ له يا رسول الله بكتاب الله، إن ابني كان عسيفًا[2] على هذا فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديتُ بمائة من الغنم ووليدة، ثم سألت أهل العلم فزعموا أن ما على ابني جلد مائة وتغريب عام، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما بكتاب الله، أما الغنم والوليدة فردٌّ عليك وعلى ابنكَ جلد مائة وتغريب عام، وأما أنت يا أُنيس فاغدُ إلى امرأة هذا فارجمها، غدا أُنيس فرجمَها»[3].

وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة جلدة إذا كان بكرًا لم يتزوج"[4].

---

(١) النور (٢).

(٢) عسيفًا: الأجير- القاموس (١٠٨٢).

(٣) البخاري: كتاب الحدود، باب من أمر غير الإمام بإقامة الحد عنه رقم (٦٨٣٥)، الفتح (١٢/ ١٩٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٢).

- الرَّجم للمُحصَن:

وأما الرجم فهو مُجمع عليه كما ذكره الشوكاني في "نيل الأوطار" والأحاديث في هذا مشهورة، وذهب كثير من العلماء إلى أنه يجب الجمع بين الجلد والرجم ذكر ذلك الشوكاني في نيل الأوطار، وذكر الخلاف في ذلك ورجَّحَ الجمع بين الجلد والرجم[1].

---

(١) نيل الأوطار (٧/ ٢٥٤).

الفصل الثاني

حفظ الفرج عن اللواط

تمهيد

نعوذ بالله العليّ العظيم من الشيطان اللعين الرجيم، من همزهِ ونفخِهِ ونفثِهِ ومن كل كيدٍ كاد به العالمين.

هذا الشيطان الرجيم ما رضيَ لبني آدم ما أوقعهم فيه من الزنا وسائر ما يجنونه من وراء هذه الكبيرة من فساد الأخلاق وكساد المجتمع من كل شرف وكرامة، حتى راح يلعب بفريسته كما يلعب الصبيان بالكرة يركله هنا وهناك، حتى جرَّ هذا المسكين غائب العقل والدين، منكوس الفطرة، مسلوب الإرادة، وأسود الجبين، إلى هذا الفعل المشين، حتى يصبح لسائر أسماء الخسّة قمين[1]، وسوف يعاين يوم الدين صنوف الخزي والعذاب والنكال المهين.

فهو في الدنيا في صورة آدمي، ومُخنَّث في مسلاخ رجل، ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[2]، وفي الآخرة، يلقى مع خِدنِهِ في نار جهنم ثم يقال لهم: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

ألهذا الحد وصل الأمر بشباب المسلمين؟! ونحن خير أمة أخرجت للناس؟! فيا عين فلتبكي، ولتذرفي الدمع على شباب الإسلام.

---

(١) القمين: الخليق الجدير، القاموس المحيط (١٥٨١).

(٢) الأعراف (١٧٦).

(٣) الطور (١٦).

فوالله الذي لا إله إلا هو لو علِمَ شباب الإسلام قدر المهام التي ضاعت بضياعهم، وصدارة الدنيا التي اندثرت باندثارهم لرجعوا إلى ربهم ولأنابوا إلى رشدهم وخالقهم، ولكن.. وما لجرح بميتٍ إيلام!!

لقد صدق والله الوليد بن عبد الملك حين قال: لولا أن الله ﷻ قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرا.

إي والله! فالعقل نفسه لا يقبل أن يتخيل هذه الفاحشة، فكيف بمن يواقعها؟! أسأل الله تعالى أن ينزه عقولنا وأفعالنا عن كل سوء.

-شناعة هذه الجريمة وقُبحها.

قال تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ *إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [1].

ولكنهم تمادوا في فحشهم وغيهم فسيموا مر العذاب الرهيب، يقول ابن حجر الهيثمي -رحمه الله-: "قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [2] أي أمر الله تعالى جبريل: بأن يقلع قراهم من أصلها فاقتلعها وصعد بها على خافقة من جناحه إلى أن سمع أهل سماء الدنيا أصوات حيواناتهم ثم قلبها بهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [3] أي من طين محرق بالنار (مَّنضودٍ) أي متابع يتلو بعضه بعضًا، (مُّسَوَّمَةً) أي مكتوبًا على كل منها اسم من

(١) الأعراف (٨١،٨٠).

(٢) هود (٨٢)

(٣) هود (٨٢)

يصيبه، أو معلَّمة بعلامة يُعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا، (عِندَ رَبِّكَ) أي في خزائنه التي لا يُتصرَّف فيها إلا بإذنه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[1] أي وما أصحاب تلك القرى من الكافرين الظالمين ببعيد، وقيل: ما هي ببعيد من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حلَّ بأولئك من العذاب"[2].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط»[3].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

«ملعون من سبَّ أباه، ملعون من سبَّ أمه، ملعون من ذبَح لغير الله، ملعون من غير تخوم الأرض، ملعون من عمل بعمل قوم لوط»[4].

- من أضرار اللّواط:

قال السيد سابق حفظه الله:

"وهذه الأضرار نذكرها ملخصة من كتاب (الإسلام والطب) للدكتور محمد وصفي فيما يلي:

(١) هود (٨٣).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٧٨٧).

(٣) حسن: رواه الترمذي في أبواب الحدود، باب ما جاء في حدّ اللوطي رقم (١٤٨٢) وقال: حسنٌ غريب – تحفة الأحوذي (٥/ ١٩)، والحديث في المسند رقم (١٥٠٣١)، وقال المحقق: إسناده حسن، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجة رقم (٢٠٩٣) وصححه في صحيح الجامع (١٥٥٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد في المسند رقم (٢٩١٦)، وقال العلاَّمة أحمد شاكر: إسناده صحيح، والحديث في مشكاة المصابيح: كتاب الحدود –الفصل الثالث رقم (٣٥٨٣) وهو في صحيح الجامع (٥٨٩١).

- **الرغبة عن المرأة:**

من شأن اللواطة أن تصرف الرجل عن المرأة، وقد يبلغ به الأمر إلى حد العجز عن مباشرتها، وبذلك تتعطل أهم وظيفة من وظائف الزواج وهي إيجاد النسل.

ولو قُدِّرَ لمثل هذا الرجل أن يتزوج، فإن زوجته تكون ضحية من الضحايا، فلا تظفر بالسكن ولا بالمودة، ولا بالرحمة التي هي دستور الحياة الزوجية، فتقضي حياتها معذَّبة معلقة، لا هي متزوجة ولا مُطلقة.

- **التأثير في الأعصاب:**

وإن هذه العادة تغزو النفس، وتؤثر في الأعصاب تأثيرًا خاصًا، أحد نتائجه الإصابة بالانعكاس النفسي في خلُق الفرد، فيشعر في صميم فؤاده بأنه ما خُلِق ليكون رجلاً، وينقلب الشعور إلى شذوذ، وبه ينعكس شعور اللائط انعكاسًا غريبًا، فيشعر بميل إلى بني جنسه، وتتجه أفكاره الخبيثة إلى أعضائهم التناسلية.

ومن هذا تستطيع أن تتبين العلّة الحقيقية في إسراف بعض الشبان الساقطين في التزيُّن، وتقليدهم النساء في وضع المساحيق المختلفة على وجوههم، ومحاولتهم الظهور بمظهر الجمال بتحمير أصداغهم، وتزجيج حواجبهم وتثنيهم في مشيتهم .. إلى غير ذلك مما نشاهده جميعًا في كل مكان، وتقع عليه أبصارنا في كثير من الأحيان.

ولا يقتصر الأمر على إصابة اللائط بالانعكاس النفسي، بل هناك ما تسببه هذه الفاحشة من إضعاف القوى النفسية الطبيعية في الشخص كذلك، وما تجعله عُرضة للإصابة بأمراض عصبية شاذة وعلل نفسية شائنة، تفقده لذة الحياة، وتسلبه صفة الإنسانية والرجولة، فتحيي فيه لوثات وراثية، وتظهر عليه آفات عصبية كامنة تبديها هذه الفاحشة وتدعو إلى تسلطها عليه.

- التأثير على المخ:

واللواط بجانب ذلك يسبب اختلالاً في توازن عقل المرء، وارتباكًا عامًا في تفكيره، وركودًا غريبًا في تصوراته، وبلاهة واضحة في عقله، وضعفاً شديدًا في إرادته. وإن ذلك ليرجع إلى قلة الإفرازات الداخلية التي تفرزها الغدة الدرقية والغدد فوق الكلى وغيرها مما يتأثر باللواط تأثيرًا مباشرًا، فيضطرب عملها، وتختل وظائفها.

- عدم كفاية اللواط:

اللواط علة شاذة وطريقة غير كافية لإشباع العاطفة الجنسية، وذلك لأنها بعيدة الأصل عن الملامسة الطبيعية، لا تقوم بإرضاء المجموع العصبي، شديد الوطء على الجهاز العضلي، سيئة التأثير على سائر أجزاء البدن.

- ارتخاء عضلات المستقيم وتمزقه:

وإنك إذا نظرت إلى اللواط من ناحية أخرى وجدته سببًا في تمزق المستقيم وهتك أنسجته، وارتخاء عضلاته، وسقوط بعض أجزائه، وفقد السيطرة على المواد البرازية، وعدم استطاعة القبض عليها، ولذلك تجد الفاسقين دائمي التلوث بهذه المواد المتعفنة بحيث تخرج منهم بغير إرادة أو شعور.

- علاقة اللواط بالأخلاق

واللواط لوثة أخلاقية، ومرض نفسي خطير، فتجد جميع من يتصفون به سيئي الخلق فاسدي الطباع، لا يكادون يميزون بين الفضائل والرذائل، ضعيفي الإرادة ليس لهم وجدان يؤنبهم، ولا ضمير يردعهم، ولا يتحرج أحدهم ولا يردعه رادع نفسي عن السطو على الأطفال والصغار، واستعمال العنف والشدة لإشباع عاطفته الفاسدة، والتجرؤ على ارتكاب الجرائم التي نسمع عنها كثيرًا ونطالع عنها كثيرًا، ونطالع أخبارها في الجرائد السيارة وفي غيرها، وتجد تفاصيل حوادثها في المحاكم وفي كتب الطب.

- **اللواط وعلاقته بالصحة العامة:**

واللواط فوق ما ذكرتُ يصيب مقترفيه بضيق الصدر ويرزؤهم بخفقان القلب، ويتركهم بحال من الضعف العام يعرضهم للإصابة بشتى الأمراض ويجعلهم نهبة لمختلف العلل والأوصاب.

- **التأثير على أعضاء التناسل:**

ويُضعف اللواط كذلك مراكز الإنزال الرئيسية في الجسم، ويعمل على القضاء على الحيوية المنوية فيه، ويؤثر على تركيب مواد المني، ثم ينتهي الأمر بعد قليل من الزمن بعدم القدرة على إيجاد النسل، والإصابة بالعقم، مما يحكم على اللائطين بالانقراض والزوال.

- **التيفود والدوسنتاريا:**

ونستطيع أن نقول: إن اللواط يسبب بجانب ذلك العدوى بالحمى التيفودية والدوسنتاريا وغيرها من الأمراض الخبيثة التي تنقل بطريق التلوث بالمواد البرازية بمختلف الجراثيم، المملوءة بشتى أسباب العلل والأمراض.

- **أمراض الزنا:**

ولا يخفى أن الأمراض التي تنتشر بالزنا يمكن أن تنتشر كذلك بطريق اللواط، وتصيب أصحابه فتفتك بهم فتكًا ذريعًا، فتبلى أجسامهم، وتحصد أرواحهم.

مما تقدم نتبين حكمة التشريع الإسلامي في تحريم اللواط، وتظهر دقة أحكامه في التنكيل بمقترفيه، والأمر بالقضاء عليهم، وتخليص العالم من شرورهم"[1].

(١) فقه السنة (٢/٤١٨- ٤٢٠).

ومن هنا نعرف خطورة هذه الفاحشة وقد أوضح قُبح هذه الفعلة الحافظ ابن حجر فقال:"لا خلاف بين الأمة أن اللواط أعظم إثمًا من الزنا"(١).

- **عقوبة اللواط**

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»**(٢).

قال الشوكاني:

"وما أحق مرتكب هذه الجريمة ومقارف هذه الرذيلة الذميمة بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويعذب تعذيبًا يكسر شهوة الفسقة المتمردين، فحقيق بمن أتى بفاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يَصلَى من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشابهًا لعقوبتهم، وقد خَسَفَ الله تعالى بهم واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيِّبهم"(٣).

وقال أيضا رحمه الله:

وقد اختلف أهل العلم في عقوبة الفاعل للواط والمفعول به بعد اتفاقهم على تحريمه وانه من الكبائر للأحاديث المتواترة في تحريمه، ولعن فاعله، فذهب من تقدم ذكره من الصحابة إلى أن حده القتل ولو كان بكرا سواء كان فاعلاً أو مفعولاً به، وإليه ذهب الشافعي والناصر والقاسم بن إبراهيم، واستدلوا بما ذكره المصنف وذكرناه في هذا

---

(١) فتح الباري (١٢/١٣٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الحدود باب فيمن عمل عمَل قوم لوط رقم (٤٤٥٠)- عون المعبود (١٢/٩٩)، ورواه الترمذي: أبواب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي رقم (١٤٨١) – تحفة الأحوذي (٥/١٧)، والحديث في سنن الدارقطني: كتاب الحدود والديات رقم (٣٢٠٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٣٥٠).

(٣) نيل الأوطار (٧/٢٨٧- ٢٨٨).

الباب، وهو بمجموعه ينتهض للاحتجاج به... وقد حكى صاحب الشفاء إجماع الصحابة على القتل"[1].

وردّ على مذهب من يقول أن حدّ اللواط مثله مثل الزنا يرجم المحصن ويجلد البكر فقال:

"ويجاب عن ذلك بأن الأدلة الواردة بقتل الفاعل والمفعول به مطلقًا مخصصة لعموم أدلة الزنا الفارقة بين البكر والثيب على فرض شمولها للوطي، ومبطلة للقياس المذكور على فرض عدم الشمول، لأنه يصير فاسد الاعتبار كما تقرر في الأصول"[2].

وهذا القول هو ما رجحه العلامة بكر أبو زيد –حفظه الله– فقال:

"عقوبة اللوطي القتل بكل حال لدلالة السنة والإجماع وقاعدة الشريعة المطردة، وهذا القول هو الذي يظهر لي –والله أعلم– لقوة أدلته وسلامة دلالتها على ما سيقت من أجلهن ولأن أدلة المخالفين لا تنهض على مقاومتها.

وأما صفة القتل، فإن الذي يظهر لي أيضًا –والله أعلم– هو أن هذا عائد إلى رأي الإمام من القتل بالسيف أو رجمًا بالحجارة ونحو ذلك، حسب مصلحة الردع والزجر، والله أعلم"[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم (١٨٩).

الفصل الثالث

حفظ الفرج عن إتيان البَهيمة

تمهيد

يا سبحان الله! حتى البهائم لم تسلم من هذا الطوفان الجنسي المحموم، ما الذي بقي، وإلى أين سيذهب الشيطان بالإنسان بعد ذلك، فسبحانك ربي! إن هذا لشرٌ عظيم!

المرأة وضع الله ﷻ بيننا وبينها حواجز شرعية، من تمسك بها نجا -إن شاء الله- من الاصطدام بالمرأة في أي محذور شرعي.

وكذلك بين الرجال نهانا رسول الله ﷺ أن نصاحب إلا مؤمنًا، وألا يسافر أحدٌ وحده، وأخبر ﷺ أن الراكب شيطان والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب، وجعل الله ﷻ الاستئذان وفصّل أوقاته، ونهى رسول الله ﷺ عن التشبه بالنساء، إلى غير ذلك من الضوابط المرعية التي تكفل لمن تمسك بها -إن شاء الله- أن لا يقع في مثل ما وقع فيه قوم لوط.

ولكن! ما هو الحل مع البهائم، ويا تُرى كيف نلزمها أن تتحفظ لكي لا تنتهك حُرمتُها؟!

فيا أيها الفاحش، تالله إنه لهناك يومًا تشيب منه نواصي الأطفال، لتنقلن إلى ربك رغمًا عنك، ولتمرَّنْ من طريق القبر إلى أرض المحشر إلى الميزان إلى الصراط لتحاسب على فعلك، ولتعاينن عملك يزدريك أمام المظالم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

- من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾[1].

وهذه الآية نص صريح في تحريم هذه الكبيرة، لأن إتيان البهيمة بلا شك من وراء ذلك.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه»[2].

وإن هذا الحد الذي يجب على من فعل هذا الفعل الشنيع قد اختُلف فيه كثيرًا، وقد تعددت فيه الأقوال جدًا، ذكر منها ابن حزم في المحلَّى:

"قالت طائفة: حدُّه حدّ الزاني يُرجم إن أُحصن، ويُجلد إن لم يُحصَن، وقالت طائفة: يُقتل ولا بد، وقالت طائفة: عليه أدنى الحدين أُحصن أو لم يحصن، وقالت طائفة: عليه الحدُّ إلا أن تكون البهيمة له، وقالت طائفة: يعزر إن كانت البهيمة له، وذُبحَت ولم تؤكل، وإن كانت لغيره لم تُذبح، وقالت طائفة: فيها اجتهاد الإمام في العقوبة بالغة ما بلغت، وقالت طائفة: ليس فيه إلا التعزير دون الحدّ"[3] أ هـ. إلى غير ذلك من الأقوال..

(١) المؤمنون (٥- ٧).

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٢٤٢٠)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح وتكلم عليه هناك فلينظر، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحدود باب ما جاء في حدّ اللوطي رقم (١٧٠٢٢)، ورواه أبو داود في كتاب باب فيمن أتى بهيمة رقم (٤٤٥٢)، ورواه الترمذي أبواب الحدود باب ما جاء فيمن يقع على البهيمة رقم (١٤٧٩) تحفة الأحوذي (٥/ ١٦). وصححه الألباني وذلك في بحث مفيد جدًا في الإرواء (٢٣٤٨)، وصححه أيضًا في صحيح الجامع (٥٩٣٨).

(٣) المحلَّى بالآثار (١٢/ ٣٩٧).

ثم أخذ ابن حزم يردّ على هذه الأقوال قولاً قولا، وذهب إلى أن الذي يجب على مَن فعل هذا الفعل من حد أنه يعزر فقال:

"ثم نظرنا في القول الذي لم يبق غيره -وهو أن عليه التعزير فقط- فوجدناه صحيحًا، لأنه قد أتى منكرًا، ولا خلاف بين أحد من الأمة أنه لا يحل أن تؤتى البهيمة أصلاً، ففاعل ذلك الفعل منكر فعليه التعزير"[1]. ولكنه عندما ناقش أصحاب القول الثاني وهم من قالوا بالقتل قال: "لا حجة لهم غير ما ذكرنا، وقد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا ضعف هذه الآثار، ولو صحَّت لقلنا بها ولجارينا عليها، ولما حل خلافها"[2].

إذن الذي جعل الإمام ابن حزم وغيره يرفض هذا القول هو ضعف الأخبار الواردة فيه، ولو صح فيه حديث لأخذ به كما قال.

وقد صح في الباب هذا الحديث المذكور، مال إلى تصحيحه البيهقي، وصححه الألباني والعلامة أحمد شاكر كما ذكرت، وناقشوا العلل التي ضعف الحديث بسببها.

وذكر الشوكاني في"نيل الأوطار":

"والحديث دليل على أنها تُقتَل البهيمة، والعلَّة في ذلك ما روى أبو داود والنسائي أنه قيل لابن عباس: وما شأن البهيمة؟ قال: ما أراه قال ذلك إلا أنه يكره أن يؤكل لحمها، وقد عُمل بها ذلك العمل[3]، وقد تقدم أن العلة أن يقال: هذه التي فُعِلَ بها كذا وكذا!"[4].

(١) المصدر السابق (١٢/ ٣٩٩- ٤٠٠).
(٢) المرجع السابق.
(٣) سبق تخريج الحديث.
(٤) نيل الأوطار (٧/ ٢٩٠).

أليس في ذلك أكبر رادع وزاجر لمن سولت له نفسه الدنيئة أن ينحط إلى هذا المستوى؟!

بلى والله!

وقال الشيخ بكر أبو زيد -حفظه الله- في ترجيحه لهذه المسألة:

"الترجيح: تبيَّنَ من هذا المبحث أن ابن القيم -رحمه الله- حكى ثلاثة أقوال في حكم من أتى بهيمة، وأن ظاهر كلامه اختياره قتل الفاعل بكل حال، وهذا رواية عن أحمد، وقد علق الشافعي الأخذ به على صحة الحديث، وأن ابن القيم -رحمه الله تعالى- قد ساق الحديث في ذلك، وقد ظهر أن هذا الحديث صحيح كما قاله الشوكاني وغيره فيلزم المصير إليه.

وبناءً على هذا:

فإن قول أرباب القول الأول (لم يصح فيه حديث) غير صحيح.

وقول أرباب القول الثاني أن حده كحد الزنا استدلالاً بالقياس قول ضعيف، وقياسهم قياس في مقابلة النص، والعصمة في النص، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة»[1] والله أعلم [2].

(١) سبق تخريجه.

(٢) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم (١٩٣-١٩٤).

الفصل الرابع
حفظ الفرج عن جِماع الحائض والنُّفَساء

تمهيد:

إن الذي ينحط إلى هذا المستوى البهيمي جدير بكل منقصة، فلا شك بعد ذلك الفعل القبيح أن توجد جميع السفاسف الخُلُقية ملتصقة بصاحب هذه الكبيرة القذرة.

ما أعظم هذا الدين، وما أجل هذه الشريعة الغراء السمحة!، نظيفة من كل زيغ، مطهَّرة من كل هوى، يعجز عن وصف كمالها الواصفون، وينبهر من دقتها العارفون، أوامر ونواه وقيود وضوابط ودقة متناهية حيَّرت ذوي الألباب، وصرفت القلوب والأفهام الناصعة إلى شهادة حق ومقولة صدق، إن ذلك الدستور لا طاقة لعقول البشر أن تضع مثله، بل هو من عند خالق الأكوان الحكيم الخبير العليم، ولا يملك الإنسان حيال هذا الدستور الإلهي إلا أن يقول: سمعنا وأطعنا، فالحلال ما أحل الله، والحرام ما حرَّم سبحانه.

علم الله أن هذا الذنب الفاحش فيه من الوباء ما فيه، وَعَلِمَ -جل وعلا- أنه ربما إذا ما لابس الإنسان هذا القذَر ورآه بعينه زهد في أهله، ونفر منهم ربما إلى الأبد.

لذلك على المرأة العاقلة أن تمنع زوجها أن يقربها إذا ما حاضت أو نفَست مهما كلَّفها ذلك، وإلا فلا تندم إذا ما عاينَت قبح جُرمها عند ربِّها، ولا تلطم الخد وتنوح على الغد، إذا ما غدر بها زوجها.

-ولاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يطهُرْنَ":

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ (1).

(1) البقرة (٢٢٢).

قال السعدي رحمه الله:

"يدل على ترك المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السُّرَة والركبة، فينبغي تركه، كما كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض أمرها أن تتزر فيباشرها.

وحدّ هذا الاعتزال وعدم القربان للحيض (حَتَّى يَطْهُرْنَ) أي: ينقطع دمهُنَ، فإذا انقطع الدم زال المنع الموجود وقت جريانه الذي كان لحله شرطان: انقطاع الدم، الاغتسال منه"[(١)] اهـ.

وعن عائشة قالت: «كانت إحدانا إذا كانت حائضًا فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (المراد بالمباشرة هنا التقاء البشرتين لا الجماع)[(٣)].

وفصَّل النووي -رحمه الله- المباشرة فقال:

"اعلم أن مباشرة الحائض أقسام أحدها: أن يباشرها بالجماع في الفرج فهذا حرام بإجماع المسلمين بنص القرآن العزيز والسنة الصحيحة، القسم الثاني: أن يباشرها فيما فوق السرة وتحت الركبة بالذكَر أو بالقبلة أو المعانقة أو اللمس وغير ذلك وهو حلال باتفاق العلماء، القسم الثالث: المباشرة فيما بين السرة والركبة في غير القُبُل والدُّبُر، وفيها ثلاثة أوجه لأصحابنا: أصحها عند جماهيرهم وأشهرها في المذهب أنها حرام، والثاني: أنها ليست بحرام ولكنها مكروهة كراهة تنزيه، وهذا الوجه أقوى من حيث الدليل وهو المختار، الوجه الثالث: إن كان المباشر يضبط نفسه عن الفرج ويثق من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٢).

(٢) البخاري: كتاب الحيض باب مباشرة الحائض رقم (٣٠٢) -الفتح (١/ ٥٣١).

(٣) فتح الباري (٥/ ٥٣٢).

نفسه باجتنابه إما لضعف شهوته، وإما لشدة ورعه جاز وإلا فلا، وهذا الوجه حسَن"[1] أ هـ.

واختار هذا الوجه الأخير الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- فقال في الشرح الممتع على زاد المستقنع: "يجوز أن يستمتع بما فوق الإزار، وبما دون الإزار، إلا أنه ينبغي أن تكون متزرة لأنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر عائشة -رضي الله عنها- أن تتزر فيباشرها وهي حائض، وأمره صلى الله عليه وسلم لها بأن تتزر لئلا يرى منها ما يكره من أثر الدم، فإن قيل: كيف تجيب عن قوله ﷺ لمَّا سُئِل: ماذا يحل للرجل من امرأته وهي حائض؟ قال: "ما فوق الإزار"[2] وهذا يدل على أن الاستمتاع يكون بما فوق الإزار.

والجواب عن هذا بما يلي:

- أنه على سبيل التنزيه والبُعد.

- أنه محمول على من لا يملك نفسه، لأنه لما مُكِّن من الاستمتاع بين الفخذين مثلاً ربما لا يملك نفسه فيجامع في الفرج إما لقلة دينه، أو قوة شهوته.

- أنه يُحمل على اختلاف الحال، فقوله ﷺ «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»[3] هذا فيمن يملك نفسه، وقوله ﷺ "فما فوق الإزار" هذا فيمن يخشى على نفسه المحذور"[4] أ هـ

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٢٠٤- ٢٠٥).

(٢) ضعيف: رواه أبو داود كتاب الطهارة باب في المذي رقم (٢١٠) قال أبو داود: وليس بالقوي، والحديث في ضعيف أبي داود للألباني رقم (٣٦).

(٣) مسلم: كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها (٣٠٢)، نووي (٣/ ٢١١).

(٤) الشرح الممتع (١/ ٤١٦- ٤١٧).

"وحكم النُّفَسَاء حُكم الحائض في جميع ما يُحرَّم عليها ويسقط عنها، لا نعلم في هذا خلافًا، وكذلك تحريم وطئها، وحل مباشرتها والاستمتاع بما دون الفرج منها"(١).

(١) المغني (١/ ٤٣٢).

الفصل الخامس

حفظ الفرج عن إتيان المرأة في الدبُر

تمهيد

ولا يظنن أحد من الرجال أن زوجته يُباح له أن يأتيها في كل موضع بلا استثناء لأنها زوجته، فهذا -بلا شك- جهلٌ واضح، فالمرأة لا يجوز إتيانها في دُبُرِها بأي حال، ولكن يباح له أن يأتيها من طريقه، أما أن يجامع أهله في محل النجو[1] والنتن فهذا لم يحلله شرع ولا عقل.

إن هذا الفعل هو لواط كذلك، ولا يجوز في شرع الله، وإن الفطرة السليمة تنفر عنه، وتتقيأ منه، فهو فعل مُنتِن مُستَقْذَر خُلُقًا وطبعًا وشرعًا، ملعون فاعله، ضعيف الشخصية، مهدور ماء الوجه، قبيح المخبر والمظهر، مُدنَّس الخلُق، ملوَّث الفطرة.

ولا يحسبن هذا اللائط أن زوجته وإن طاوعته أنه سيظل في نظرها مثال الرجل الكفء، بل بعد قليل القليل لتبغضنَّهُ بُغضًا يملأ جوانحها ويبدو في محاجرها، حتى ينزل من نظرها تحت الأقدام، وتتمنى أن تستبدل به سقط الرجال، وتزدريه على الدوام وإن أظهرَت البِشر في وجهها. هذا إن قوي إيمانها، واستقامت فطرتها وشخصيتها.

وكما قلت إن كثيرًا من الجُهَّال واقعون في هذا الفحش، وإن منهم لمن يلابس هذه الكبيرة على جهل منه، والسبب في ذلك عدم العلم، والقناعة بالجهل والرضا بالدون، فالواجب على كل مسلم أن يعرف الحلال والحرام في دين الله ﷻ الذي ارتضاه لنفسه، وآمن به واعتنقه، وإلا فما هو إلا سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا ما عاين الحساب وجد ما رضيه لنفسه من الانتساب لهذا الدين فقط ليس إلاَّ.

---

(١) النجو: ما يخرج من البطن من ريح أو غائط، القاموس المحيط (١٧٢٣).

- التحريم القاطع لهذا الفعل:

قال تعالى:

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1].

يقول السعدي رحمه الله: "مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل، لكونه موضع الحرث، وهو الموضع الذي يكون منه الولد".

وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله تعالى لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث.

وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في تحريم ذلك ولَعن فاعله"[2]. ومن هذه الأحاديث الكثيرة ما رواه عُقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال:

«ملعون من يأتي النساء في محاشهن، يعني أدبارهن»[3].

وكذلك ما رواه خزيمة بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال:

«إتيان النساء في أدبارهن حرام» [4]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الذي يأتي امرأته في دبرها لا ينظر الله إليه يوم القيامة» [5].

---

(١) البقرة (٢٢٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٣).

(٣) إسناده حسن: أخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة عبدالله بن لهيعة (٥/٢٤٣) وحسَّن إسناده المحققان شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط في زاد المعاد (٤/٢٦٠).

(٤) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٦) والصحيحة رقم (٨٧٣).

(٥) صحيح: مشكاة المصابيح كتاب النكاح، باب المباشرة رقم (٣١٩٤). قال الألباني: حديث صحيح، وصححه كذلك في صحيح الجامع رقم (١٦٩١).

وعن خزيمة بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن»(١).

وكذلك عنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تأتوا النساء في أدبارهنَّ»(٢).

- الجزاء من جنس العمل:

قال الإمام ابن القيم في "زاد المعاد":

"وإذا كان الله حرَّم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض، فما الظن بالحش الذي هو محل الأذى اللازم، مع زيادة المفسدة بالتعرُّض لانقطاع النسل، والذريعة القريبة جدًا من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان".

وأيضًا: للمرأة حق على الزوج في الوطء، ووطؤها في دبرها يفوِّت حقها، ولا يقضي وطرها، ولا يحصل مقصودها.

وأيضًا: فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له، وإنما الذي هُيئ له الفرج، فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعًا.

وأيضًا: فإن ذلك مضرٌّ بالرجل، ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء لأن للفرج خاصية اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه، والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء، ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعي.

وأيضا: يضر من وجهٍ آخر وهو إحواجه إلى حركات متعبة جدًا لمخالفته للطبيعة.

وأيضًا: فإنه محل القذر والنجو، فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه.

وأيضًا: فإنه يضر بالمرأة جدًا، لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع، منافر لها غاية المنافرة.

(١) صحيح: صححه الألباني في آداب الزفاف رقم (١٠٤)، والإرواء رقم (٢٠٠٥)، وصحيح الجامع رقم (١٨٥٢).

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٢١).

وأيضًا: فإنه يحدث الهم والغم والنفرة عن الفاعل والمفعول.

وأيضًا: فإنه يسود الوجه، ويظلم الصدر، ويطمس نور القلب، ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيماء يعرفها من له أدنى فراسة.

وأيضًا: فإنه يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولا بد.

وأيضًا: فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول فسادًا لا يكاد يُرجى بعده صلاح، إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح.

وأيضًا: فإنه يُذهب بالمحاسن منهما ويكسوهما ضدهما، كما يُذهب بالمودة بينهما، ويبدلهما تباغضًا وتلاعنًا.

فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه واتباع ما جاء به"[1] أهـ

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٦٢- ٢٦٤) بتصرُّف.

الفصل السادس

حفظ الفرج عن العادة السرية

تمهيد

إن هذه العادة البذيئة لها علاقة وطيدة بالمرأة، بل إن المرأة هي السبب المباشر الباعث على فعل هذه العادة القبيحة.

فالمرأة حماها الله لنا بقيود تشرُفها، ونظام يرفع من شأنها وكرامتها، ويصون حياءها وشرفها وعفتها، ما أهدرت حريتها ولا هُضم حقها، ولا استُعبدت، ولا سُجنت كما زعم محرروها، فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(1).

ولكن يا لوعة الحشا! سرنا وراءهم حذو القُذة بالقُذة حتى صارت المرأة هذا حالها سلعة ما أرخصها، ودُمية ما أحقرها، وفتنة ما أشد سعيرها، ونارٌ تأكل الأخضر واليابس، فعمَّت العنوسة، وأسنت العزوبة، فنار الشهوة التي تتأجج العروق منها، وتشتكي منها المفاصل سهُل عليها ريها حتى الثمالة، فعمت الفوضى، وشاعت البلوى وفاحت روائح الفجور في كل مكان، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وجاء على إثر ترك الزمام لأبواق الغرب والسير وراءهم أن صارت المرأة من أعتى الأسلحة ضد الإسلام وأهله، فحدِّث ولا حرج عن مستنقع العهر والسفور في كل زقاق من الأزقة المظلمة التي تجعل الحليم حيران، والشاب بلا شراب سكران، فإن هيئت له الفاحشة المغلظة ارتكبها، وإن حيل بينه وبينها إما لبقايا إيمان ووازع ديني عنده، وإما لعدم توفر سلعة، وإما لخوفه أن يكون دينًا عليه لا خوفًا من الله، وإما. وإما... وإما!

---

(1) النساء (٤٠).

فعند ذلك يجد نفسه في خضم حرب نفسية شهوانية جائعة من جرّاء صور عارية، ونساء كاسيات عاريات، ومسلسلات ومسرحيات، أصلٌ من أصولها نساء فاجرات مائلات مميلات مائعات يتصدَّرن الجرائد والمجلات في مناظر فاضحات!.

فيلجأ هذا المسكين إلى ما يظنه دواء إلى هذه العادة التي يدمنها ويراها ذبابًا يقع على أنفه، فيفعل به هكذا، وإن كان في قرارة نفسه لا يريدها ويريد العفة، ولكن أكثر عذاب أهل النار من كلمة (سوف)!.

- تحريم هذه العادة السيئة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾[1].

قال الشيخ أبو الفضل عبد الله بن الصديق الإدريسي:

ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة ظاهر، فإن الله تعالى مدح المؤمنين بحفظهم لفروجهم مما حرم عليهم، وأخبر برفع الحرج واللوم عنهم في قربانهم لأزواجهم المملوكات لهم، مستثنيًا ذلك من عموم حفظ الفروج الذي مدحهم به، ثم عقّب بقوله تعالى: (فَمَنِ ابْتَغَى) أي: طلب (وَرَاءَ ذَلِكَ) أي: سوى ذلك المذكور من الأزواج والإماء (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ) أي: الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام، لأن العادي هو الذي يتجاوز الحدّ، ومتجاوز ما حده الله ظالم بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]، فكانت هذه الآية عامة في تحريم ما

(١) المؤمنون (٥ - ٧).

(٢) البقرة (٢٢٩).

عدا صنفي الأزواج والإماء، ولا شك أن الاستمناء وغيرهما فهو حرام، ومبتغيه ظالم بنص القرآن[1] أ هـ

وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2].

وتدل هذه الآية على حرمة الاستمناء من وجهين:

"الأول: إن الله تعالى أمر فيهما بالاستعفاف، والأمر يدل على الوجوب كما تقرر في علم الأصول، فيكون الاستعفاف واجبًا، وحيث وجب اجتناب ما ينافيه كالزنا واللواط والاستمناء ونحوها.

الثاني: إن الله تعالى أوجب في الآية الاستعفاف على من لم يستطع القيام بتكاليف النكاح، ولم يجعل بين النكاح والاستعفاف واسطة، فاقتضى ذلك تحريم الاستمناء، ولو كان مباحًا لبيَّنَهُ في هذا الموطن، لأن هذا مقام بيانه، فأحوج ما يكون الرجل إلى جواز الاستمناء إذا لم يجد سبيلاً إلى النكاح لا سيما عند توقان نفسه إلى الوطء"[3] أ هـ. إلى غير ذلك من الأدلة كثير:

- الأضرار الناتجة من هذه العادة السيئة:

مما لا شك فيه أن الاستمناء يورث بعض الأمراض الطبية، والتي يشعر بها صاحب هذه العادة ويُخبر بها، ومن هذه الأمراض:

- إنه يضعف عضو التناسل، ويُحدث فيه ارتخاء جزئيًا.
- ويورث ضعفاً في الأعصاب عامة نتيجة الإجهاد الذي يحصل من تلك العملية.

---

(١) الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء (١٦، ١٧، ٤٨، ٥٧، ٥٨).

(٢) النور(٣٣).

(٣) المصدر السابق.

- ويؤثر في نمو الأعضاء خصوصًا الإحليل والخصيتين فلا تصل إلى حد نموها الطبيعي.

- ويورث التهابًا منويًا في الخصيتين فيصير صاحبه سريع الإنزال.

- ويورث الاستمناء ألمًا في فقار الظهر، وهو الصلب الذي يخرج منه المني وينشأ عن هذا الألم تقويس في الظهر وانحناء.

- ويورث رعشة في بعض الأعضاء كالرجلين.

- ويورث ضعفًا في الغدد المخية، فيضعف القوة المدركة ويقل فهم فاعله.

- ويؤدي كذلك إلى ضعف في الذاكرة، ويُضعِف البصر، ويقلل من حدته المعتادة.

- وهو مميت للذكاء، مُضعف للعقلية، مُرهق للتفكير، لأن شدة التخيل التي ترافق الاستمناء تؤثر إضعافًا في التعقل.

- وتورث اضطرابًا فكريًا مُشاهدًا في المدمنين لهذا العمل المشين.

- ويسلط على الفكر التهور والغضب والقلاقل بسببها، ولقد قيل: بأن المرة الواحدة من الاستمناء باليد تساوي اثنتي عشرة مرة من الجماع.

- وأيضًا جعل الله الحشفة وهي مقدم عضو التناسل في الذكر في منتهى الدقة والحساسية، يتلذذ الرجل والمرأة عندما يتصلان ببعضهما البعض حسبما أحل الله لهما، فإذا كان الإنسان يدلكهما صباح مساء، ويجلدهما في كل وقت تصبح الحشفة كأنها خشبة، فيتعب زوجته بعد ذلك حتى تقذف الماء، فيحصل من النفرة والكره من أحد الزوجين للآخر بسبب هذا المخفي الذي لا يعلم بأثره إلا بعد حين"[1].

إلى غير ذلك من الأضرار النفسية والشرعية والاجتماعية كثير كثير.

---

(١) قضايا وأحكام (٢/٣٢٦- ٣٢٨) مُستفاد من شريط: (معاملة الإنسان لنفسه) للطحّان رقم (٣).

- أكثِرْ من الاستغفار فإنه يمحو الذنوب وتُب إلى ربك:

وينصح الشيخ أبو الفضل من وَقَعَ في مثل هذه العادة نصيحة صدق فيقول: "أكثِر من الاستغفار، فإنه يمحو الذنوب ويذهب الحزن، ويُسهل الرزق كما جاء في الحديث، وإن استطعت الزواج ولم يكن عندك عائق فتزوج، فإنه لا شيء أصلح لدين المؤمن من الزواج، فإن لم تستطعه فعليك بالصوم، فقد ثبت في الحديث: ... ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء". الوجاء بكسر الواو: رضُّ الأنثيين ودقُّهما، كما يُفعل بالفحل من الضأن والماعز إذا أريد منعه من طروق الأنثى ليسمن ويكثر لحمه، وهو هنا تشبيه بليغ، شبَّه الصوم لإضعافه الشهوة بالوجاء الذي يذهب بها بتاتًا، ليفيد أن للصوم في منع النفس وتقليل شهواتها، تأثيرًا كبيرًا.

هذا دواء الشارع لمن هو على حالتك -أيها الشاب- فروِّض نفسك على الصوم- وتعاهدها به الفينة بعد الفينة، فإن لم تستطع فجاهد نفسك، واكبح جماح شهواتها، وكُن قوي العزيمة، شديد الشكيمة، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية، ولا تسترسل مع الخيال فإنك ترجع منه إلى عالم الحقائق كمثل هائم على وجهه، أو حالم في نومه، واشغل نفسك في خلواتك بما يدفع عنك التفكر فيما يفضي بك إلى الاستمناء، إما بتلاوة القرآن، أو بذكر من الأذكار، أو بمطالعة كتب علمية أو نحو ذلك، مما يُلهيك عن ذلك الفعل الخبيث، وحذار حذار أن تعود إليه أو تستحلي المداومة عليه.

فتب إلى الله، واستغفره، والجأ إليه أن يقطع عنك هذا الداء فإنه إذا علم منك صدق الملجأ كشف عنك ما بك، وقَبِلَ توبتك، وأنالك من طاعته منالا"[1].

---

(١) الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء (١٥٤- ١٥٧) بتصرُّف.

الفصل السابع
حفظ الفرج عن السّحاق

تمهيد

إن القلم ليتقدم ويتأخر لطرق هذا الموضوع حياء، وإن اللسان لينزوي ويُعجم خجلاً من طرح هذا الأمر، وإن العقل ليتحير لاختيار كلمات تناسب هذا المقام.

ولأن الحياء من عرض هذا الواقع المرّ الكئيب يُعد من الحياء المذموم، كان حتمًا ولا بد من طرح هذه القضية الشائكة، بصورة تناسب المقام بعد التنبيه والتحذير من الوقوع في هذا المزلق الخطير.

والذي نفسي بيده، لقد وقفتُ على وقائع في هذا المجال، يكتئب منها الصدر، ويتصبب منها العرق، ويُذرف منها الدمع، ويُفتّ من هولها الكبد، ولولا الخجل لسطرت وقائع تكتب بمداد الهم والأسى والدموع، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وسبحان من طمس على قلوب فئة من سقط المتاع من نساء وفتيات حتى انسلخ من قلوبهن الحياء، وغُلّفت قلوبهن بأحكم غطاء، فالعشق وأراذل الأفعال لهن حياء، والتمرد لري شبقهن دواء، والزنا ومشتقاته لهن رداء، ونسينَ أن الصيام وتقوى الله من هذا وِجاء.

- من يشُكّ في تحريم هذا الوباء؟!

لا أحد من أهل القبلة يشك بتحريم هذا الطفح والدرن المزمن، فلو لم يرد نص من الكتاب والسنة، لتهافت جميع العقلاء على قلب رجلٍ واحد بقطع دابر هذا السرطان.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ* إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾[1].

(١) المؤمنون (٥ - ٧)

وهذا نص قاطع في التحريم بصيغة العموم.

وبالجملة فإن جميع الأدلة، التي تحرم على الإنسان الزنا واللواط وإتيان البهائم والعادة السرية وغير ذلك من كبائر الفرج، تشمل هذه الكبيرة أيضًا بلا أدنى شك في ذلك، اللهم إلا عند أهل الأهواء.

وقد روى أبو سعيد الخدري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في ثوبٍ واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»(١). وغير ذلك من الأحاديث العامة في تحريم مثل هذه المصيبة.

قال أبو محمد -رحمه الله- بعد ما ساق بعض هذه الأحاديث:

"فهذه نصوص جلية على تحريم مباشرة الرجل الرجل، والمرأة المرأة، على السواء، فالمباشرة منها لمن نهى عن مباشرته عاص لله تعالى، مرتكب حرام على السواء، فإذا استعملت بالفروج كانت حرامًا زائدًا، ومعصية مُضاعفة.

فالمرأة إذا أباحت فرجها لغير زوجها فلم تحفظه، فقد عصت الله تعالى بذلك، وصحَّ أن بشرتها محرمة على غير زوجها الذي أبيحت له بالنص، فإذا أباحت بشرتها لامرأة أو رجل غير زوجها فقد أباحت الحرام"(٢).

(١) مسلم: كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات، رقم (٣٣٨)، نووي (٤/ ٣٠).
(٢) المحلى (١٢/ ٤٠٦).

البــاب الرابــع

الأَضْرار

البَــاب الـرَّابـع

الأَضْــرَار

الفصل الأول/

الأضرار الأخروية:

- تمهيد
- شدة سكرات الموت
- هول المطلع
- ضمة القبر وضغته
- عذاب القبر
- الحجاب عن الله وعن كلامه تعالى
- الطرد من على الحوض
- التمحيص في النار
- هول الصراط وكلاليبه
- الشفاعة في العصاة

الفصل الثاني/

الأضرار القلبية:

- تمهيد
- الرّان على القلب
- سواد القلب وظلمته

- العشق

الفصل الثالث/

الأضرار الروحية:

- تمهيد
- ماذا يقول الإمام ابن القيم في هذه المفاصلة الروحية

الفصل الرابع/

الأضرار الدينية:

- تمهيد
- الانتكاس
- نزع نور الإيمان في الزنا
- ذهاب الغيرة
- فقدان الحياء
- سوء الخاتمة

الفصل الخامس/

الأضرار الخلقية:

- تمهيد
- الفحش والبذاءة في التعامل
- حيوانية ضارية

- جبان أينما حلً
- تعريته من محاسن الأخلاق
- انهيار الأخلاق جملة

الفصل السادس/

الأضرار الدنيوية والاجتماعية:

- تمهيد
- حرمان الرزق
- العذاب والدمار
- شيوع الفساد
- الطواعين المستجدة والموت والأوجاع
- انقراض الحياة بأسرها
- كثرة الجرائم
- بعض الحوادث المذهلة

الفصل السابع/

الأضرار النفسية:

- تمهيد
- مأساة نفسية

الفصل الثامن/

الأضرار الأسرية:

- تمهيد
- كما تدين تدان
- ضياع الأولاد
- رحيل الأمن والاستقرار وفساد القيادة

الفصل التاسع/

الأضرار البدنية:

- تمهيد
- السيلان والزهري
- تأثير السيلان والزهري على القدرة الجنسية
- القرحة الرخوية
- الالتهاب المحاري
- الهربيس
- قنبلة الإيدز
- أحدث تقرير عن الإيدز

الباب الرابع

الأضـرار

تمهيد

إن الوقوع في مثل هذه الموبقات الناتجة عن إفلات زمام هذه الشهوة التي أصبحت قائدة لا مُنقادة، وسائقة لا مُساقة، يُلتمس رضاها، ويُروى هواها، لا بد وأن يُجنى من ورائها المر والعلقم، لا بد وأن تكون هناك جروح غائرة في النفس والحياة بسببها، ورُبَّ جُرحٍ وقع في مقتل. فليثق هذا الشهواني البهيمي -إن لم يتب إلى الله- بكل هم وغمّ في الدنيا والآخرة.

أبشر أيها العاصي بهذه الفواحش البشعة، فواحش الفرج، أبشر بكل ما يسؤك دنيا وآخرة إن لم تتب وترجع عما أنت فيه من تهتك وضياع والحلال.

ولكي تثوب إلى ربك، وتنزجر عمًّا أنت فيه من مجون، تعالَ معي وانظر إلى آثار هذه الفوضى الجنسية الآثمة في الدنيا والآخرة، عساك تصحو من سكرك، وتصحح ما أفسده عليك الشيطان وتقمعه، وذلك بتصحيح النية في التوبة ثم التوبة الصادقة.

إن العلم بهذه الأضرار التي تلتصق بهذا الفوضوي لتنذره من عاقبة هذا الفحش المستعر، وإن العلم بهذه الأضرار الناتجة عن ترك زمام هذه الشهوة، يمكنها أن تقتلع هذا الداء -إن شاء الله- من جذوره، وذلك مع المجاهدة الباسلة، فما هي هذه الأضرار؟ وما هي العقبات الكؤود التي تقف حجر عثرة في وجه هذا الماجن عَلَّهُ يرتدع عما هو فيه.

الفصل الأول

الأضرار الأخروية

تمهيد

اعلم أيها العاصي الشارد عن الصواب، المنكس في الوحل والتراب، أن كل ضرر في الدنيا سوى المصيبة في الدين بجوار الضرر في الآخرة يهون، فهنيئًا لِمَن خرج من الدنيا وقد كفاه الله بتمحيصه إياه الخزي في الآخرة.

والويل كل الويل لمن تركه الله ووكله إلى أعماله حتى استمرأها بلا بلاء ولا عقاب حتى يلاقيه ويوفيه حسابه، وهذا هو الهلاك إن لم يدرك الله برحمته أصحاب الشهوات.

فيا أيها العزوف عن الله، انظر لحالك يوم الفضائح والمهالك، يوم الطامة الكبرى، وقد أخذ بك إلى الشمال مع أنك من الموحدين، ما الذي سيق بك إلى هذا المآل إلا ذنبك وعملك السيئ! انظر إلى قلبك وهلعه، وانظر إلى فؤادك وجزعه، وانظر إلى جوارحك وهي تضطرب، وانظر إلى صدرك وهو ينتحب، وانظر إلى شخوص العين ويُبس الشفاه، والغرق في العرق وسيول الدمع المرّ الحار!

تالله إنه ليوم تعجز كل كلمات الدنيا عن وصفه، انظر -أخي- إلى فقرك وفاقتك مذ أن خرجت من بيتك مرورًا على الحياة البرزخية حتى وقوفك في ساحة العرض عريانا، مراحل تنقطع فيها الأعناق، ومررت عليها وكلك فقر وحاجة، رحلت إلى هذه المواطن بلا زاد ينفعك، وأنت بين أطباق الثرى، وكذلك وأنت في المحشر، ما الذي ضيَّعَك؟!

ضيَّعك هواك حتى اتخذت دينك لهوًا ولعبًا، فنقص توحيدك، وضعف إيمانك، وخف ميزانك، وثقلت سيئاتك، حتى أوبقك عملك الرديء، وأصبحت أسير شهوة جلبت عليك سلسلة من الفجائع التي أصبحت رهينها منتظرًا شفاعة الشافعين!

- شدة سكرات المَوْت:

إن مراحل الآخرة تبدأ منذ هذه اللحظات، وهي حينما يعين العبد ما له عند الله فتتقطع نفس ذلك الشهواني العربيد عند معاينة الموت، فسرعان ما تجتذبه السكرات بغلظة لا رحمة فيها ولا هوادة، ومن أوَّل سكرة تبدأ الرحلة القاسية المريرة في أول دركات هذا الفاجر نحو سوق الآخرة.

إن السكرات عانى منها حبيب الله ﷺ ما عانى، وكذلك العبد المؤمن ينال من سهام السكرات ما ينال! فإن كان هذا للأولياء، فما هو الحال للأشقياء الفاسقين؟! بلا شك أشدّ وأخزى.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله:

"ولما ذمَّ الظالمين، ذكَر لهم من العقوبة في حال الاحتضار ويوم القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: شدائده وأهواله الفظيعة وكربه الشنيعة، لرأيتَ أمراً هائلاً، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ

(١) الأنعام (٩٣).

أَيۡدِيهِمۡ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها وتعصيها عن الخروج من الأبدان (أخرجُوا أنفسَكُم اليومَ تُجزَونَ عذابَ الهونِ) أي العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلكم، والجزاء من جنس العمل"[1] أهـ

يقول أبو العتاهية:

عجبت للإنسان في فخره وهو غدًا في قبره يقبرُ
ما بـالُ من أوّلـه نُطفـةٌ وجيفةٌ آخره يفجُرُ [2]

- هول المطلَع:

وإن الميت لا يهوله مطلعه من داره إلى قبره، إلا إذا كان ما قدم من الأعمال جعله رهين الهلع والنصَب والجزع والخوف المفرط. لو أن العبد أطاع مولاه لكان يوم قدومه على الله أسعد أيامه، كيف لا؟! وهو قادم إلى الجنة، قادم إلى عالم الأفراح، إلى النعيم السرمدي الأزلي، إلى النظر إلى وجه المعبود ﷻ فلا بد أن يسعد.

أما العاصي الذي طغت عليه شهوة دنيئة فغطت على عقله حتى بات رهين جميع الموبقات، ونزل بإنسانيته إلى أسفل الدركات، فذاق شهوات الحرام، وألقى بثقله في دروب الهُيام والعهر وحجور الغانيات اللئام، هذا العاصي هو الذي سيزعجه الموت، وسيعذبه هول المطلع إلى القبر وسينادي بأعلى صوته وهو محمول على الأعناق، سينادي بصوت يقطر منه الندم، وتزلزله الحسرة والويل، سينادي وسينادي: أين تذهبون بي، إلى أين تقودونني؟! إن لسان حاله يشلّ كل لسان يتعرّض لوصف حاله

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٢٧).

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٣١).

ولكنه وَعد الله الذي لا يخلفه، حذّرك فما نفعك التحذير حتى كردسك عملك فبدأت رحلة العذاب قبل أن تبدأ! فيا سبحان الله! ما زلت على الأعناق لم تقابل بعد ما ينتظرك هناك، وأنت بالحال الذي عليه، فرُحماك اللهم رحماك لا طاقة لنا بعذابك، فاجعلنا اللهم من أوليائك، فإن أجسادنا على عذابك لا تقوى، نستغيث بك ونجأر إليك من كل ذنب يوبقنا هذا الموبق!

عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ يقول:

«إذا وُضِعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها! أين يذهبون بها؟! يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لَصُعق»(1).

وعند النسائي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«وإذا وُضع الرجل -يعني السوء- على سريره قال: يا ويلي أين يذهبون بي»**(2).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:**«أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن يكُ سوى ذلك فشرٌ تضعونه عن رقابكم»**(3).

إن ذلك العاصي الوالغ في كل فج حرام، يتبرأ الناس منه في الدنيا، بل ربما يكرمونه اتقاء فحشه، وذلك من علامات الهلاك لهذا الفاجر هذا في الدنيا!

---

(1) البخاري: كتاب الجنائز، باب: قول الميت وهو على الجنازة قدموني، رقم (١٣١٦)، الفتح (٣/ ٢٣٨).

(2) صحيح: رواه النسائي (٤٤)، باب السرعة بالجنازة رقم (١٩٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (١٨٠٠).

(3) البخاري: كتاب الجائز/ ،باب السرعة بالجنازة، رقم (١٣١٥)، الفتح (٣/ ٢٣٥).

أما أن يكون ذلك بعد أن صار جثة هامدة يُسرعون به ليحطوه من فوق أعناقهم، وليتخلصوا من قربه وحمله وهو ميت، فإن ذلك والله أهول من الهول، فكيف بمبيتٍ أول ليلة في قبره، بل كيف بخلوده فيه إلى يوم حشره، نعوذ بالله من الضياع.

يقول ابن حجر:

"ويؤخذ من الحديث -أي السابق- ترك صُحبة أهل البطالة وغير الصالحين"(١).

- ضمة القبر وضغطته:

عن ابن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

«هذا والذي تحرك له العرش وفُتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لقد ضُمَّ ضمة ثم فرج عنه»(٢).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي»(٣).

يقول السِّندي:

"قال النسَفي: يُقال أن ضمة القبر إنما أصلُها أنها أمهم ومنها خلقوا، فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما رُدُّوا إليها ضمتهم ضمة الوالدة غاب عنها ولدُها ثم قدم عليها، فمن كان مطيعًا ضمته برأفة ورفق، ومن كان عاصيًا ضمته بعنف سخطًا منها عليه لربها"(٤).

---

(١) فتح الباري (٣/ ٢٣٨).

(٢) صحيح: رواه النسائي (١١٣)، باب ضمة القبر وضغطته، رقم (٢٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (١٩٤٢) والصحيحة رقم (١٦٩٥) وصحيح الجامع رقم (٦٩٨٧).

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٢٣٨) والصحيحة رقم (٢١٦٤).

(٤) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (٤/ ١٠٠).

فالويل كل الويل لك أيها الفاجر من هذه الضمة التي ما تركت حتى الصبيان، لينضمَّنَّ عليك القبر حتى تختلف أضلاعك.

- عذاب القبر:

قال القرطبي -رحمه الله تعالى- في التذكرة:

"صحَّت الأخبار عن النبي ﷺ - في عذاب القبر على الجملة، فلا مطعَن فيها ولا معارض لها، وجاء فيما تقدم من الآثار: أن الكافر يفتن في قبره ويسأل ويُهان ويُعذَّب، قال أبو محمد عبد الحق: واعلم أن عذاب القبر ليس مختصًا بالكافرين، ولا موقوفًا على المنافقين بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكل على حاله من عمله، وما استوجبه من خطيئته وزللِه"[1].

عن سمرة بن جندب قال:

«كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا... قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة.. فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله يتوقد تحته ناراً، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت من هذا؟ قالا ... والذي رأيته في الثقب فهُم الزناة..»[2].

قال القرطبي: "قال علماؤنا رحمة الله عليهم: لا أبيَن في أحوال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري، وإن كان منامًا فمنامات الأنبياء -عليهم السلام- وحيٌ.."[3].

وقد ذكرت من هذا الحديث محل الشاهد على أن هذا الزاني يُعذب في قبره، وفي الحديث ذكر طائفة كبيرة من العصاة الذين يعذبون في قبورهم.

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٢٢٩).

(٢) البخاري: كتاب الجنائز (٩٣)، باب رقم (١٣٨٦).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٢١٧).

- الحجاب عن الله وعن كلامه تعالى قبل التمحيص في النار:

وأعظم من كل عذاب، وأضرُّ من كل ضرر حِجابُهم -أي هؤلاء الزناة- عن النظر إلى وجه ربهم الأعلى وعن كلامه لهم، قال تعالى:

﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1].

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله:

"لقد حَجَبَت قلوبهم المعاصي والآثام، حجبتها عن الإحساس بربها في الدنيا، وطمستها حتى أظلمت وعميَت في الحياة .. فالنهاية الطبيعية والجزاء الوفاق في الآخرة أن يُحرموا النظر إلى وجه الله الكريم، وأن يُحال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى التي لا تتاح إلا لمن شفت روحه ورقت وصفت واستحقت أن تُكشف الحُجُب بينها وبين ربِّها ممن قال فيهم في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2].

وهذا الحجاب عن ربهم عذاب فوق كل عذاب، وحرمان فوق كل حرمان، ونهاية بائسة لإنسان يستمد إنسانيته من مصدر واحد هو اتصاله بربه الكريم، فإذا حُجب عن هذا المصدر فقد خصائصه كإنسان كريم، وارتكس إلى درجة يستحق معها الجحيم"[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملِكٌ كذاب، وعائل مستكبر»[4].

وقلَّ أن تجد شريرًا قد احترف الزنا واعتاده إلا وقد احتوشته هذه الخصال الثلاث التي بموجبها تكون القطيعة بينه وبين النظر إلى وجه الله تعالى وبين كلامه لله جل شأنه.

---

(١) المطففين (١٥).

(٢) القيامة (٢٢- ٢٣).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٥٨).

(٤) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار.. رقم (١٠٧) شرح النووي (٢/ ١١٥).

- **الطَّرد من على الحوض:**

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«لَيَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصيحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي؟ فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

وفي رواية للبخاري أيضًا:

«.. فأقول: إنهم مني، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقًا سُحقًا لِمن غيَّرَ بعدي»[2].

وقال ابن عباس: سُحقًا: بُعدًا[3].

قال القرطبي في تذكرته:

"قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع"[4]. أ هـ.

يخرج العاصي من قبره شديد الظمأ فيذهب إلى حوض نبيه صلى الله عليه وسلم لكي يروي عطشه، فإذا به يُذاد عن الحوض ويؤخذ به إلى الشمال ليعاين عقابه الذي ينتظره وليُجازى على كل صغيرٍ وكبيرٍ جنته يداه.

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم (٦٥٨٢، ٦٥٨٣)، الفتح (١١/ ٥٦٦، ٥٦٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٤٦٤).

- التمحيص في النار:

عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القِبلة يقول الكفار: ألمْ تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيُسمع ما قالوا، فأمر بمن كان من أهل القِبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك أهل النار قالوا: يا ليتنا كُنا مسلمين فنخرج كما خرجوا..»(١).

نعم! خرجوا، ولكن متى كان الخروج؟! كم من الدهور تلفح بهم النار وتدور في بواطنهم، كم من المرات بدِّلت جلودهم كلما احترقت ليذوقوا العذاب، ألم تظهر العظام بعد انكشاف اللحم، ألم يجاوروا الكفار في النار، وخرجوا برحمة الله ثم الشفاعة التي هي بإذن الله. فبالله كم من الدموع سُكِبت، وكم من الزفرات خرجت، وكم من الأنين سمع، وكم، وكم، وكم !!

يا أيها الزاني المفرط على نفسه، ألا تعلم أن من يدخل في النار يجد أعلاه نارًا وأسفله نارًا، وعن يمينه وعن شماله، ومن أمامه ومن خلفه نار!

العظام مكسَّرة، واللحوم مقطعة، والجلود ممزقة، والوجه أسود كالح، الشفة السفلى تضرب في السرة، والعليا تقلصت حتى وصلت إلى الأنف، وظهرت الأسنان تنخرها النار!!.

أعوامًا من الذل والعذاب والتنكيل، فبئس ما قدمت يداك، وبئس الأماني الكاذبة، والظنون الواهمة التي جعلتك رهين النار، تُقاسي الأمرين، مرَّ الندم على الوهم الذي

---

(١) صحيح: صححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة رقم (٨٤٣).

كنت تعيشه في الدنيا أن النار تهون ما دام هناك خروج، ومر التمحيص الذي تلاقيه دهورًا وأعوامًا قابعًا في النار، هذا إن كتب لك أن تخرج من النار، لأن ذنوبك الكبار ربما طمست على قلبك فتموت على غير الإسلام، حينئذٍ لا خروج لك من النار، ولات ساعة مندم.

- هول الصراط وكلاليبه:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ويُضرب جسر جهنم.. قال: «فأكون أول من يجوز، ودُعاء الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عِظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يُخرج من النار من أراد أن يُخرِج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرَّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحُشوا..»[1].

وهذا الذي خُطف من فوق الصراط، ما الذي التقطه بهذه السرعة المذهلة؟ إنها الكلاليب التي خطفته بسبب اختراقه لهذه الشهوات التي حُفَّت بها النار كما قال ﷺ: **«حُجِبت النار بالشهوات»**[2].

قال الحافظ ابن حجر:

"فالشهوات موضوعة على جوانبها –أي النار– فمن اقتحم الشهوة سقط في النار لأنها خطاطيفها.

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٥٧٣).

(٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب حُجِبت النار بالشهوات، رقم (٦٤٨٧)، الفتح (١١/ ٣٨٨).

وهذه الكلاليب -الحقيقية- مثل شوك السعدان، وهو نبات ذو شوك يُضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا كالسعدان، وتشبيه الكلاليب بشوك السّعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب مع التحرز والتصوّن، تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة" [١].

والعجب كل العجب ممن يذهب إلى الزنا وأماكن الرذائل والخنا بقدمه وهو يعلم أن هذه الأقدام ستمر به فوق الصراط، فلا من الفواحش يخاف أن تكردسه، ولا من الأقدام يخاف أن تزله، وهو يعلم أن دعاء الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم.

- الشفاعة في العصاة:

قال تعالى:

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [٢].

وقد ثبت في الصحيح حديث الشفاعة المشهور، وفيه أن هؤلاء العصاة وغيرهم من المذنبين والمتجرئين على حُرُمات الله يأتون عيسى -عليه السلام- فيقول:

«ائتُوا محمدًا ﷺ فقد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأستأذن ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك، وسَلْ تُعطَ، وقُل يُسمَع واشفع تُشفَع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يُعلمُني، ثم أشفع فيُحد لي حدًا، ثم أُخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة، حتى ما يبقى في النار إلاّ من حبسه القرآن» [٣].

(١) فتح الباري (١١/ ٥٥١- ٥٥٢).

(٢) النجم (٢٦).

(٣) البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٦٥)، الفتح (١١/ ٥٠٩).

وكان قتادة يقول عند هذا: "أي وجب عليه الخلود"(١).

فقل لي بربِّك: ألك طاقة على عذاب الله، أعندك قدرة على مجالدة النار وعذابها وحيّاتها وعقاربها، وسمومها وحميمها، وزقومها وغسلينها، ووديانها وأنهارها، وسلاسلها وأغلالها، ولهبها وجمرها؟! إيكَ طاقة على ذلك، ثم إن خرجت ألا تنظر إلى حيائك من ربِّك ومن أهل الجنة، فما أنت إلا من عُتقاء أهل النار.

يا مدمن اللذات ناسٍ غدرها ... اذكر تهجُّم هادم اللذاتِ
احذر مكايده فهن كوامنٌ ... في كرِّك الأنفاس واللحظاتِ
تمضي حلاوة ما احتقبتَ وبعده ... تبقى عليك مرارة التبعاتِ
يا حسرة العاصين يوم معادهم ... ولو أنهم سيقوا إلى الجنَّاتِ
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ... ستر العيوب لأكثروا الحسراتِ(٢)

(١) فتح الباري (١١/٥٠٩).

(٢) المدهش (٢٠٦).

الفصل الثاني

الأضرار القلبيَّة

تمهيد

وأين هذا الذي ينكر هذا الأصل، وهو أن العبد كلما ألَمَّ بذنب أثَّر في قلبه بحجم المعصية.

إنه من المعلوم أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص إذا ما ألَمَّ الإنسان بمعصية، فهذا النقصان هو ذلك الضرر الذي يكبِّد القلب أضرارًا وأمراضًا كثيرة، تسكن فيه وتتغلغل وتدمِّر بحجم قوتها ما في هذا القلب من خير.

فكم ينكر الإنسان قلبه بمجرد انزلاقه في دائرة المباحات التي إن اتسعت دائرتها عن الحجم الذي ينبغي له قادَت إلى ما وراء المُباحات من ضياع.

وكم ينكر المسلم قلبه إذا ما عاشر العصاة مدة طويلة أو قصيرة ولم يحاول تغيير ما هم عليه من المنكرات. بل كم ينكر العبد قلبه إذا ما ضاع من وقته شيء في غير فائدة محققة من وراء هذا الانشغال، وكم، وكم .. إلخ!

فإن كان هذا هو حال القلب في دائرة المُباحات، أو الوقوع في الصغائر، فما هو القول إن كان صاحب هذا القلب أخذ خنجرًا مسمومًا وراح يطعن في قلبه بلا رحمة ولا هوادة! هل يُرجى لهذا القلب حياة بعد ذلك، غير أن الخناجر أنواع وأصناف، وكل نوع وصنف أخطر من الآخر، إذًا هي مذبحة مروِّعة يكون ضحيتها هذا القلب وصاحبه الذي سقاه سمَّ الزنا وسُم اللواط، إلى غير ذلك من كبائر ورزايا قلما يسلم من شرورها إلا من رحم الله.

والكل يعلم يقينًا أن هذا القلب إذا فسد لا يُرجى لصاحبه صلاح، إلا إذا كف عن هذه الموبقات التي أهلكته، فمال هؤلاء العصاة لا ينتهون، مع أنهم يجنون كل لحظة ثمار ما زرعوا، ويشعرون بذلك، فما انتهوا حتى ألفُوا هذه الحياة المظلمة، وصدق من قال: "وما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ".

- الرأن على القلب:

قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

يقول سيد قطب رحمه الله:

"أي غطًى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الإثم والمعصية، والقلب الذي يمرد على المعصية ينطمس ويظلم، ويرين عليه غطاء كثيف يحجب النور عنه، ويحجبه عن النور، ويفقده الحساسية شيئًا فشيئًا حتى يتبلد ويموت"[2].

وأي خير يُطلب من القلب بعد موته، وأي صلاح يُرجى له إذا ما رين على جوانبه وقعره، وأي ضرر أبلغ بعد فقده شعوره وحسُه، فيالها من خسارة فادحة! لعَمرُ الله إن خسارة صاحب هذا القلب أعظم من أي خسارة، وإن شناعة هذه المصيبة تهون أمامها كل مصيبة، كيف لا؟! وهذا القلب هو القائد والمتصرف في الجوارح، فإذا ما فسد القائد فسدَت حاشيته ورعاياه.

---

(١) المطففين (١٤).

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٥٧، ٣٨٥٨).

عن أبي هريرة ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ:«إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتت في قلبه نُكته سوداء، فإذا نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه»، وهو الرَّان الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، [2].

قال المباركفوري:

"قلت: الرَّان والرَّين: الغشاوة وهو كالصدأ على الشيء الصقيل"[3].

وقال القرطبي:

"قال مجاهد: هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تُغشّى الذنوب قلبه"[4].

- سواد القلب وظلمته:

عن حذيفة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا فأي قلب أشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضرُّه فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر مُنكرًا إلا ما أُشرِب من هواه»[5].

---

(١) المطففين (١٤).

(٢) حسن صحيح: رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، سورة ويل للمطففين رقم (٣٥٥٤)ن تحفة الأحوذي (٩/ ١٧٨).

(٣) تحفة الأحوذي (٩/ ١٧٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٤٨).

(٥) مسلم: كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة من بعض القلوب، رقم (١٤٤)، نووي (٢/ ١٧٠).

قال النووي:

"قال صاحب التحرير: معنى الحديث: أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظُلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه، ولم يدخله شيء بعد ذلك"[1].

ويقول الإمام ابن القيم وهو يصف بعض الآثار التي تلتصق بقلب هذا المتجرئ على حرمات الله، ذكَر منها:

"وحشة يجدها العاصي في قلبه وبين الله -عز وجل- لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تفِ بتلك الوحشة وهذا أمرٌ لا يحس به إلا من في قلبه حياة، وما لجرحٍ بميتٍ إيلام.

ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادلهم، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادًا فيه يراه كل أحد"[2] أ هـ.

وهذا هو حال العصاة جُفاة وقُساة القلوب، فما من مكان لفجور إلاَّ وقد دخلوه، وما من فاحشة مغلظة أو باب شر إلاَّ وقد ولجوه، ما من كأس عارٍ وفُجرٍ وعهرٍ إلا وقد شربوه حذَّرهم الله من الشيطان وعنادًا أو استخفافًا اتبعوه، فأفجعهم الله بمصيبة تهون أمامها كل مصيبة! ألا وهي مصيبة الدين.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٧٣).

(٢) الداء والدواء (٨٦- ٨٧).

- العشق:

يقول ابن القيم رحمه الله:

"والله -سبحانه وتعالى- إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهما: اللوطية، والنساء، فأخبر عن عِشق امرأة العزيز ليوسف، وما رَاوَدَتْهُ وَكادَته، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف عليه السلام بصبره وعفته وتقواه.

والطائفة الثانية الذين حكى الله عنهم العشق هم اللوطية، فهذا الأمة عشقَت، فحكاه -سبحانه- عن طائفتين عشق كل منهما ما حرَّم عليه من الصور، ولم يبالِ بما عشقه من الضرر.

وهذا داء أعيى الأطباء دواؤه، وعز عليهم شفاؤه، وهو لعمرُ الله الداء العضال، والسم القتَّال، الذي ما علق بقلب إلا وعز على الورى استنقاذه من إساره، ولا اشتعلت ناره في مهجته إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره.

فما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاقِ
تراه باكيًا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياقِ
فيبكي إن نأوا شوقًا إليهم ... ويبكي إن دنوا حذر الفراقِ
فتسخن عينه عند الفراق ... وتسخن عينه عند التلاقي

وعشَّاق الصور ومساعدوهم من الدِّيثة لا يرون ذلك ذنبًا، فإن طلب ذلك العاشق وصل معشوقه ومشاركة الزوج والسيد، ففي ذلك من إثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن إثم الفاحشة، إن لم يربُ عليها.

وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه ما فيه، وكل منهما ظالم لنفسه وصاحبه، وظلمهما متعدٍ إلى الغير كما تقدم"[1].

ويقول أيضًا -رحمه الله- في "روضة المحبين":

"ومن أسباب السُكر حب الصور، فإذا استحكم الحب وقوي أسكر المحب لا سيما إذا اتصل الجماع بذلك الحب، فإن صاحبه ينقص تمييزه أو يُعدم في تلك الحالة بحيث لا يميِّز، فإن أنضاف إلى تلك السُكر سُكر الشراب بحيث يجتمع عليه سُكر الهوى وسُكر الخمر وسُكر لذة الجِماع فذلك غاية السُكر"[2].

ويقول أيضًا: "وتلك اللذة أجلب شيء للهموم والغموم، عاجلاً وآجلا"[3].

(١) الداء والدواء (٣١٩- ٣٣٣) بتصرُف.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (١٣٢- ١٣٣).

(٣) المرجع السابق.

الفصل الثالث

الأضرار الروحية

تمهيد

هذا الذي ما خاف ربّه، وسار وراء شهوته وأطلق زمام فرجه، أنى له بحلاوة الإيمان، وصفاء الوجدان، ونقاء السريرة، وفراسة المؤمن المخلص ووضاءة المخبت، لكي تصفو روحه وتزكو لبارئها، وتدور مع شرعه حيث دار، رغبة فيما عنده، ورهبة من عقابه، فهي في فلك الخوف والرَّجاء سائرة.

هذه الروح الخفيفة اللطيفة لا يعرف كنهها إلا الله، والبشر لا يشعرون إلا بتغيُّر أمزجتها فلو كان العبد مع الله وبالله في كل شؤون حياته شعر بالسعادة التي تنبع من داخله، والسرور الذي يسكن قلبه وفؤاده، وارتقاء بذاته فوق شؤون الحياة بسموق ليس له نظير في نُظم البشرية، وامتزاجه قلبًا وقالبًا بالهدف الذي يحيى من أجله ألاَ وهو عبادة الله تعالى.

فهو بين البشر يعيش، وهناك بين أفلاك العرش وغرس الجنان تطوف روحه وتتوق إلى ذلك اليوم الذي تسكن فيه هذا النعيم والخلد المقيم.

أما إن كان ذلك العبد ليس مع الله، ولا يستعين في أموره الحياتية والدينية بالله تعالى، فهو وإن كان في رغدٍ من العيش على ما يبدو لأهل الدنيا الزائلة، تجد أن الله قد حبسه شر حبس، حبسه في بوتق أعماله الدنيئة: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[1].

(١) الأعراف (١٧٦).

وحبس عنه كل خير من خيرات الدين، فتجده -والعياذ بالله- أشرّ مَن يمشي على وجه الأرض بعد الكفار، مسلوب الحياة المطمئنة، منزوع الحياء والإخلاص ووضاءة الإيمان، قد تكردسّت روحه في آبار الهموم والغموم والظنون والأوهام التائهة.

- يقول الإمام ابن القيم في هذه المفاصلة الروحية:

"خُلق بدن ابن آدم من الأرض وروحه من ملكوت السماء، وقُرن بينهما، فإذا أجاع بدنه وأسهره وأقامه في الخدمة وجدت روحه خِفة وراحة فتاقت إلى الوضع الذي خُلقت منه، واشتاقت إلى عالمها العلوي.

وإذا أشبعه ونعَّمه ونوَّمه واشتغل بخدمته وراحته أخلد البدن إلى الموضع الذي خُلق منه، فانجذبت الروح معه فصارت في السجن، فلولا أنها ألفَت السجن لاستغاثت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالمها الذي خُلقت منه كما يستغيث المعذَّب.

وبالجملة فكلما خف البدن - من المعاصي والشهوات في غير محلها -لطفت الروح وخفت وطلبت عالمها العلوي، وكلما ثقل وأخلد إلى الشهوات والراحة ثقلت الروح وهبطت عن عالمها وصارت أرضية سفلية.

فترى الرجل روحه في الرفيق الأعلى وبدنه عندك، فيكون نائمًا على فراشه وروحه عند سدرة المنتهى تجول حول العرش، وآخر واقف في الخدمة ببدنه في السفل تجول حول السفليَّات، فإذا فارقت الروح البدن التحقت برفيقها الأعلى أو الأدنى. وعند الرفيق الأسفل كل همّ وغمّ وضيق وحُزن وحياة نكدة ومعيشة ضنك"[1].

---

(١) الفوائد (١٩٢).

قال تعالى:

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾(1).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله:

"﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غير هداه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ في الدنيا، فلا طُمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيّق حرج لضلالته وإن تنعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيره وشك، فلا يزال في ريبهِ يتردد"(2).

فمتى ما ابتعد العبد عن كل ما يُغضب رب السموات والأرض وفعل كل ما أمر الله به لطفت الروح، وغمرتها السعادة الدائمة في الدنيا والآخرة، ومتى ما تلوث العبدُ بحظوظ النفس الرديَّة تردَّى إلى أسفل سافلين، وعاين بروحه وبقلبه ما يسبب له التعاسة دنيا وآخرة ما لم يرجع ويتوب.

---

(1) طه (124).

(2) تفسير القرآن العظيم (3/ 164).

الفصل الرابع

الأضرار الدينيَّة

تمهيد

وأقصد بالأضرار الدينية هذه الأضرار التي تصيب العبد في دينه وإيمانه، من اقترافه لهذه الفواحش المغلظة.

وهناك مصائب كثيرة تحل بمن انتهك حُرُمات الله -عز وجل- وضيَّع أمره تُصيبه في دينه حتى يمشي على وجه الأرض وعلى عاتقه جبال الذنوب والخطايا ما لا يعلمه إلا الله وحده.

- الانتكاس:

تصوَّر معي أيها المسلم حال ذلك العبد الذي انحط إلى دركات السفول المُزري بالشرف والوجاهة والعزة والكرامة، حتى أَلِفَ مُصاحبة المومسات الغانيات الفاجرات!.

* السؤال: في أي هذه المنازل يكون؟ منازل السائرين إلى رب العالمين؟! أم منازل السائرين مع الشيطان الرجيم؟!.

* الجواب: الثاني، وهو أنه من السائرين مع الشيطان الرجيم.

فكم يتفطَّر القلب وتدمع العين من حال امرئ رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولا، نشأ في بيئة تعتنق الإسلام وتدين به، فأبواه مسلمان، ومجتمعه مسلم، المساجد في كل مكان، والعلماء على مقربة منه، دخل المسجد فصلى، وربما أنصت إلى الخطيب يخطب، أو إلى الواعظ يدرِّس أو يحاضر، بل لربما صاحب الأخيار، وعُرف بين الناس أنه من الأطهار!

ثم بعد ذلك تلجُ به الشهوة باب الضياع مرة فمرَّة فمرَّة، حتى يتعود على الفجور، ويصعب عليه العود إلى ما كان عليه من الطهر والعفاف، والسبب هو إقدامه بجرأة على هذه الفواحش حتى انطمس قلبه وتاه في دروب الشهوات المُهلكات!

قال تعالى:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

وقال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[4].

---

(١) الأنعام (١٢٢).

(٢) الجاثية (٢١).

(٣) الأعراف (١٧٥)، ينظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٤- ٢٥٧).

(٤) الأعراف (١٧٩).

ولذلك استعاذ رسول الله ﷺ من الحور بعد الكور، فعن عبد الله بن سرجس قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر والحور بعد الكور ..»[1].

ومعنى الحور بعد الكور هو: "أن يكون الرجل صالحًا ثم يتحول رجل سوء"[2]. فنسأل الله الثبات في الدنيا والآخرة.

- نزع نور الإيمان في الزنا:

وهذه الترجمة باب عند البخاري:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[3].

وهل تأمن يا عبدالله عاقبة فعلك هذا، وكثرة ترددك عليه أن يعود إليك إيمانك كما كان؟! نعم، إن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن لا يُكفَّر إنسان بذنب، وأيضًا من العقائد التي ندين بها أن هذا الزاني بعد أن يزني يرجع إليه الإيمان بعد ما كان رُفع.

ولكن هل يرجع بنفس القوة التي كان عليها؟ اللهمَّ لا، بل لا بد أن ينقص إيمانه بقدر ذنبه الذي ارتكبه، وهكذا كلما ألم بهذه المعصية أو غيرها أثَّر ذلك في إيمانه، حتى يصبح ذلك العبد على شفا جُرُفٍ هارٍ، نسأل الله الثبات.

---

(١) مسلم: كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهًا لسفر الحج رقم (١٣٤٣)، نووي (٩/ ١١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٦٣).

(٣) البخاري: كتاب الحدود، باب الزنا وشرب الخمر، رقم (٦٧٧٢)، الفتح (١٢/ ٦٩).

- ذهاب الغيرة:

وهذا أمر معلوم ومشاهد لدى هؤلاء المتكسين فتجد الواحد منهم يعلم على أهله سوءًا ولا يتكلم بكلمة لأنه يعلم أنه معروف عندهم بما هو عليه، فيصمت ولا يتكلم هذا إن أنكر قلبه.

والغالب أنه لا ينكر ذلك بل ويعتبر في كثير من الأحيان أن اختلاط أهله بالناس وتعايشهم في الأوساط الاجتماعية بكافة مسالبها وكذا أولاده وبناته يذهب بهم إلى أماكن الفُحش والخنا من شواطىء عارية، ومن مسارح هابطة، ومن سينمات متنوعة .. إلى غير ذلك، يعتبر هذا كله من لوازم التقدم والتحضُّر والرقيّ، انسلخت الغيرة من قلبه، فأصبح يرى الباطل حقًا والحق باطلاً فمثله كمثل الخنزير، وتخلَّق بأخلاق البهائم حتى أصبح مثلها بل أضلّ! فأين هو من حديث الغيرة المشهور؟!

عن المغيرة ﷺ قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال:

«أتعجبون من غيرة سعد؟! لأنا أغير منه والله أغير مني»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:«إن الله يغار، وغيرةُ الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم الله»(٢)

كم من فاحشة فعلت بسبب فقدان الغيرة وذلك أن الرجل يترك بيته مفتوحًا لكل من هب ودبَّ من المخانيث وغيرهم في حضوره وغيابه، يختلطون بزوجته وبناته بحجة أنه يثق في أهله، وكذب في ذلك الادعاء، بل السبب أن طفئت نار الغيرة في قلبه، فأصبح يرى أن هذه الفوضى الآثمة أمر عادي.

---

(١) البخاري: كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله، رقم (٦٨٤٦)، الفتح (١٢/ ٢١٣).

(٢) البخاري: كتاب النكاح، باب الغيرة، رقم (٥٢٢٣)، الفتح (٩/ ٣٩٩).

يقول ابن القيم رحمه الله:

"والمقصود أنه كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف القلب جدًا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح، لا من نفسه، ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك "[(١)].

- فقدان الحياء:

وإن ما يبتلى به صاحب هذه الشهوة الجائرة أن يذهب حياؤه شيئًا فشيئًا، حتى ينسلخ الحياء من قلبه، وإن ذهب حياؤه فقد هلك، لأن من دواعي ترك الحرام الحياء، فإذا ذهب الحياء فلا خير يُرجى البتة.

فعن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ:

«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»[(٢)].

ويُعرِّف النووي -رحمه الله- الحياء ويُظهر حقيقته فيقول: "هوخلُق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق الله"[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

"قوله: (فاصنع ما شِئت) قال الخطابي: الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكف الإنسان عن مواقعة الشرّ هو الحياء، فإذا تركه صار كالمأمور طبعًا بارتكاب كل شر"[(٤)].

"فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الوقح إذا لزم البذاءة كان وجود الخير منه معدومًا، وتواتُر الشر منه موجودًا، لأن الحياء هو الحائل بين المرء

(١) الداء والدواء (١٠٩).

(٢) البخاري: كتاب الأدب، باب إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، رقم (٦١٢٠)، الفتح (١٠/ ٦٤١).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٦).

(٤) فتح الباري (١٠/ ٦٤١).

وبين الشهوات والمزجورات كلها، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إيَّاها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها.

ولقد أحسن الذي قال:

ورُبَّ قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياءُ

فكان هو الدواء لها ولكن إذا ذهب الحياءُ فلا دواءُ[1]

- سوء الخاتمة:

إن أصحاب المعاصي والشهوات المنحرفين عن طريق الاستقامة ليعلمون أن هذه الذنوب ربما حالت بينهم وبين حسن الخاتمة، بل هذا أمر مشاهد في كتاب الله تعالى، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ* لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في كتاب الله -عز وجل- إذ تبين ندم هؤلاء العصاة وغيرهم عند الموت وعند القدوم عليه، ويحذرهم -سبحانه وتعالى- أن من ظل على فجوره لا يقدم رجلاً أو أخرى إلى التوبة قيَّض الله له الشيطان يصده عن الهدى ويؤزه على التمادي في لُجج الشهوات، حتى إذا جاء يوم القيامة وعايَن الهلاك قال:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾[3]، وغالبًا أنه يعاين ذلك عند سكرة الموت أيضًا.

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٤٨).

(٢) المؤمنون (٩٩- ١٠٠).

(٣) الزخرف (٣٨).

"وذلك لأن مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلف والعادة، وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته، فإن كان ميله الأكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله، وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت، فربما تفيض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي، فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبًا عن الله تعالى.

فالذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته، وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر -أي سوء الخاتمة- عظيم في حقه جدًا"[1] أ هـ.

إلى غير ذلك من الأضرار التي تصيب العبد في دينه فيخسر الدنيا والآخرة، أعاذنا الله من ذلك.

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٧٣).

الفصل الخامس

الأضرار الخلُقية

تمهيد

وأين هذا الذي يصف صاحب الشهوة المنحرفة أنه رجل شجاع قوي العزيمة، ذو كرم وشرف وعزة نفس، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة.

وهذا الكلام يوجه إلى أصحاب الطبائع الطيبة والفطر الناصعة، أي إنك لا تجد إنسانًا عاقلاً سليم الدين يصف الداء على أنه دواء، فتجده حتمًا ولا بد نافرًا من هؤلاء المنحطين الساقطين.

أما أصحاب الدعاية، وأهل الفن والغواية، يبجلون كل هذه المظاهر الحيوانية، وأصحابها هم النجوم الزاهرة، تقليدًا حذو القُذّة بالقذّة للبلاد الكافرة الفاجرة.

ولو أريد الاستقصاء لهذه العواقب الخلُقية الوخيمة التي ترفع راياتها على أصحابها فاضحة لهم بين الناس أجمعين، لطال المقام جدًا.

ذلك لأن كل انحراف في الفطرة الإنسانية سببه الانحراف عن الشريعة الإلهية، وعدم الالتزام بما أمر الله سبحانه، والإقدام بجرأة بالغة على نواهيه جل وعلا.

وسأتعرض -إن شاء الله- لأبرز هذه الصفات السيئة التي يقترفها صاحب هذه الشهوة الخبيثة وأخواتها.

- الفحش والبذاءة في التعامل:

وهذه أول الدركات التي تجعله يُمقَت ويمجه الجميع، ويبتعد عنه كل ذي مروءة ودين.

يذهب غيره إلى المسجد بسكينة ووقار، أما هو إن ذهب إليه ذهب متوترًا وكأنه ذاهب إلى سجن، يذهب غيره إلى الصلاة مبكرًا حتى يكون من أصحاب الصف الأول، أما هذا إن ذهب إلى المسجد فهو آخر من يدخل وأول من يخرج.

غيره تعلو كلماته اللطف والسماحة، أما هذا فظٌ غليظٌ مبغوض، هذا الآخر إن أخطأ في حقه إنسان خاطبه برفق: سامَحَك الله، أما هذا الشهواني يرد السيئة بسيئات، والكلمة بكلمات، والمسلم الحق يعفو عمن أخطأ في حقه، أما هذا المريض فيمطر من أخطأ في حقه بوابل من الوقاحة والفُحش والكلام الصارخ الذي يتفصَّد منه الجبين عرقًا.

غيره ممن التزم بشرع الله بهي الطلعة، وضيء الوجه، أما هو صار جامد الطبع ملوثا، كئيب الطلعة أسود الوجه.

الملتزم بشرع الله نبراته رقراقة عذبة، تجذب النفوس، أما هذا تطبَّع بطابع مواخير الفجور ودنس الفضيلة، وتعوَّد على الصراحة المفجعة، والكلمات الحمراء الصاخبة، والصوت الجهوري، إلى غير ذلك من الصفات الدنيئة والمروق من الشرف ونخوة الرجولة الدينية السامقة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1].

- **حيوانية ضارية:**

قال تعالى:

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

(١) الكهف (٢٨).

(٢) الملك (٢٢).

يصف الشيخ سيد قطب -رحمه الله- هذه الحال، وهي حالة من يمشي مكبًا على وجهه بأنها: "حال بائسة تعاني المشقة والعُسر والتعثُّر، ولا تنتهي إلى هدى ولا خير ولا وصول!، وأين هي من حال من يمشي مستقيمًا سويًا في طريق لا عِوجَ فيه ولا عثرات، وهدفه أمامه واضح مرسوم.

إن الحال الأولى هي حال الشقي المنكود الضال عن طريق الله، المحروم من هداه، الذي يصطدم بنواميسه ومخلوقاته، لأنه يعترضها في سيره ويتخذ له مسارًا غير مسارها، وطريقًا غير طريقها، فهو أبدًا في تعثر وأبدًا في عَناء، وأبدًا في ضلال"[1] اهـ.

خلق الله الحيوانات وركب فيها الشهوة، غير ألاَّ عقلَ عند البهائم، فهي لذلك تقضي شهواتها أينما أتيحت لها الفرصة، سواء أكان ذلك في خلوة أو في غير خلوة، لأن هذه طبيعة الحيوانات!

فإذا ما جاء هذا الذي كرمه الله وركب فيه العقل، ليقود زمام هذه الشهوة وغيرها، فلم يلبث أن غيَّر هذا المخلوق الضعيف هذه السجية عن طبيعتها، ثم راح يقضي شِهوته على أي حال في الخفاء والعلن، يجاهر الله بالكبيرة التي تدنس العِرض والدين، ولا يأبه بنظر الله إليه، ويجعله أهون الناظرين، فهو أشر من الحيوانات الضارية لإشباع رغباتها، ذلك لأنها ما انحرفت عن طبيعتها، أما هذا الفاجر انحرف أيَّما انحراف عن الطبيعة وبجوهرها!

- جبان أينما حلّ:

لقد استعاذ رسول الله ﷺ من الجُبن، وكلنا نستعيذ بالله من الجبن، ذلك لأن الجبان لا يجد لنفسه مجالاً إلا في أخس الدرجات، فهو إن وجد ما يستأسد لأجله لا يكون استئساده إلا على ضعيف لا حول ولا قوة له إلا بالله، أما أمام الأقوياء فهو جبان وإن

(١) (في ظلال القرآن/٦/٣٦٤٤).

هُضم جميع حقه. فأي خلُقٍ هذا الذي يجعله يستعلي على الضعفاء ويركع أمام كل ذي شوكة عليه.

وتجد من نور الله قلبه بالإيمان واليقين ثابت الجأش، عزيزا على أعداء الله، لا يخاف في الله لومة لائم، حتى تجد أن من يريد به سوءًا إذا ما واجه هذا الإيمان الراسخ ارتاع منه وارتعدت أطرافه مهما أظهر من تماسك بُنيانه، وهذا المؤمن ينظر إليه نظرة المشفق، وهو كله حرارة إيمانية متوقدة.

أما الآخر ما تجده إلا خائفًا مذعورًا مهما كان له من حق، وهذه هي شيمة العُصاة الذين طمس الله قلوبهم فكما أنهم لم يخافوا الله -عز وجل- وغلَّقوا الأبواب والمنافذ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾(١) ويبارزونه بالكبائر الجسام، فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم، وجعل عقابهم من جنس عملهم، فكما أنهم لم يخافوه أخافهم الله من كل شيء.

وتجد هذا العاصي ما ترك بابًا من أبواب الجُبن إلا وقد ولَجه، فهو جبان لا ينصح لعلمه بسوء عمله وطويته، جبان يخاف من كل شيء على وجه هذه الأرض، قد علقت به سفاسف الجبن وتوابعه الذي يجعله حقيرًا صغيرًا في عين نفسه، صغيرًا في عيون الآخرين:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(٢).

(١) النساء (١٠٨).

(٢) الأحزاب (٦٢).

- **تعريته من محاسن الأخلاق:**

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله:

اعلم أن "أمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل، والباقي فروعها"[1].

وهل يستطيع أن يقول عاقل نوّر الله قلبه بالإيمان أنّ صاحب هذه الشهوة الجارفة حكيم أو شجاع أو عفيف أو عادل، اللهم فلا، أما الحكمة من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وهذا المفرط أبعد ما يكون عن الخير.

أما الشجاعة فأصلها الحكمة، وإن لم تكن الشجاعة مُدّعمة بالحكمة فإنها تُفسد أكثر مما تصلح. والعفة واضحٌ أنه ما يكون منها، وكذلك العدل.

إذًا: هذه الأصول قد عُرِّيَ منها صاحب هذه الكبيرة، وبالتالي لا بد أن يُعدم فروعها كما عُدِمَ أصولها! فأين هذه الأخلاق الرفيعة العالية؟!

الجواب: ذَهَبت ودُمِّرت من إعصار شهوات الفروج العاتية، المنحرفة عن نهج الله القويم.

- **انهيار الأخلاق جملةً:**

يقول المودودي رحمه الله:

فلا بد ومن "اللازم المحتوم ابتداؤه بالسفاسف الخلقية التي تتعلق بهذا الإثم بالضرورة، فالوقاحة والخديعة والكذب والدغل والأثرة وذواقية الطبع وتطلعه إلى كل جديد، والغدر وقلة الوفاء والخضوع للشهوات وجموح النفس وتشرُّد الفكر، كل ذلك

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٨٩).

من آثار هذه الشهوة المغلظة، ومما لا شك فيه أن مَن يجمع في نفسه هذه الخصال لا تنحصر آثار سفاسفه الخلُقية في الشؤون الجنسية فحسب، بل هو يُتحِف -الجماعة- بهذه الخصال في كل شعبة من شعب الحياة"[1].

(١) الحجاب (١٨١).

الفصل السادس

الأضرار الدنيوية والاجتماعية

تمهيد

عجيب أمر العصاة! يبارزون الله بالعظائم، ويطالبونه بالإيواء والنعائم! هُم لأمر الله ورسوله في شقاق، ويأملون مع ذلك بسعة الأرزاق.

قد أخذوا على عواتقهم متابعة الشيطان الرجيم، ويرجون ملاحظة وعناية الرب الرؤوف الرحيم، ثملت من الولوغ في الحرام فروجهم وأبدانهم، ويطلبون من الستَّار حفظ ذويهم وأبنائهم.

يا أيها العصاة: ألم تسألوا أنفسكم لحظة واحدة من أين أتاكم هذا الهم والغم والأنكاد التي تعيشونها؟! من أين جاءكم الفقر والعوز؟! ألم تسألوا ما الذي غلّق أبواب الخير في وجوهكم؟! ما الذي منع عنكم قطر السماء؟ ما الذي زلزل الأرض تحتكم وجعلها بلاقع لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً؟ ما الذي سلَّط الجراد والحشرات على زروعكم فأهلكها، وعلى أرزاقكم فدمَّرها؟!

إلى غير ذلك من الأسئلة التي غفل عنها العُصاة المتهتكون، مع أن الإجابة عن هذه الأسئلة أسطع من نور الشمس في رابعة النهار ومع أن كل عاصٍ يعيش مرَّ النتائج التي حصدها من عمله، ثم هو في غفلة عن كل سؤال يجعله ينتبه قبل فوات الأوان.

- حرمان الرزق:

وهذا أمرٌ مشاهد ومعلوم لدى العصاة أنفسهم لذلك تجد أهل الزنا وهذه الفواحش القذرة هم على العموم من أفقر الناس حالاً، ولئن كانت الطبقات الرأسمالية قد

عجَّت فيها الرذائل، فإن الواقع يشهد في كثير من الطبقات والبلدان أنه قد غيَّر الله أحوالهم، فصاروا بعد أن كانوا أغنى الناس مالاً أفقرَ وأفقر من وجد على وجه الأرض، ولئن أبقاهم الله على غيِّهم فلقد أخبرنا وطمأن قلوبنا بقوله لهم في الآخرة:

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾(١).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٢).

فكما أن التقوى مخرج للإنسان من العوز والفقر، فكذلك بمفهوم المخالفة نعلم أن المعصية سبب في عدم الرزق وشدة ضيقه، حتى تسودّ الدنيا في وجه ذلك العاصي.

فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يُصيبه..»(٣).

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«إن روحَ القدُس نفث في روعي أنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجمِلُوا في الطلب، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته..»(٤).

معنى ذلك أن من عصى الله تعالى لن ينال ما عنده إلا إذا تاب وأطاعه.

---

(١) الأحقاف (٢٠).

(٢) الطلاق (٢، ٣).

(٣) إسناده صحيح: المسند (٢٢٣٣٧)، يُنظر إلى تحقيقه في المسند (١٦/ ٢٩٢).

(٤) صحيح: تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، رقم (١٥).

- العذاب والدمار:

قال تعالى:

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

وهذا هو حال الأمم السابقة التي فجرَت واستمرّت في فجورها، وكذّبت واستمرّت في تكذيبها، عاقبها الله في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وأنكى، وكذلك الحال مع هؤلاء العصاة، فهم معرّضون لما نال الأمم من قبلهم، وإلا فما هو السبب لما حصل لهذه الأمم إذا لم يكونوا مذنبين.

يقول الإمام ابن القيم: "وما الذي سلّط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية، ودمّرت ما مرّت عليهم من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟!

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى تسمع الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمة غيرهم؟! ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد"[2].

(١) العنكبوت (٤٠).

(٢) الداء والدواء (٦٦).

إلى غير ذلك من العذاب والدمار، ما الذي سلَّطه على هذه الأمم إلا الذنوب العظيمة التي أوبقتهم في هذا الدمار الشامل.

فعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمَّهم الله بعذاب من عنده..»[1].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا ظهر الربا والزنا في قرية أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله»[2].

- شيوع الفساد:

قال تعالى:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله:

"أي: استعلن الفساد في البر والبحر، أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدَّمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها.

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجَّل لهم أنموذجًا من جزاء أعمالهم في الدنيا.

---

(١) صحيح: الصحيحة رقم (١٣٧٢)، والمسند رقم (٢٦٤٧٥)، قال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) حسن: حسنه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، رقم (٣٤٤).

(٣) الروم (٤١).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم.

فسبحان من أنعم ببلائه، وتفضل بعقوبته، وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة"[1].

وما شاع من الفساد واستشرى لإرضاء لوازم هذه الشهوة وغيرها من بنات جنسها ما عمَّ وطمَّ في البلاد الإسلامية من الاختلاط السافر الماجن في البيوت والطرقات، والشوارع والأسواق، وكذا الاختلاط العاهر على شواطئ الحب والهُيام، وهذا أشد وأشدّ.

وكذا شيوع نوادي الفيديو التي انسلخ من قلوب أصحابها الإيمان، فميَّعوا رجولة الشباب وخنثوها مما يعرضونه من أفلام الأسافل والأنذال، فأوقدوا غرائزهم فأشعلوها حتى أكلت الأخضر واليابس.

وأيضًا انتشار دور السينما في الميادين والأحياء، يجلس الشاب والرجل بجوار الفتاة تحت خيوط الأنوار الملونة التي تسطع على الشاشة، فتبدو المشاهد الخسيسة الطبيعية فتلتهم الأبصار والقلوب والمشاعر الحيوانية، كل ذلك في الظلام الدامس، وكل من الرجال والنساء على مقربة شديدة من الآخر، إلى غير ذلك من مظاهر الفساد المنتشرة بسبب هذا الداء.

- **الطواعين المستجدة والموت والأوجاع:**

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥٩٢).

«يا معشر المهاجرين! خمسٌ إذا ابتليتُم بهن، وأعوذ بالله أن تُدركوهنَّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلِنُوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..»[1].

قال السندي: "لم تظهر الفاحشة: أي الزنا"[2].

وما الأمراض الجنسية الفتاكة عنا ببعيد، فلقد ظهر الشبح المخيف والموت البطيء (الإيدز)، ولَكَم رأينا جميعًا وسمعنا عن هذا الداء الخطير الذي يجعل صاحبه رهن العزلة والانفراد حتى يأتيه الموت، وهو طريح الفراش قد هجره الخلاَّن، بل وأحرقوا كل ما لمسته يداه من أَسِرَّة وفرش ونحو ذلك خوفًا من العدوى، وكذلك هناك الزُهري والسيلان وكثير من الأمراض المستجدة التي لم تكن من ذي قبل، بسبب هذه الفاحشة وزميلاتها.

بل ولقد رأينا أن أقصر الناس عمرًا في الغالب هؤلاء السُكارى الفجرة أصحاب العهر والمجون، وأزقة الخنا، والفساد الفاحش، ومصداق ذلك ما رواه عبدالله بن بريدة عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« وما ظهرت الفاحشة في قومٍ قطّ إلا سلَّط الله ﷻ عليهم الموت»[3].

فدُنيا حالها طواعين فتاكة، وأوجاع تنغصها، وموت قد اشتد نشبه، فعليها السلام.

لأن دنيا حالها هذا، هي أسرع للفناء منها إلى البقاء.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم (٤٠١٩)، وحسنه الألباني فيا لصحيحة رقم (١٠٦)، وفي صحيح ابن ماجة رقم (٣٢٦١).

(٢) سنن ابن ماجة بحاشيته السندي (٤/ ٣٦٨).

(٣) صحيح: السنن الكبرى للبيهقي: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله بالصدقة.. رقم (٦٣٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٧).

- انقراض الحياة بأسرها:

وشرح المسألة: أنه إذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فسيؤدي ذلك إلى العزوف عن الزواج، وبالتالي سينقرض النسل شيئًا فشيئًا حتى يباد جميعه.

وكذلك إذا اكتفى الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل بطريق غير شرعي، فسيؤدي ذلك أيضًا إلى انقراض النسل، وذلك بتوفر الوقاية التي تمنع الحمل خوفًا من الفضيحة وتحمُّل المسؤولية وتَبِعاتها.

هذا من جانب النسل، أما من الجانب الآخر فستجد أن الأمراض الفتَّاكة المُخزية ستؤدي أيضًا إلى كثرة الموت، وبالتالي ستنقرض كذلك الحياة شيئًا فشيئًا كما نوهْتُ آنفًا.

وسنجد أيضًا العقوبات الإلهية التي تدمر الأرزاق ولوازم المعيشة، حتى لا تكاد ترى نهرًا من الأنهار أو مصب مياه أو تجمعًا لمياه الأمطار، إلا وقد أصيب هذا الماء بما عرف في هذه الآونة بالتلوث البيئي. فلا يُحصى كم من الحيوانات نفقت وماتت، وكم من الزروع اجتاحها الدمار قبل حصدها بقليل، ولقد سمعنا كثيرًا عن التسمم الذي أودي بحياة كثير من البشر، تارة من التلوث البيئي -على زعمهم- وتارة أخرى من تعفُن آلاف الجثث التي ألقيت في الأنهار على إثر حروب سببها ما قدَّم الإنسان من نسيان لهذا الدين، وإشباع رغباتهم على شتى تنوعها من الحرام.

إلى غير ذلك من الأضرار التي تتكبدها الدنيا من استهتار الإنسان بحُرُمات الله، ولا ننسى الزلازل التي زلزل الله بها بيوت الفسقة المخمورين، فلا يمر وقت تلو آخر حتى تطلع علينا النشرات بأخبار الزلازل التي راح ضحيتها ملايين من البشر في كثير من أصقاع الأرض.

- **كثرة الجرائم:**

يقول الدكتور فضل إلهي حفظه الله:

"كثرة الجرائم من النتائج المنطقية للإباحية الجنسية، وذلك لأنه يترتب على انتشار الزنا كثرة أولاد الحرام، وهؤلاء يفقدون الحب والحنان، وهذان من أهم ما يحتاج إليهما الطفل، فينشأ في نفوسهم إحساس بالحرمان، ويولد لديهم بُغض المجتمع الذي يعيشون فيه، ويريدون أن ينتقموا ممن حولهم، وحين يبلغون سن الرشد يلجأون إلى هتك الأعراض وسلب الأموال وقتل النفوس، يُضاف إلى هذا أن الزنا في ذاته سبب لكثير من الجرائم، فكم من جرائم سرقة تُرتكب حتى يتمكن السارق أن يسكب الأموال المسروقة على أقدام البغايا، وكم من نفوسٍ تُقتل في سبيل ارتكاب الفاحشة.

وإذا أبيح الزنا فالشاب يريد أن يمارس العلاقات الجنسية مع أية فتاة أعجبته، رضيت هي أم أبت، فيستخدم كل الوسائل لنيل هدفه منها، من غير مبالاة بالقانون أو الأخلاق.

لقد أضحى اغتصاب الفتيات أمرًا عاديًا في المجتمعات التي انتشر فيها الزنا، وتنقل الجرائد حوادث الاغتصاب كل يوم، وتعترف بها التقارير، فقد ذُكر في التقرير الذي نشرته وزارة العدل الأميركية عن الجرائم التي ارتكبت خلال سنة ١٩٧٧م ما يلي:

"تغتصب فتاة بعد كل ثماني دقائق في الولايات المتحدة الأميركية، وارتُكبت ٦٣٠٢٢ جريمة اغتصاب للفتيات خلال سنة ١٩٧٧م".

ولو لم تكن هناك إلا جريمة اغتصاب واحدة لكان فيها كفاية للدلالة على شناعة هذه الانحرافات الجنسية، وهل يقتنع بهذا إلا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؟!»[1].

- **بعض الحوادث المذهلة:**

"ذكرت جريدة الأهرام القاهرية في عددها الصادر في ٧/ ٥/ ١٩٦٥م الخبر التالي: "أصدرت الجمعية البريطانية لمعالجة الشذوذ الجنسي تقريرًا اليوم قالت فيه: (إن مليون رجل في بريطانيا -وربما أكثر- مُصابون بالشذوذ الجنسي)، ونقلت أخبار اليوم القاهرية في ٢٤/ ٤/ ١٩٦٥م هذا الخبر: (خرجت النساء السويديات في مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجًا على إطلاق الحريات الجنسية في السويد. اشتركت في المظاهرات مائة ألف امرأة)، وذكر جورج بالوشي في كتابه "الثورة الجنسية" ما يلي: (وفي سنة ١٩٦٢م صرَّح كنيدي بأن مستقبل أميركا في خطر، لأن شبابها مائع منحلّ، غارق في الشهوات، لا يقدِّر المسؤولية المُلقاة على عاتقه، وأن من بين كل سبعة شبَّان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية)، وذكر كذلك: (في نيسان سنة ١٩٦٤م أثيرت في السويد ضجة كُبرى عندما وجَّه ١٤٠ طبيبًا من الأطباء المرموقين مذكرة إلى الملك والبرلمان، يطلبون فيها اتخاذ إجراءات للحد من الفوضى الجنسية التي تهدد حقًّا الأمة وصحتها، وطالب الأطباء بقوانين ضد الانحلال الجنسي).

(١) التدابير الواقية من الزنا (٧٨،٧٩).

ويكتب القاضي "بن لندسي" في كتابه [تمرُّد النشء الجديد]: (أن الصِّبية في أميركا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جدًا، يشتد فيهم الشعور الجنسي)»[1].

إلى غير ذلك من الحوادث كثير جدًا موجود أمامي أستحيي والله من كتابته، وإن كان هذا التقرير في دولة الإباحة، فلا ريب أن أنقله، لأن معظم الشعوب -إن لم يكن جميعها- قد سارت وراء هذه الدول الكافرة في كل شيء، فإلى هؤلاء أبواق الغرب، أحذِرُهم من عذاب الله الذي لا يرد.

ولو أردنا أن نبحث عن التقارير الرهيبة الموجودة في بلاد الإسلام، لوجدنا كذلك نسبة من هذه الحوادث لا يُستهان بها، فإلى الله المشتكى!

(١) إلى كل أب غيور، يؤمن بالله (٣٥، ٣٦).

الفصل السابع

الأضرار النفسية

تمهيد

إن الأضرار النفسية هي الرفيق القريب لأصحاب هذه الشهوة المنحرفة، لأن الذي يعبد الله على نور من الله يرجو ثواب الله، تجده أسعد من يمشي على وجه الأرض، فمهما ضاقت عليه الدنيا بأسرها، ومهما هجره الخِلاَّن والإخوان، ومهما قُيِّد بأغلال الحياة النكدة فهو في رغدٍ من العيش وبسطة في النفس، وانشراح في الصدر، وأنس بالله أنساه ويُنسيه كل هذه الأوهاق المتعبة المُرجفة، ومصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

فهي حياة طيبة مهما حملت في طويَّتها من مكاره للإنسان، ذلك لأن المؤمن يقابل ذلك برضى وتوكل يُثمر له البهجة والسرور مهما كان، فلا يحزن على مفقود، ولا يفرح بموجود.

أما الآخر -وهو ذلك التعيس- الفاقد للصواب، المُعتمِد على الأسباب، التائه في دروب السراب، المحروم من كل خير، المكردس في كل شر، فهو دائمًا وأبدًا في فلوات وقِفار الهموم والغموم، قد سُلِبت منه حلاوة الإيمان، قد ألفَ الغربان، بات وأضحى سكرانَ.

(١) النحل (٩٧).

تعال يا من تريد العلاج لهذه الحالة المنكوبة، لتتعرف على هويتها وأمزجتها، إن المكان الذي تذهب إليه هذه الحالة الآسنة من الروتين الفاضح هو كل حِكر ووكر مشبوه، لماذا؟!

لأن هذه الخبايا بها ما بها من كل سلعة تحبُّها نفس ذلك المعربد، صاحب الغواني السافلات؟! فيذهب إلى كل مكان هو على شاكلة معطنه ومبركه المحبب، وينفر من كل مكان يحول بينه وبين موائده الغضّة الشهية، ولو أردت التفصيل لهذه الخبايا وهذه الموائد لانبَرَى القلم رافضًا أن يمضي خجلاً وحياءً أن يخط بسنه ما يذرف الدمع أو يصم السمع.

ومن هنا كانت الرؤية واضحة جلية، أن سبب هذه الأوباء النفسية، والأدران القلبية التي اكتوى بها الفؤاد هذه الفوضى الجنسية التي اشتد سعارها حتى تولد الشبق الذي يصعب علاجه إلا إذا وفّق الله تعالى.

فمن أراد من هؤلاء العُصاة الجباة للسموم القاتلة في الحال أن ينفك من هذه الغابة الموحشة، وأعني بها هذه الحيرة المريرة الدائمة من هذه البلايا والرزايا النفسية لا بد أن يقلع في الحال ثم يندم ويتوب توبة صادقة، عساها تنفرج هذه الكربة الكئيبة. فإن أبى ذلك العاصي هذا العلاج، فلا علاج سواه، بل هناك أخطار وأضرار وقيود غير ما سلف كثير وكثير...

- مأساة نفسية:

ومن هذا الكثير، أعني من هذه الأزمات والأدغال النفسية التي عانى منها اللأواء والنَّصب، هذه الأزمة، بل المأساة النفسية التي يحياها هذا اللاهث وراء شبقه في كل مكان.

فتجده دائمًا تعلو مسحات وجهه سحابة كثيفة السواد يراها من نوَّر الله قلبه بنور الإيمان، ويراها من أعطي فِراسة تشعُّ سوادًا من وجه هذا العاصي. تنتابه حالات من الضيق والاختناق والكآبة، ولا يدري ما السبب؟! فجوات غائرة في نفسه وكيانه وحياته، لا يستطيع مقاومتها، بل استسلم لواقعه المرير، كالدمية لا يستطيع حراكا.

إمعة لا يستطيع ولا يقدر أن يقرر أمرًا ما، فهو لا يَشجع على أن يأخذ قرارات لنفسه بنفسه، فهو دائمًا متردد عديم الثقة بنفسه، فكيف بغيره؟! فهو دائمًا مذبذب بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[1]. صدره في ضياع وضيق، من آنٍ لآخر يدخل في خضم جرب نفسية تستغرق معظم وقته، مع إرهاق الذهن في دائرة مفرغة، وفي النهاية يخرج بلا شيء!

يُصاب كثيرًا بحالات من الإعياء الذهني الذي ينعكس عليه باصفرار في الوجه، وذبول واغورار في العين، ونُحول الجسم، تنتابُه نوبات من التوتر الذي ربما يسبب له عقبات مع أقرب الناس إليه، قد صاحبه الاكتئاب مع توافر دواعي الراحة والمتعة، شارد الذهن، يتصنَّع الضحكات -هذا إن حصل منه خلسةً- وربما يؤول في نهاية المطاف إلى ما لا تُحمد عاقبته من ضيق الروح، وشعورها بالغربة والوحشة الشديدة عن الجسد، فتتوق إلى الانتحار!، وكم سمعنا هذا، بل إن هذا ما تراه واضحًا، لا يحتاج لمزيد بيان في دول الكفر والبغي والفجور والعهر والإلحاد.

وربما يغلب على عقله فيرى الحق باطلاً والباطل حقًا، وهذا هو الهلاك، فحياته لا يستطيع أن يجدد لها هدفًا يعيش من أجله، عنده قلق مستمر، ينام بصعوبة من كثرة أرقِهِ وتقلبه من وخز الضمير وتأنيبه، هذا إن كان له ضمير!

---

(١) النساء (١٤٣).

لا يستطيع أن يواجه مشاكل الحياة ومعتركها بتعقل وصبر وطمأنينة، فهو في هلع منها ومن غيرها. عنده سوء ظن بالناس، وعنده حذر دائم ممن يستحق وممن لا يستحق، عنده انطواء نفسي يستر به ما أفقده توازنه، أمنيته أن ترتاح سريرته، وأن يفوق من سُباته، وأن يصحو من سكرته، وإن يحيا حياة هنيئة مريئة طيِّبة.

ولكن.. كيف ذلك؟! وهو في أمواج العصيان يسبح، وكلما مرَّ على لحمٍ مُنتن ينبح! نعوذ بالله من الخذلان!

الفصل الثامن

الأضرار الأسرية

تمهيد

لو نظرنا في أي مجتمع إسلامي، ودقَّقنا النظر في الفساد الذي طمس هويته، ومسخ معالمه، لوجدنا أن القائمين بهذا الفساد والانحلال، والناشرين له المؤيدين لاستعلائه إما أرباب أسَرٍ ممسوخة التربية الإسلامية، وإما أبناء أسَر قد غفل عنهم ولم يُوجَّهوا الوجهة الصحيحة السليمة.

أي أصل الفساد إما أب ضيَّع رعيته ونفسه، وإما ابن أو بنت قد احتوشتهما البارات والخمَّارات في غفلة من أهلهما، وكلاهما شرٌّ قد استشرى في كثير من بلاد الإسلام، والسبب هو غلبة الأهواء وتسلطها على أفراد الأسرة التي أصبحت شذر مذر، لا رقابة واعية، ولا رباط إيماني، ولا تربية إسلامية، ولا غيرة على الأهل، إلى غير ذلك مما استفحل في كيان كل أسرة حيثما وُجد بينها هذا الخلل.

وكل بيتٍ عجت فيه هذه الفاحشة، فهو حتمًا ولا بد يدفع ثمن ذلك غاليًا من شرفه وعِرضه وسُمعته ونظامه، ومن هذه المصائب التي تحل على هذه الأسرة المشردة ما يلي:

- كما تدين تدان:

أيظن هذا الزاني الفاجر أن الله سيمهله، ويجعله يمضي قُدُمًا يكرع في أعراض الناس، دون أن يجعله عبرة بين الناس علم أو لم يعلم؟!

يقول الإمام الشافعي:

عفُوا تعف نساؤكم في المحرمِ ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلمِ
إن الزنا دَين فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلمِ[1].

وقال أيضًا:

يا هاتكًا حُرمَ الرجال وقاطعًا ... سُبُلَ المودة عشت غير مكرَّمِ
لو كنت حرًا من سلالة ماجدٍ ... ما كنت هتَّاكًا لحرمة مسلمِ
من يَزْنِ يُزنَ به ولو بجداره ... إن كنتَ يا هذا لبيبًا فافهمِ[2]

ولو استطردنا لهذه الوقائع المخزية التي كست الدار سوادًا، ونكَّست أعناق الرجال الشامخة، لطال الخطب جدًا، ولكن نكتفي بالإشارة لتوارد مثل هذه الفجائع على كثير من الألسنة، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على ذيوع الفساد وانتشاره.

وهذه قصة خلاصتها أنه كان هناك رجل ذو صفات حميدة، فلما ذهب إلى بلاد الغرب، رجع إنسانا آخر، أخذ يدعو إلى التهتُّك والسفور، فجادله صديقه على انحرافه هذا، فلم يكن منه إلا أن رد عليه ردًا في منتهى الإباحية، فسأله صديقه: "هل تأذن لي أن أقول لك إنك عشت فترة طويلة في ديار قوم لا حجاب بين رجالهم ونسائهم، فهل تذكر أن نفسك حدثتك يومًا من الأيام وأنت فيهم بالطمع في شيء مما لا تملك يمينك من أعراض نسائهم فنلت ما تطمع منه من حيث لا يشعر مالكه؟! قال: ربما وقع لي

(١) ديوان الإمام الشافعي (٩٧).

(٢) المرجع السابق.

شيء من ذلك، فما تريد؟! قلت -أي صديقي- أريد أن أقول لك إني أخاف على عِرضك أن يلم به من الناس ما ألمّ بأعراض الناس منك.."[1].

وفي نهاية الحوار لم يقتنع الرجل بنصائح صديقه، وركب رأسه، وأطلق العنان لزوجته وقد خلع عنها الحجاب تذهب أينما شاءت وتحاكي من شاءت لثقته بها -كما يزعم- وكانت النهاية أن ضُبطت زوجته مع صديق له في إحدى الشقق المفروشة، وكانت نهايته الموت كمدًا وحسرة كيلاً بكيل، وما ربُّك بظلاّم للعبيد.

هذه إشارة، وإلا فالفضائح كثيرة، نسأل الله الستر في الدنيا والآخرة.

- ضياع الأولاد:

وهذا أيضًا من الآثار الخبيثة، التي تتكبدها الأسرة إذا ما فشا فيها هذا الداء المزعج، وهو ضياع الأبناء ذكورًا كانوا أو إناثًا.

وإني لأذكُر حادثة رأيتها بعيني منذ ما يقارب عاما ونصفا، وتتلخص هذه القصة في الكلمات التالية:

كنت ذات يوم أسير في بعض الشوارع لحاجة ما، والشارع مليء بالناس كعادته، ولكن هذه المرّة التي كنت أسير فيها رأيت أمرًا مُلفتًا للنظر ظننته حادثا أو شِجارًا بين بعض الأشخاص، رأيت أُناسًا يقفون دوائر على مقربة من سيارة شرطة، بجوار هذه السيارة-أي سيارة الشرطة- سيارة أخرى نزل منها شابان وفتاتان، والخطبُ أن هذين الشابين تواعدا مع هاتين الشابتين على اللقاء في هذا المكان، وصفة هذا المكان أنه مليء بالأشجار، هادئ ساكن لا يمر به إنسان، وكان اللقاء بين الأربعة في السيارة الفخمة في

---

(١) الموضوعة: مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة يُنظر من (٧٤٠) إلى (٧٥٥) أوردت منها على الشاهد لأن القصة طويلة.

هذا المكان تحت جُنح الظلام الدامس في الساعة العاشرة ليلاً تقريبًا، مع العلم أن هذا المكان لا يوجد به أي ضوء نهائي، ولعل الشرطة كانت تراقب هؤلاء الفتية الذين أطاعوا الشيطان، فازدادوا خبثًا ولؤمًا حتى تم هذا اللقاء المريب بينهم، ولكن سرعان ما انكشف المستور وضبطتهم الشرطة في هذا الوضع الفاضح، واصطحبوا الأربعة، مخنثين وفاجرتين، إلى مقر الشرطة لاستدعاء أولياء أمورهم ليبشروهم بحسن التربية والرعاية، وليبيضوا وجوه الآباء بهذا الموقف المشرِّف الذي جعل الأمة تجرجر وراءها أذيال الذلّ والعار، والركوع في واحة إهدار الكرامة، والتقليد لإخوان القردة والخنازير في كل ما يجلب التأخر والدمار، حتى صارت الخلية الكبرى -وهي الأسرة- ضائعة يوم ضاعت أولادها، وتركت لهم الزمام حتى صار الحال شرًا لا يستوعبه المقال.

وذكر شيخنا الفاضل الشيخ: سعد الحجري -حفظه الله- في كتابه "الأعمال بالخواتيم"، هذه الفاجعة التي يُدمى منها القلب، قال حفظه الله:

"وقد ذكر لي أحد الأحبة في الله وهو من الثقات، نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا، في ليلة الجمعة التي توافق ٢٧/ ٢/ ١٤١٥هـ أن أحد أصدقائه في العمل كان يُكثر البكاء ولا يرى لبكائه سببًا، وتكررت هذه الحالة مرات عديدة، ولم يجرؤ على سؤاله لأنه أمرٌ خاص به، وخشي أن يثير أحزانه أكثر مما هي عليه.

ومرَّت أيام كثيرة، والرجل يزداد ألمًا وحزنًا فقال: أساله وأستخبر أمره لأعرف حاله، فإن كان خاصًا أقنعني، وإن كان لمشكلة حاولت مساعدته بقدر ما أستطيع .. وتحيَّن الفرصة حتى وجدها فقال له: يا أخي: أراك تكثر البكاء، فما الذي يُبكيك؟! أشفقت عليك من كثرة أحزانك، قال: إنها قصة محزنة يتقطع لها القلب، ويُندى لها الجبين، وكثيرًا ما كان يُظهر التأوه والتحسر، فاستعجلته وقلت: أخبرني بالقصة لأساهم في التخفيف من معاناتك، فقال لي على استحياء شديد، والعرق يتصبب من وجهه:

لقد كان لي صاحب سيئ سحبني إلى الشر معه، إذ كانت له صديقة يواعدها، ويخرج بها، ويقضي معها بعض الوقت ثم يعيدها إلى أهلها، ولعلَّ ذلك في وقت الدراسة حتى لا تنكشف، وفي يوم من الأيام اتفقت معه أن يأتي بها في مكان من الأمكنة لا يلفت النظر، فأخذها على حسب الموعد الشيطاني، وعند ركوبها، رآها صبي صغير، فهددتهُ ألا يخبر عنها، ومضت مع قرينها وكنتُ -أي المتحدث شاهد القصة- انتظرهما لأشاركهما في جريمتهما، ولكنهما عدَلا في سيرهما حتى وصلا إلى قبو تحت عمارة لم يكتمل إصلاحها، وجعلا مؤخرة السيارة إلى مدخل القبو، ولم يطفئ السيارة، فدخل غازها في القبو، وهما فيه، حتى أغمي على المرأة وماتت في الحال، وأصيب الرجل بدوران في رأسه وصداع شديد يصرعه حينًا، ويقوم حينًا حتى وصل إلى مؤخرة السيارة فسقط من قامته وأغمي عليه حتى مات.

وشاع خبرهما في أوساط الناس، وحضر رجال الأمن فوجدوهما قد فارقا الحياة على غضب الله وسخطه، وغابت عنهما مراقبة الرب تعالى! فماذا يقولان لله تعالى إذا سألهما عن صنيعهما؟ وماذا يقول وليّ المرأة لربه إذا سأله عن موليته، وعدم القيام بحقها من الرعاية والملاحظة -لأن القوامة له- وتساهله في تزويجها، وعدم منعها من المثيرات للشهوة!

لقد جنى ثمرة تفريطه، فذاق مرارة الدنيا، عاش كئيبًا حزينًا منكسًا رأسه بين الناس، وله عند الله في الآخرة ما قد كتبه المولى له، وهو الذي يتولى عباده.

فهل يعي الأولياء والآباء حقوق الأولاد، ويؤدونها كاملة بلا نقص ليحفظوا أعراضهم، ويحفظوا أعراض المسلمين؟!»[1].

---

(١) الأعمال بالخواتيم (٢٣٨- ٢٣٩).

- رحيل الأمن والاستقرار وفساد القيادة:

إن الأمن والاستقرار دربٌ من دروب الحياة الطيبة، ولا تكون إلاَّ للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وبيتٌ هشُّ الأساس، لن يدوم طويلاً حتى يصبح هباءً منثورًا، فالشتاء والرياح الشديدة وعوامل التعرية سرعان ما تفتك بهذا البنيان البالي حتى ينزعج البيت من أدنى ريح أو مطر، خوفًا من السقوط.

وكذلك البيت والأسرة التي لم تنشئ رعاياها تنشئة سليمة، ولا علَّمتهم مبادئ الدين العظيمة تحميهم من تقلبات الأوضاع الراصدة لشباب الأمة، وحتى تحميهم من بهرج المدنية الغربية التي وجدَت لها من السدنة ما حماها وربَّاها حتى جرفت بعقول الشباب، وزلَقَت بأرجلهم في ركب الضياع!

إن هذه الأسرة التي ألقت بفلذات أكبادها هكذا لتذوقنَّ مرارة فعلها وليرحلن عن هذه الأسرة كل أمن واستقرار، ولَتعيشنَّ هذه الأسرة حالة استنفار دائم لأدنى زوبعة يقوم بها أعداء الدين الحقيقيُّون، أو المارقون المخادِعُون.

ذلك لأن الأسرة ستُدرك ولكن بعد فوات الأوان، ستدرك أنها أضاعت أبناءها، وذلك عندما يرون الظلام الحالك بالمجتمعات الإسلامية في كل مكان، في وقت أنهم قذفوا بأبنائهم منذ نعومة أظفارهم إلى خارج الأسرة في وسط هذه المعركة الضارية ولم يحصِّن الأبناء بأمصال قوية تقاوم هذا الداء الفتَّاك بلوازمه.

فدرج الأبناء بلا حصانة في وسط هذه الجراثيم والبكتيريا القاتلة، فرجعوا إلى البيت وقد نُهكت أبدانهم هذه الميكروبات الحادة!

عند ذلك فطن الآباء لما أصاب فلذات الأكباد فراحوا يستأصلون الداء فما استطاعوا لاستفحال المرض، وثانيًا لضعف بُنيان الآباء جسدًا وعقلاً، عندئذٍ راحوا يقرعون سنَّهم، ويعضُّون أصابعهم، ويخمشون ضمائرهم، وذلك لأن أيديهم أوكَت وأفواههم نفخت، هذا إن كان في الآباء بقية خير حصل لهم الندم إن عجزوا عن الإصلاح، ولربُما كانت الطامة وهي أن تقتلهم العدوى، فيحملون أمراض أبنائهم، وعندئذٍ ستعصف بهم أمواج الفتن، ويُصبحوا بعد أن كانوا قادة مُصلحين إلى غاوين مضلِّين، نسأل الله الثبات في الدنيا والآخرة، وألا يجعل لنا من حظنا الكلام ولكن العمل والتطبيق.

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله وجعل الجنة مثواه:

"إن الأسرة التي تنطلق فيها هذه الشهوة بغير حساب إسرة معرضة للخلل والفساد، لأنه لا أمن فيها للبيت، ولا حُرمة فيها للأسرة، والبيت هو الوحدة الأولى في بناء الجماعة، إذ هو المحضَن الذي تنشأ فيه الطفولة وتدرج، ولا بد له من الأمن والاستقرار والطهارة ليصلح محضنًا ومدرجًا، وليعيش فيه الوالدان مطمئنًا كلاهما للآخر وهما يرعيان ذلك المحضن ومن فيه من فراخ.

والأسرة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب أسرة قذرة هابطة من سلَّم البشرية، فالمقياس الذي لا يخطئ للارتقاء البشري، هو تحكُّم الإرادة الإنسانية وغلبتها وتنظيم الدوافع الفطرية في صورة مثمرة نظيفة"[1] أهـ.

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٥٥).

الفصل التاسع

الأضرار البدنية

تمهيد

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتُليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهنّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..»[1].

قد سبق معنا هذا الحديث في الأضرار الدنيوية، واستشهدنا به أن هذه الأمراض سبب في هلاك البشرية، وهنا نستشهد به أن هذه الأمراض سبب في تدمير البنية.

فكما يُقال الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، كذلك يقال فاقد الشيء لا يعطيه، فيا سبحان الله! دخلنا المستشفيات ولمسنا بأيدينا هذه النعم الكثيرة المذخورة في أبداننا كيف عافاها الله من هذه الأمراض المفترسة، التي تغلغلت في أجسام هؤلاء الضعفاء النحّل، حتى صاروا كأنهم آثار عفا عليهم الزمن، فحمدًا لله على العافية، ولكن ما هو حال العُصاة الذين رأوهم؟، ما كان هؤلاء العُصاة إلا أن ترحّموا على هؤلاء وتحركت مشاعرهم نحوهم بالأسى والحزن عليهم ليس إلاّ!

فبدل أن كانوا يتعظون من هذا المرض الذي أرداهم، ساروا على منوالهم في اللهو والفجور حتى فاجأتهم الأمراض الجنسية القاتلة، فأصبحوا بعد أن كانوا شعلة متوقدة في الفسق والمجون، أصبحوا جثة هامدة في بحار الغمّ والهموم، فبدّلوا بالصحة مرضًا،

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم (٤٠١٩)، وحسّنه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٦)، وفي صحيح ابن ماجة رقم (٣٢٦٢).

وبالسعادة حزنًا، وبالهدوء قلقا، وبالخلطة عزلة وبالأنس وحشة، وبالمودة بُغضًا وقطيعة، ازدراهم الناس واحتقروهم، حتى رفقة السوء والفحش هجروهم، نخرت الأمراض الفتاكة عظامهم، فتمنوا الموت طيلة أيامهم، يأسًا منهم أن يبرؤوا من أسقامهم التي جنوها على أنفسهم من فجورهم وعصيانهم.

- **السيلان والزُهري:**

يقول المودودي: "إن أول ما يجنيه الزاني من عمله هذا هو أنه يعرِّض نفسه لخطر الإصابة بالأمراض السرية القاتلة، وبذلك لا ينقص مما في قواه من المنفعة فحسب، بل يجرُ على الجماعة والنسل أيضًا ضررًا بالغًا.

وإن مرض السيلان الذي هو أول ما يبتلى به الفاجر، يقول فيه الأطباء: إن هذه القرحة في الإحليل قلما تندمل، ولا يخلص من أذاها إنسان إلا في النادر.

ومن قول طبيب نطاسي: من أصيب بالسيلان مرة أصيب به للأبد.

وهذه العاهة كثيرًا ما تتلف الكبد والمثانة والخصيتين غيرها من الأعضاء، وتسبب وجع المفاصل وأمراضًا أخرى، كما أنها قد تسبب العُقم الأبدي، ثم إنها من الأمراض السارية من نفسٍ إلى آخر.

وأما مرض الزهري فمَن منا لا يعلم أنه يسمم نظام الجسد كله ولا يُبقي من قمة الرأس إلى أخمص القدم عضوًا من أعضاء الجسد غير متأثر بسمومه وأذاه، وهذا المرض لا يبيد قوى المريض وحده، بل يتعداه إلى من لا يُحصى من النفوس الأخرى بطرق شتَّى. ثم ينتقل من المريض إلى أولاده وأولاد أولاده، فيعانون أذاه بلا ذنب يجنون.

وقد قدروا أن تسعين بالمائة من أهالي القطر الأميركي مبتلون بهذه الأمراض، ويُعلم من دائرة المعارف البريطانية أنه يعالج في المستشفيات الرسمية هناك ماتتا ألف مريض بالزهري، ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان البني في كل سنة بالمعدَّل.

وقد اختص بهذا الأمراض الجنسية وحدها ستمائة وخمسون مستشفى على أنه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين الذين راجعهم ٦١ بالمائة من مرضى الزهري، و٨٩ بالمائة من مرضى السيلان.

وإن الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض يربو عليها جملة عدد الوفيات لواقعة من الزهري وحده، وأقل ما يقدُّره المسؤولون في مرض السيلان أنه قد أصيب به ٦٠ بالمائة من النفوس في سن الشباب، فيهم العُزّب والمتاهلون.

وقد أجمع الماهرون في أمراض النساء على أن ٧٥ بالمائة من اللاتي تجري العملية الجراحية في أعضائهن الجنسية يوجدن متأثرات بمرض السيلان»[1].

- **تأثير السيلان على الإنجاب:**

"إن أهم مضاعفات هذا المرض، التهاب الأحبال المنوية، فإذا حدث التهاب في الناحيتين فإن النتيجة تكون عقمًا دائمًا، ونفس الشيء يكون بالنسبة للمرأة، حيث يؤدي هذا الالتهاب إلى انسداد الأنابيب التي تلتقي خلالها البويضة بالحيوان المنوي، هذا الالتهاب يؤدي إلى حدوث التليُّف الذي يسد الطريق ويؤدي إلى حدوث العقم".

---

(١) الحجاب (١٢٠، ١٨٠).

- تأثير السيلان والزهري على القدرة الجنسية:

"وبالنسبة للسيلان، فإن المريض يشعر بحرقان عند التبوُّل، وألم شديد في قناة مجرى البول، وهنا يكون اللقاء الجنسي مؤلمًا، مما يجعل المريض ينصرف عن إتمام العملية الجنسية، وهو نوع من أنواع الفشل الجنسي، الذي يؤدي حتمًا إلى هدم العلاقة الزوجية. نفس الشيء يحدث لمريض الزهري، مع وجود التقرُّحات المؤلمة حول الأعضاء التناسلية "[1].

- القرحة الرخوية:

"وهي مرض شديد العدوى، يسببه نوع من البكتيريا، فيه يشكو المريض من وجود تقرحات على القضيب، أو على الأعضاء التناسلية، وأحيانًا على الفخذين، وفي المرأة حول فتحة الشرج أو عند الرحم وحول الأعضاء التناسلية .. وبعد حوالي أربعة أيام تظهر غُدد ليمفاوية ملتهبة في المنطقة القريبة، وقد تُفتح على شكل دمامل أو بثور.."[2].

- الالتهاب المحاري:

وهو مرض معدٍ سريع الانتشار، يسببه نوع من الفيروسات تؤدي إلى حدوث أورام صغيرة نصف كروية تشبه المحار، وتظهر هذه الأورام حول الجهاز التناسلي والمثانة.

وهناك أمراض أخرى كثيرة غير ما ذكرنا، كالجرب وقمل العانة والسنط"[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق (٧٠، ٧١).

(٣) المصدر السابق.

- **الهربيس:** "منذ ثلاثين سنة كان هناك ثلاثة أنواع فقط من الأمراض التناسلية، أما اليوم فهناك ٢٨ نوعا من هذه الأمراض، والبعض يقول ثلاثون، وأكثرها جرائيم تهدد حياة المصاب، ولا شفاء منها.

واليوم في الثمانينات انتشر الهربيس، ويقول الأطباء إنهم في حاجة إلى أكثر من عشر سنوات لاكتشاف دواء يقضي عليه، وقد لا يحصل أبدًا.

قالت إحدى المصابات بالهربيس في الأعضاء التناسلية: يبدأ ألم غريب ويضطر الإنسان للتبوُّل باستمرار بعد أسبوع يزداد الألم وتتورم الأعضاء التناسلية، وأجلس فوق مياه ساخنة، وأبقى كل الليل، كنت خائفة، لم تعد عندي أية علاقة جنسية، هذا المرض لا شفاء منه.

وفي أبحاث أُجريت على ١٨٣ مُصابًا بالهربيس، ظهر أنهم يعانون أيضًا من ١٤ نوعا من السرطان بينه سرطان البروستاتا، والكلية، والجلد، والحنجرة، وعنق الرحم.

أما الهربيس الذي يصيب الأعضاء التناسلية، وهو النوع الثاني، فإن الجرثومة تتسرَّب إلى نقطة العصب في أسفل النخاع الشوكي، وعندما يتحرك عند الرّجل، فإن تورمًا يصيب العضو التناسلي يرافقه ألم فظيع، وتظهر الجرثومة بشكل بُثور كبيرة فوق العضو التناسلي مليئة بالماء، وتختلف طول فترة بقائها.

أما المرأة، فبالإضافة إلى التورم، فإن جرثومة الهربيس تظهر بحبيبات مائية ظاهرة، ولكن الأكثر ألمًا تلك التي تكون داخل الرحم.."[1].

وقد أطال المؤلف في شرح هذا الداء العُضال بصورة لا يصل إليها الخيال، نعوذ بالله، ونلوذ به تعالى من كل ما يغضبه.

---

(١) المصدر السابق (٧١، ٧٧) بتصرُّف.

وقد ذكر المؤلف أمراضًا كثيرة اخترت منها ما أثبته خشية الإطالة، وإلا فالأمراض جديرة بأن تذاع وتنشر، لكي يكون فيها عبرة لمن يعتبر.

- قنبلة الإيدز:

مع الإيدز.. ذلك المرض اللعين، وهو التحدّي من الخالق بمُدمني المعاشرة الحرام .. نقف لحظات، مع أرقام الإيدز وخطر الإيدز، وكل ما يتعلق بالإيدز!

وفي مقابلة، أجرتها معه جريدة المسلمون يقول الدكتور: محمد علي البار مستشار الطب الإسلامي بمركز الملك فهد للبحوث الطبية: "إن المُصاب بالإيدز يُخرج فيروسات الإيدز في إفرازاته كلها بما فيها الدموع، والبول، وكذلك اللبن إذا كان ذلك الشخص امرأة مُرضِعَة.

إلا أن وسائل العدوى تتركز في الشذوذ الجنسي، والزنا، والدم ومحتوياته، والحقن، والإبر الملوثة، وانتقال الفيروس من الأم المُصابة إلى جنينها، والتلقيح الصناعي، وزرع الأعضاء والعمليات الجراحية، أو الإصابة بإبرة أثناء سحب الدم من المريض، واستخدام الآلات مثل أدوات طب الأسنان عندما تستخدم لأكثر من مريض.

والشذوذ الجنسي والزنا يشكلان ما يوازي ٩٠ بالمائة من حالات انتشار الإيدز، ويعتبر الشذوذ العامل الأساسي في حدوثه، وانتشاره في الولايات المتحدة الأميركية وكندا ودول أوروبا الغربية بصورة خاصة، حيث يُشكِّل الشاذون جنسيًا ما بين ٧٠، ٨٠ بالمائة من جميع حالات الإيدز في هذه البلاد.

ويعتبر الزنا العامل الأساسي في أفريقيا الاستوائية، وفي الوباء الذي انتشر مؤخرًا في الهند وبانكوك بتايلاند، حيث بلغت نسبة المُصابات ٧٠ بالمائة وبلغت نسبة البغايا

الحاملات لفيروس الإيدز في نيروبي بـ" كينيا" ويبوتار بـ"رواندا" وزامبيا وأوغندا ما بين ٨٠ و٩٠ بالمائة"[1].

- أحدث تقرير عن الإيدز:

ذكرت مجلة المجتمع العدد ١٢٨٦ في ٢٩ رمضان ١٤١٨هـ ما يلي:

بقلم محمود الخطيب حفظه الله:

"٣٠ مليون يحملون الفيروس، بينهم ١,١ مليون طفل تحت سن الخامسة عشرة، العام الحالي: ٥,٨ ملايين حملوا الفيروس، ٩٠ بالمائة منهم من دول العالم الثالث، و٥٠ بالمائة من الشباب".

قال أيضًا الأستاذ محمود الخطيب:

ما زالت البشرية تقف عاجزة أمام انتشار مرض نقص المناعة (الإيدز) في وقت تتوقع فيه منظمة الصحة العالمية ارتفاع عدد حاملي فيروس الإيدز إلى أكثر من ٤٠ مليون شخص مع نهاية القرن الحالي.

وبلغ عدد الوفيات المسجلة هذا العام بسبب مرض الإيدز ٢,٣ مليون شخص، وهو ما يمثل تقريبًا ٢٠ بالمائة مما مجموعه ١١,٧ مليون شخص تُوفوا بالمرض منذ بداية ظهوره أواخر السبعينات، ومن بين الذين تُوفوا بالإيدز هذا العام ٤٦٠ ألف طفل، كما أن ٤٦ بالمائة من المتوفين كانوا من النساء[2].

---

(١) ارقام مخيفة (٧٢، ٧٣).

(٢) مجلة المجتمع، العدد ١٢٨٦، ٢٩ رمضان ١٤١٨هـ ٢٧/١/١٩٩٨م.

حالات الإصابة في الدول العربية	
الدولة	**الحالة**
الأردن	١٤٦ حالة توفي منهم ٤٩
قطر	٥٥ حالة
اليمن	٣٥٠ حالة
المغرب	٤٣٠ حالة
الجزائر	٣٢٦ حالة
سورية	١٥١ حالة توفي منهم ١٣
لبنان	٤٧٥ حالة
مصر	٩٧٥ حالة توفي منهم ٣١٤

ثم أخذ -حفظه الله- يستطرد في هذا التقرير الإحصائيات في جميع أنحاء العالم، وذكر الحَقائق مُذهلة، ولولا الإطالة لَذكرتُها.

الباب الخامس

العِلَاج

البَــاب الخَامِـس

العِــلاَج

الفصل الأول/

التوبة الصادقة:

- تمهيد
- شروط التوبة
- من آيات الرجاء العظيمة
- احذر القنوط من رحمة الله تعالى
- استغفار رسول الله ﷺ
- فرح الله بتوبة عبده
- تبديل السيئات حسنات

الفصل الثاني/

الـدعـاء:

- تمهيد
- فضل الدعاء
- اغتنام الثلث الأخير من الليل
- آداب الدعاء
- الدعاء باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب

الفصل الثالث/

الـزواج:

- تمهيد
- فضل الزواج

الفصل السابع/

عدم التفكير المهيج للشهوة:

- تمهيد
- الإثم ما حاك في صدرك
- دفع الخواطر والأفكار الشهوانية والردية بداية
- كيف يتمكن الشيطان من قلب المسلم
- كيف تروض خواطرك وتطرد شيطانك

الفصل الثامن/

الرفقة الصالحة:

- تمهيد
- الحث على صحبة الصالحين
- شروط من تختار صحبته

الفصل التاسع/

مع النفس:

- تمهيد
- مراقبة الله تعالى
- محاسبة النفس
- مجاهدة النفس

الفصل العاشر/

ومن أعظم وسائل العلاج ما يلي:

- تمهيد
- أولا: فرض الحجاب
- ثانيا: منع التبرج
- ثالثا: تحريم مس الأجنبية ومصافحتها
- رابعا: منع الخلوة بالأجنبية
- خامسا: منع سفر المرأة بغير محرم
- سادسا: منع خروج المرأة متطيبة متعطرة
- سابعا: منع الخضوع بالقول
- ثامنا: منع الاختلاط المستهتر
- تاسعا: مشروعية الاستئذان

الفصل الحادي عشر/

استحضار نار جهنم:

- تمهيد
- صفة جهنم وأهوالها وأنكالها
- عمق جهنم وشدة حرها
- طعام أهل النار وشرابهم
- واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا!
- استحكام عذاب جهنم

الفصل الثاني عشر/

استحضار الجنة ونعيمها:

- تمهيد
- صفة الجنة وأصناف نعيمها
- الجنة لا مثل لها
- طعام أهل الجنة وشرابهم
- ادنى أهل الجنة منزلة
- الحور العين
- أخي.. هذا هو النعيم والسحر الحلال

الفصل الثالث عشر/

الختـان:

- تمهيد
- مشروعية ختان الإناث من كتاب الله تعالے
- مشروعية ختان الإناث من حديث رسول الله ﷺ
- الأضرار الطبية لعدم الاختتان
- الختان تكريم للمرأة
- كيفية الختان

الباب الخامس

العِلاج

تمهيد

يا أيها الزاني، أيها الشاذ جنسيًا، أيها الممقوت بين البشر، لا بد وأن تقف مع نفسك وقفة حازمة رادعة صريحة، لا بد وأن تجاهد نفسك على الدوام، لكي تخلّص البلاد والعباد من الشر الذي استفحل بسببك، لا بد وأن ترجع من تيه الظلام الذي تسلكه، حتى تعود مقبولا عند الله وعند الناس عامة.

يا أيها المسكين، ألم تنظر إلى نفسك، وما الذي جنيته عليها، ألم تنظر إلى قلبك وسواده الطاغي، ألم تشعر بالشر الذي احتواه، وبالخير الذي هجره، وبالهوى الذي دمَّره، وبالعشق الذي سلبه لبَّه، ألم تنظر إلى ضيق صدرك، وتعاستك وغوصك في لجج الهموم والأحزان، ألم تنظر إلى سحائب الشهوات التي كست الوجه سوادًا، والعين اغورارًا، والجسم نحولا؟! ألم تنظر إلى استلابك لأعراض البيوت والأسر الآمنة، ألم تفكر أيها المسكين كم نكَّسْتَ أعناق رجال شامخة عالية، كم دسَسَت عيون رجال في الطين، كم مزقت قلوب أمهات من الأنين، كم من بيتٍ احتوشه الظلام وساد فيه السكون المخيف بسببك، كم من أطفال وئدوا بجرمك، كم من العانسات ترهَّبنَ بفحشك؟!

لولاك ما انتشرت دور السِّفاح، لولاك ما وَجدت الغانيات من يروي غليل شبقهن، لولاك ما راجت التجارة بالفروج النتنة القذرة المنحطة. لقد انتشرت المجلاَّت الفاجرة بقدر إقبالك عليها، وعجَّت المهيجات بدورها بحجم استخدامك لها، وكثرت المعاكسات بكثرة ملابستك إياها وتفننك بأساليبها.

ما ظهر التبرج الصارخ، وما فاحت العطور الأخّاذة لقلوب العطاشى، وما حلّقت النظرات الزائغة في الطرقات وما تغنجت النساء في الحركات والكلمات، وما برقت الحليّ سافرة على الصدور والأعناق والمعاصم، وما رقت الثياب وانسالت على أجساد الآثمات، وما ساحت الحدائق والمنتزهات بكل ما يخدش الحياء والمروءات، وما أورقت صبغات ربات الخدور من كل لون يسلب عقول الرجال الضعيفة، وما عاثت الشوارع والأزقة بالفساد الذي سلف وصفه وغيره إلا لوجودك في كل ساحة من هذه الساحات، وإقبالك بنَهم وشره على كل ما تُظهره امرأة من جسمها أو طيبها أو نظراتها أو حركاتها أو كلماتها أو حُليِّها أو ثيابها أو تفلُّتها في تجمعها أو صبغاتها، ما كانت هذه الفوضى لتنتشر إلا بوجود سلعتها منك ومن أمثالك الذين هم على شاكلتك.

أيها المسكين، ألم تفكر لحظة واحدة لماذا هجرت المسجد، وهجرت كل تجمع للخير؟! ألم يرع انتباهك هجر الشرفاء والأخيار لك، ألم ترَ ولو مرة واحدة نظرة شك من رجل دخلت بيته؟! ألم تشاهد تجنُّب الناس لك، وإحسانهم إليك خوفًا منك ومن شرِّك.

قل لي بربك: هل أودَعَك إنسان وديعة أو استأمنك سرًا أو باح لك بما داخله من مشكلة أتعبته رجاء أن يجد عندك حلا؟! أو هل استأمنك إنسان على أهله وبيته وكلَّفكَ أمانة الإشراف عليهم إلى أن يعود من سفره أو أمره؟!

أيها الزاني، ما أراك إلا مسلوب الإرادة حتى أصبحت دُمية لا تحرك إلا إذا حرِّكت.

أيها التائه، إن سكرات الموت وحدها كفيلة أن تنغص على الإنسان عيشه، ألم تفكر فيها، وفي انتزاعها روحك من بين جنبيك واستلالها من بين اللحم والعصب والعروق والفاصل.

عُد إلى ربك، عُد أيها الضعيف إلى مولاك، عُد إلى روضات الأنس بالله، بادر بالندم قبل أن لا ينفع الندم.

عُد إلى ربك، لقد مُنعنا القطر بذنبك حتى أصبحت الأرض جرداء قحلاء لا زرع فيها ولا ماء.

أيها المسكين، عُد إلى مولاك قبل أن تجترفك الأمراض الفتاكة فتيأس من الشفاء فتتمادى في ُقبحك يأسًا وقنوطًا من رحمة الله والعياذ بالله، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

إني مشفق عليك عَلِمَ الله، أخاف عليك سوء الخاتمة وهول المطلع وضغطة القبر، والمثول أمام الله، والهول كله عند جواز الصراط، ثم إلى نار وقودها الناس والحجارة، أو إلى نعيم لا ينفد وقرّة عينٍ لا تنقطع.

عُد -أخي- إلى الرحيم الغفور، وأعلم أنك أمام خزائن الرحمة التي لا تفنى ولا تبيد، بادر وأقبل إلى صراط الله المستقيم، واسلُك كل طريق يوصلك إلى العلاج الحاسم لما دبَّ في بدنك حتى أوهنه، واطرق كل باب خير يأخذ بيدك إلى شاطئ الأمان، وينقذك من الأمواج العالية العاتية.

إن سفن النجاة بجوارك في كل مكان تلوح لك أعلامها، فأقبل إليها وامتطيها إلى رب العالمين، عجِّل للخلاص من هذه النار التي أوشكت أن

تستلب منك روحك. إن عُدت إلى الله قَبِلك، وبدّل سيئاتك حسنات، فانتهز الفرصة قبل أن يدركك الموت القريب أخذه.

ما أكثر العوامل الشرعية التي إن امتثلتها شفاك الله وعافاك من هذا السّكر المأفون، وتفتحت عيناك على السعادة الحقيقية التي ما كان لك أن تخالطها وتمازجها إلا بامتثالك لشرع الله، وأخذك الحيطة والحذر من كل ما يقربُك إلى هذا الداء مرة أخرى، فهنيئًا لك -أيها الحبيب- العلاج، وها هو بين يديك فخذه وطبقه هنيئًا مريئا.

الفصل الأول

التوبة الصادقة

تمهيد

وهي -أخي- أول المنازل إلى الله تعالى، وأسرع قارب نجاة يشق عُباب الأمواج المتلاطمة، والعواصف القاسية، غير آبه بهما إلى رب العالمين، فليكن أول همك الانفكاك من هذا التمادي الآثم تصحيح مسار التربية، وسلوك طريق التوبة الصادقة الجادة، مُبتغيًا بها وجه الله تبارك وتعالى.

واعلم أنه يستحيل أن تنتظم في سلك السُعداء والأتقياء والشرفاء إلا بها، فلتكن هي شغلك الشاغل، وهمّك الحاصل والعاجل، هداني الله وإيّاك الصراط المستقيم.

- شروط التوبة:

ولكي تحقق أصول التوبة وتشعر بنتائجها الإلهية، لا بد لك أن تتعرف على ماهية التوبة وشروطها، لأن معظم الناس يظنونها ترديد كلام معروف وراء الخُطباء يوم الجمعة، وإن أُحسن الظن بكثير منهم، فإنها لا تتعدى أن تكون ندمًا وقتيًا ودمعة أسف وحزن عابرة، ثم يمضي في فجوره ظنًا منه أن الله غفر له ما مضى، وأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، ثم يعتذر عن هذا الإثم الذي يلج فيه صباح مساء، أن نفسه غلبته وأنه سيجدد توبته مثلما فعل أول مرة.

لا يا أخي، إن هذه ليست التوبة المقصودة، بل إن صح القول في هذه التوبة فهي توبة المستهزئين، ولكي تنقشع الظلمة أمامك وتتجلى لك الحقيقة، فتحذو حذوها، وتسير في ركبها، إليك شروط التوبة التي هي في شهرتها تغني عن

كتابتها، ولكن إلى الله المشتكى من ضياع الدين عند كثير من العُصاة حتى اتخذوه لهوًا ولعبا.

وهذه الشروط يبيِّنها الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- فيقول: "الشرط الأول: الإخلاص لله، بأن يكون قصد الإنسان بتوبته وجه الله ﷻ وأن يتوب الله عليه ويتجاوز عمَّا فعل من المعصية، لا يقصد بذلك مُراءاة الناس والتقرب إليهم، ولا يقصد بذلك دفع الأذية من السلطان وولي الأمر، وإنما يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة، وأن يعفو الله عن ذنوبه.

الشرط الثاني: الندم على ما فعل من المعصية، لأن شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق في التوبة.

الشرط الثالث: أن يقلع عن الذنب الذي هو فيه، وهذا من أهم شروطه، فالإنسان التائب حقيقة هو الذي يُقلع عن الذنب، أما أنه يقول إنه تائب إلى الله وهو مصرٌ على ترك الواجب، أو مصر على فعل المحرَّم، فإن هذه التوبة غير مقبولة، بل إن هذه التوبة كالاستهزاء بالله عز وجل.

والإقلاع عن الذنب إما أن يكون إقلاعًا عن ذنبٍ يتعلق بحق الله ﷻ فهذا يكفي أن تتوب بينك وبين ربِّك، ولا ينبغي بل قد نقول لا يجوز أن تحدِّث الناس بما صنعت.

أما إذا كان الذنب بينك وبين الخلق، فإن كان مالا فلا بد أن تؤديه إلى صاحبه، ولا تقبل التوبة إلا بأدائه. أو يكون الحق غيبة، يعني أنك تكلمت به في غيبته، وقدحتَ فيه عند الناس وهو غائب.

قال بعض العلماء: لا تذهب إليه -تطلب السماح منه- بل فيه تفصيل، إن كان قد عَلِم بهذه الغيبة فلا بد أن تذهب إليه وتستحله، وإن لم يكن علم فلا تذهب إليه واستغفر له وتحدَّث بمحاسنه في المجالس التي كنت تغتابه فيها، فإن الحسنات يُذهبن السيئات، وهذا القول أصح.

الشرط الرابع: العزم على أن لا تعود في المستقبل إلى هذا العمل.

الشرط الخامس: أن تكون في زمن تُقبل فيه التوبة، قبل الموت وقبل طلوع الشمس من مغربها"[1].

- من آيات الرجاء العظيمة:

قال تعالى:

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

يقول ابن كثير: "أي افعلوا ما أمركم به من الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهيا عنه"[3].

وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4].

وقال تعالى:

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٧٤- ٧٩) بتصرُّف.

(٢) النور (٣١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧٦).

(٤) البقرة (٢٢٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾(٢).

- احذر القنوط من رحمة الله:

قال تعالى:

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٣).

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

"يُخبرُ تعالى عباده المسرفين أي: المُكثرين من الذنوب، بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: (قُل) يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدُعاة لدين الله، مُخبرًا للعباد عن ربهم ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ باتباع ما تدعو إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علاّم الغيوب، ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا تيأسوا منها فتُلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرَت ذنوبنا، وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها، ولا سبيل يصرفها

(١) النساء (١١٦).

(٢) الأنعام (٥٤).

(٣) الزمر (٥٣).

فتبقون بسبب ذلك مصرِّين على العصيان، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالَّة على كرمه وجوده واعلموا أن اللهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَمِيعًا من الشرك والقتل والزنا والربا والظلم وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار ﴿هُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ﴾ أي:

وصفة المغفرة والرحمة وصفان لازمان ذاتيان لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود"[1] أ هـ.

لا تقنطنّ من عظَم الذنوبِ فرُبّ العباد رحيمٌ رءوفُ
ولا تمضين على غـير زادٍ فإن الطريق مخوف مخوفُ[2]

- **استغفار رسول الله ﷺ**

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ:

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3]

يقول السعدي: "(وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ) مما صدر منك إن صَدَر"[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال:

سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنّان (٦٧٣).

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/ ٣٤).

(٣) النساء (١٠٦)

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١٦٣)

(٥) البخاري: كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم (٦٣٠٧)، الفتح (١١/ ١٢١).

وعن الأغرّ بن يسار المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا أيّها النـاس توبـوا إلى الله واستغفروا فإني أتـوب إليـه في اليـوم والليـلة مـائة مـرة»(١).

إن الإنسان ليقف مدهوشًا والله أمام هذه القدوة المحمدية، فمِن أي شيء يستغفر رسول الله ﷺ؟! مِنْ أي ذنب يستغفر مَنْ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! مِم تستغفر يا من أول من يجوز الصراط، ويا من أول قارع لباب الجنة؟! مِمّ الاستغفار؟

يا صاحب اللواء المعقود والحوض المورود، مما الاستغفار بأبي أنت وأمي؟! إنه استغفار إجلال وعظمة لله تعالى، لا استغفار كبائر أحاطت به من كل جانب. فإن كان وهو المعصوم حتى من الصغائر يُهَلل ويُسبِّح ويستغفر ويتوب إلى الله هكذا، فماذا نفعل نحن أصحاب العظائم والجرائم؟! فهوِّن على نفسك يا أخي، هوِّن على نفسك، فنحن كلنا أمام هذا السموق المحمدي نخاف الهلاك أكثر منك، فمنا من أُعجب بعبادته بل ويمنّ على الله بذلك، لأنه يرى أن استغفاره هذا إنما هو استغفار عظمة وإجلال لا استغفار ذنب وتقصير، ولو علم هذا المدخول المعجب بنفسه لعلِمَ أن استغفاره هذا يحتاج إلى استغفار.

أما أنت أيها المذنب فاستغفارك وتوبتك قد جُمِّلاَ بالانكسار والتأوه والخوف والوَجل ألا تُقبل توبتك، فتوبتك هذه أحب عند الله من أنين المستغفرين الرائين لأنفسهم وزنًا وثقلا، فلا تجزع ولا تحزن ولا تقنط، وأبشر بقبول الله للتوبة النَّصوح.

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم (٢٧٠٢)، نووي (٢٣/١٧).

- **فرح الله بتوبة عبده:**

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَلَّهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاة فانفلَتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك! أخطأ من شدة الفرح»[(١)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

"ففي هذا الحديث، دليل على فرح الله بالتوبة من عبده إذا تاب إليه، وأنه يحب ذلك سبحانه وتعالى محبةً عظيمة، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا، فالله غني عنا، ولكن لمحبته سبحانه للكرم فإنه يحب أن يعفو وأن يغفر أحب إليه من أن ينتقم ويؤاخذ، ولهذا يفرح بتوبة الإنسان ففي هذا الحديث حثٌّ على التوبة لأن الله يحبها، وهي من مصلحة العبد"[(٢)].

فاقبل ولا تحجم أيها المذنب، فربنا غفورٌ رحيم، يحب من عبده أن يرفع إليه يده ويرجوه، فذنبك مهما عظم بجوار كرم الله صغير صغير.

فلا تهوله بعدم التوبة منه، فها هُو المنعم العفو الغفّار يفرح بقدومك عليه، وبطرق بابه إليه، فما أرحمه وما أحلمه! فلا تسوِّف في التوبة، وأسرع في الرجوع والنوبة، عساك تصادف وقت قبول وإجابة فتكون من السعداء دنيا وآخرة.

---

(١) مسلم: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم (٢٧٤٧)، نووي (١٧/ ٦٣).

(٢) شرح رياض الصالحين (١/ ٨٩، ٩٠

- تبديل السيئات حسنات:

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

والمعنى كما قال الإمام ابن كثير:

"إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا لأنه كلَّما تذكَّر ما مضى ندم واسترجع واستغفر الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة، وإن وجده مكتوبًا عليه فإنه لا يضرُّه، وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحَّت به الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم"[2] اهـ.

وقال القرطبي:

"فلا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحَّت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة"[3] اهـ.

(١) الفرقان (٦٨- ٧٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣١٦).

(٣) الجامع لأحكام القرن (١٣/ ٨٤).

ومن الأدلة على ذلك ما رواه أبو ذرّ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالِقِ الناس بخُلُقٍ حسن»[1].

قال المباركفوري: "تمحها أي: تدفع الحسنةُ السيئةَ وترفعُها.. والمراد يمحو الله بها آثارها من القلب أو من ديوان الحفظة، وذلك لأن المرض يُعالج بضده، فالحسنات يُذهبنَ السيئات"[2] اهـ.

وعن أبي ذر أيضًا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا، وآخر أهل النار خروجًا منها: رجلٌ يؤتى به يوم القيامة فيُقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيُقال: عملت يوم كذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه تُعرض عليه، فيُقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: ربِّ قد عملت أشياءَ لا أراها هنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[3].

فأي عاقل يعي بقلبه هذا التفضُّل والإنعام، ثم لا ينتهي عمَّا هو فيه من الآثام، تالله إنها الخسارة الكبرى، يوم أن يعلم العاصي بهذا الجود الإلهي وهذا

---

(١) حسن صحيح: رواه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم (٢٠٥٣)، تحفة الأحوذي (٦/ ١٠٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والمسند رقم (٢١٢١٥)، قال المحقق: إسناده صحيح، وسنن الدارمي (٧٤) باب في حُسن الخلُق، رقم (٢٦٨٨).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ١٠٤).

(٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم (١٩٠)، نووي (٣/ ٤٧).

الإقبال منه على العُصاة شفقة منه ﷺ عليهم، ثم هم يفرُّون من رحمته ويهربون من عفوه إلى النار.

اعلم أيها المذنب أنه لا عذر لك بعد اليوم، فها أنت قد علمتَ شروط التوبة وسمعت النداء السامي يحذرك من مغبة ذنبك، ويفتح لك آفاق الرجاء، ويخبرك أنه ليس من صفات المؤمنين مهما كثرت ذنوبهم اليأس والقنوط من رحمته، وها أنت قد علمت استغفار مَن لا ذنب له وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فحري بك أن يكون استغفارك بعدد الأنفاس، كيف لا، والذنوب كثيرة، وقد علمت أن الله يفرح بتوبتك فلا تبغضه عليك بنفورك وإبائك أن تكون من الطاهرين المطهَّرين.

وقد سمعت بتبديل الحسنات سيئات لمن تاب فأناب وأدام طرق الباب ولزم الاستغفار وغلَّف على ذنوبه الكبار والصغار بغلاف التوبة الصادقة النصوح. فلا عذر لك بعد اليوم، فإما أن تُقبل على الله قدوم الكرام، وإما أن تُدبر إدبار اللئام، وساعتها ستجد الحقيقة المرة ممثلة في أبشع خطاب تقريع وتوبيخ تُصعق بسماعه وأنت تحت وطأة العذاب والتمحيص:

﴿فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

---

(١) الطور (١٦).

الفصل الثاني

الدُّعاء

تمهيد

كأني بهذا العاصي الذي أسرف على نفسه حتى طال مُكثه بين الحانات والبارات ودور البغاء وحجور الغانيات، كأني به يستفيق من هذا الكابوس الذي أشرفه على الهلاك، كأني به يصحو مُنهَك القوى من هذا المعترك الرَّهيب الذي مصَّ دمه وحياءه، وأسلبه إرادته وعزيمته، كأني به يقف مشدوهًا أمام نفسه، مُطأطئ الرأس، منطوي القلب، سارح الذهن مكتئب الصدر، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وتيقن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فلم يشعر بالدموع وهي تتدفق على وجنتيه، ولم يشعر في أي مكان يجلس ولا بمن حوله، بل لم يعبأ بهذه الحياة كلها، فهو في شغل عن كل شيء إلا من ذنوبه.

فراح يعزِّي نفسه، ويبكي ذنبه، ويندب ويهمهم بجرمه، كأنه حادي الأحزان أو صديق الوحوش والغربان! أَلِفَ الليل وظلمته، وصاحَب دمعته وزفرته، يمر يوم تلو يوم وهو من الطعام طاويًا، ومن معاصيه شاكيًا، وعن النفس نائيًا وهاجرًا، ينوح دائمًا: ربَّاهُ فاغفر لي، ربَّاه فاغفر لي.. اغفر خطيئاتي، واغفر لي شنيع زلأتي، ربي ما عصيتك جرأة عليك، ولا عنادًا لك، ولا مُخادعة بك، ولا استهتارًا بأمرك، ولا اقتناعًا بالفُحش! ولكنه ضعف الإيمان ورفقة السوء، وسكرة الهوى، وضياع اليد الحانية في تربيتي وتنشئتي كما تحب.

إلهي لا تعــذبني فإنــي	مقــــرٌّ بالــذي قد كـان منِّـي
فمــا حيلـتي إلاَّ رجـائـي	لعفوك إن عفوت وحُسن ظنِّي

وكم من زلةٍ لي في الخطايا وأنت عليَّ ذو فضلٍ ومنٍّ
إذا فكَّرتُ في ندمي عليها عَضَضْتُ أناملي وقرعتُ سِنِّي(١)

فاغفر لي.. فاغفر لي!

كأني بهذا المذنب يدعو ربه ولصدره أنين، يدعوه ﷻ ويرجوه رافعًا يديه إلى السماء في الثلث الأخير من الليل يحلق ببصره في السماء، ويداه ترتعش، صدره يرتجف، ودمعه ينهمر، قد علاه العرَق، وهدَّ صدره الخوف والقلق، يُناجي مولاه، ربي ربي غُلِّقَت الأبواب في وجهي فلم يبقَ إلا بابك، إلهي خيرُك إليَّ نازل وشرِّي إليك صاعد، تتقرب إليَّ بالنعم وأنت الغني عني، وأهرب منك بذنبي، وأنا أحوج ما أكون إليك.

فيا مُغيث المغيثين أغثني مما ألم بي، ها أنا ببابك فلا تطردني، لا تحرمني، لا تغضب علي، فمن لي ربي إن لم تكن لي من للمُسيئين مثلي سواك، ربَّاه فاغفر لي.

كأني بهذا العاصي قد توجه هذا التوجه، وعلم أن له ربًا يغفر الذنوب ويتجاوز عن الخطيئات، فانطرَح ببابه وأخذ يدعوه ويرجوه ملتزمًا بما ينبغي أن يلتزم به في الدعاء.

كأني به وقد رجع مغفورًا له، مستريح القلب، قد تبدَّل حاله من السوء إلى الحسن، ومن الذنب إلى الطاعة، ذلك لأنه علم أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فلزم ربه وألحَّ في دعائه أن يغفر له، فأدركه الفلاح بفضل الله أولا، ثم بفضل

(١) مختارات شعرية (٦٤-٦٥)، وهو من شعر أبي العتاهية (٢٢٣).

ملازمته للانكسار والتضرُّع والمناجاة والدعاء أن يضمه الله في سلك التائبين الخائفين المستغفرين.

- **فضل الدُّعاء:**

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1].

"أيةُ رقة وأي انعطاف، وأية شفافية، وأي إيناس فوق هذا؟! ألفاظ رقراقة شفافة تُنير .. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة، والود المؤنس، والرضا المطمئن، والثقة واليقين، يعيش منها المؤمن في جِنابٍ رضيّ وقُربى نديَّة وملاذ أمين، وقرار مكين، وهو يدعو سيد السادات الذي ليس له مِثل ولا نظير.

ولو لم يكن في الدعاء إلا رقة القلب لكفى:

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

ولو لم يكن في فضله إلا هذه الآية لكفى:

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾"[3] [4]

(١) البقرة (١٨٦).

(٢) الأنعام (٤٣).

(٣) الفرقان (٧٧).

(٤) صلاح الأمة في علوّ الهمّة (٥/ ١٠٥، ١٠٦).

عن أبي هريرة ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ:«أفضل العباءدة الدعا»[1].

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال:

قال رسول لله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليس شيء أكرم على الله من الدعاء».

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في فضل الدعاء كثير كثير، فأقبل أيها المتواني على ربك وادعوه واطلب منه حاجتك، فالله ﷻ يستحيي من عبده إذا ما رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، فما أكرمه وأحلمه!

- اغتنام الثلث الأخير من الليل:

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»[3] وفي رواية: إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه..»[4].

---

(١) صحيح: رواه ابن عدي في الكامل (٦/ ١٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٢٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد، رقم (١٨٣٠٤)، وقال المحقق: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٧).

(٣) صحيح: المسند، وصححه العلامة أحمد شاكر رقم (٨٧٣٣)، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٩٢) وقال: حديث حسن.

(٤) المرجع السابق.

قال الحافظ ابن حجر:

"وفي حديث الباب من الفوائد.. أن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1]، وأن الدعاء في ذلك الوقت مُجاب، ولا يُعتَرض على ذلك بتخلفه عن بعض الداعين، لأن سبب وقوع الخلل في شرط من شروط الدعاء كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس أو لاستعجال الداعي أو بأن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة العبد أو لأمر يريده الله"[2] اهـ.

فاحذر أن تفوتك هذه الفرصة، وتحيَّن سحائب المغفرة والعفو وقضاء الحاجات، وكشف الكرُبات، وتكفير الخطيئات التي تنزل على مستحقيها، ممن لازموا الدعاء بتضرع وخشوع واستغفار في الثلث الأخير من الليل، عسى أن يقبلك الله أيها العاصي، عساه يتوب عليك ويجعلك من السعداء.

صبرًا جميلا ما أقرب الفرج مَن راقب الله في الأمور نجا

مَن صدَقَ اللهَ لم ينلـهُ أذى ومَن رجاه يكون حيث رَجا[3]

(١) آل عمران (١٧).

(٢) فتح الباري (٣/ ٤٠).

(٣) ديوان الإمام الشافعي (٤٥).

- آداب الدعاء:

كلنا يدعو، وكثير منا لا يُستجاب له، فلا العاصي ينتهي عن فُحشه، ولا غيره تَحقَّقَ له أمنية.

فلماذا لا يستجاب لك أيها المذنب؟! لماذا؟!

ها أنت تكرارًا ومرارا، بعدما تأتي من عالم اللذة والفجور ومعاقرة جميع الشرور، تصحو لنفسك هُنيهة تدعو فيها الله أن يصرف عنك هذا البلاء، ولكن سرعان ما تُعاود الكرة مرة تلو المرة، فلا من حب الفاحشة ينجو قلبك، ولا من الشهوة المنحرفة تعود لرشدك! فما السبب؟! مع أنك دعوت ورفعتَ يديك.

اعلم -أخي- أن من لوازم استجابة الدعاء شروطًا وآدابًا، فمتى لم يُستجب لك خاصة في الإقلاع عن المعاصي فاعلم أنك مقصِّر في أداء هذه الآداب والواجبات التي يجب على الدّاعي وخصوصًا أصحاب هذه الكبائر المغلَّظة يجب عليهم الالتزام بهذه الآداب، لكي يفوق من سباته ويعود لربه طاهرًا مُطهرًا، خالصًا مُخلصًا لله رب العالمين.

ذكَر الإمام النووي هذه الآداب في كتابه "الأذكار" نقلا من "الإحياء" فقال رحمه الله:

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في "الإحياء":آداب الدعاء عشرة:

"الأول: أن يترصد الأزمان الشريفة، كيوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل، ووقت الأسحار.

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة، كحال السجود، والتقاء الجيوش، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة، وبعدها، قلت -أي النووي- وحالة رقة القلب.

الثالث: استقبال القبلة ورفع اليدين.

الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر.

الخامس: أن لا يتكلف السجع، وقد فُسِّر به الاعتداء في الدعاء، والأولى أن يقتصر على الدعوات الثابتة عن رسول الله ﷺ، فما كل أحد يُحسن الدعاء فيُخاف عليه الاعتداء. وقال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

السادس: التضرُّع والخشوع والرهبة، قال تعالى:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(١).
وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٢).

السابع: أن يجزم بالطلب، ويوقن بالإجابة، ويصدِّق رجاءه فيها، قال سفيان بن عُيَينة رحمه الله: لا يمنعنَّ أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه، فإن الله تعالى أجاب شر المخلوقين إبليس إذ قال:

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾(٣).

الثامن: أن يلحّ في الدعاء ويكرره ثلاثًا، ولا يستبطئ الإجابة.

---

(١) الأنبياء (٩٠).

(٢) الأعراف (٥٥).

(٣) الأعراف (١٤).

التاسع: أن يفتتح بذكر الله تعالى.

قلت -أي النووي- وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه، ويختمه بذلك أيضًا.

العاشر: وهو أهمُّها والأصل في الإجابة، وهو التوبة، وردّ المظالم، والإقبال على الله تعالى"[1] اهـ.

- الدعاء باسمه الأعظم إذا دعي به أجاب:

عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ:

«اسمُ اللهِ الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] وفاتحة سورة آل عمران»[3].

وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال:

سمع النبي ﷺ رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئلَ به أعطى وإذا دُعيَ به أجاب»[4].

قال الشيخ العلاّمة محمد شمس الحق العظيم أبادي:

---

(١) الأذكار (٥٦٥- ٥٦٧)، إحياء علوم الدين (١/ ٤٧١- ٤٧٦).

(٢) البقرة (١٦٣).

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم (٣٨٥٥) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة رقم (٣١٢٣).

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم (٣٨٥٧)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة رقم (٣١٢٥).

"وقال الطيبي: وفي الحديث دلالة على أن لله تعالى اسمًا أعظم إذا دُعيَ به أجاب، وأن ذلك مذكورٌ هاهُنا، وفيه حُجَّة على من قال كل اسم ذُكر بإخلاص تام مع الإعراض عمَّا سواه هو الاسم الأعظم، إذ لا شرف للحروف، وقال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي: وهو إسناد لا مطعنَ فيه، ولا أعلم أنه رُويَ في هذا الباب حديث أجود إسنادًا منه، وهو يدل على بُطلان مذهب من ذهب إلى نفي القول بأن لله اسمًا هو الاسم الأعظم، وهو حديثٌ حسن"(1) اهـ.

فما يضيرُكَ أخي أن تلهج باسم الله الأعظم في جميع الأوقات، في الخلوات بالأسحار، وفي جميع الليل وكل النهار.

تالله إنها السعادة الكبرى، أن يبشرنا رسول الله ﷺ ويدلنا على مفاتيح التوبة والرجوع إلى الله، وإن هذا الاسم الأعظم لهو من أجل مفاتيح الدعاء المقبول، فبادر أيها الأخ قبل أن يدركك الموت فتندم حيث لا ينفع الندم، وتطلب الاستدراك في وقت العدم.

خَفِ اللهَ وارجوه لكل عظيمةٍ ... ولا تُطع النفس اللجوجَ فتندما
وكُن بين هاتين من الخوف والرَّجا ... وأبشر بعفو الله إن كنتَ مسلما
ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلتُ الرَّجا مني لعفوك سُلَّما
إليك- إله الخلق- أرفع رغبتي ... وإن كنتُ يا ذا المنِّ والجود مُجرِما

(1) صحيح: أخرجه ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم (٣٨٥٧)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة رقم (٣١٢٥).

تعاظمـــني ذنـبي فلـــما قـــرنـــته بعفـوك ربـي كـان عفـوُكَ أعظـما
وإن تعـفُ عني تعـفُ عن متمـردٍ ظلـومٍ غشـومٍ حين يلقـاك مسلـما
وإن تـنتـقم منـي فلسـت بآيـسٍ ولو أدخلت نفسي بِجُرمي جهنما
فجُرمي عظيم من قديم وحادثٍ وعفوك يا ذا العفو أعلى وأجسما[1]

(١) ديوان الشافعي (٩٩، ١٠٠).

الفصل الثالث

الزواج

تمهيد

كم من شاب صالح معروف بين الناس بدينه وورعه وتقواه، لا تشوب أخلاقه شائبة، نظيف الداخل والخارج من كل منقصة شهوانية جارفة إلى وحل الظلام ودنس الحياة، ومع ذلك تجده يحاول بكل وسيلة أن يستقر في بيت الزوجية يتمتع بحلاله، حتى يظل هكذا مرموقًا عند الله، شريفًا عند الناس، يكابد كل عقبة كؤود بينه وبين حياة الاستقرار والطُّهر والعفاف، وهذا بالنسبة للصالح!

فما بالك أيها العاصي، وأنت تعرف من نفسك ما لا يعرفه سواك، تعرف حياة السراديب وما تحتويها، بل عِشتها برُمَّتها، ما بالك تعي المَخرج ولا تخرج، ما بالك ترى هؤلاء الأتقياء يسارعون وهم أنقياء إلى الزواج، وأنت مُعرض عنه بوجهك وبظهرك، لا تفكر مجرد التفكير فيه، وأنت مع ذلك ترجو النجاة ولكن لم تسلك مسالكها، وأنت تعلم أن بالزواج يكون التحصُّن من هذه المنكرات القاتلات إن شاء الله.

أيها المذنب: إن الله ﷻ ما أنزل داءً إلا وله دواء، وأنت تعلم أن خير علاج بل أفضل علاج -بعد تقوى الله- لكبح هذه الغريزة الجنسية عن كل ما يُغضب الله الزواج، فلماذا لا تسارع إلى الحلال أم أنك وجدتَ أن طريق الشهوات أيسر بكثير من مؤن الزواج وتبعاته! لا أظن هذا وإن كان فأنت واهم حقيقةً، بل إن كنت تسبح في هذه الأوهام فأنت لا يُرجىٰ لك أن تخرج

من دياجير الظلام، ويُخشى عليك من سوء الخاتمة، لأن هذه الفئة التي خالطت هذه الخرافات لحمها ودمها يعترفون بغير ذلك، رجالا كانوا أم نساءً في غير ما اعتراف تداولته الألسن والجرائد الإصلاحية.

فأفق يا من يريد النجاة، أنقذ نفسك من غياهب الذلّ والأسر، هذا هو العلاج الذي أوصى به الله من فوق سبع سموات، وأوصى به رسول الله ﷺ الشباب.

- فضل الزواج:

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾[2].

ثغرة يعلم الله أنها مدفونة في نفس الإنسان، وهي التوَقان إلى النساء وتشوُّق النفس لكل جديد، فهناك من لا يكتفي بامرأة، وتشرئب نفسه إلى المزيد، فيُقال له: لا تخف فديننا دين العفة والفطرة، لقد أباح الله لك التعدد، لكي تحفظ نفسك وتحفظ نساء المسلمين من الضياع.

وقال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[3].

---

(١) النور (٣٢).

(٢) النساء (٣).

(٣) الروم (٢١).

فإلى كل مَن يبحث عن العشق، وعن سعادة الروح بين قصص الحب والغرام الآثم، إليك يا صاحب تيه الغرام والوَلَه، إليك هذا النداء الرقراق العذب الشفاف، نداء يحمل بين طياته الحب الحلال والمودة الخالصة، لا مودة الذئاب حتى تلتهم الفريسة ويُبحث عن غيرها، حيث تتشعَّب الأهواء وتتقلَّب الأفكار، وتجتمع الأحزان والهموم.

أما هنا، فهنا المودة والرحمة والسكن بكل مشتقاته، فهنيئًا لأهل السكن الحلال، وسُحقًا لأهل الأهواء والضلال.

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء»[1].

قال الحافظ ابن حجر:

"خصَّ الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ .. لأن الشباب مظنَّة ثوران الشهوة الداعية إلى الجِماع"[2].

إن الزواج يكمل لك الاستقامة، ويكف عنك هيجان هذه الغريزة الجنسية، ويضع أقدامك على جادَّة الأطهار والصالحين، ويحفظك -إن شاء الله- من مزالق الهوى، ويتمم لك الدين، ويساعدك على الفِرار إلى الله، ويفك رقبتك من قبضة الشيطان.

فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) البخاري: كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من استطاع الباءة فليتزوج"رقم (٥٠٦٥)، الفتح (٩/ ١٣٢).

(٢) فتح الباري: (٩/ ١٣٤، ١٣٥).

« إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي»[1].

فإن السعادة كلها في الزواج من المرأة الصالحة، التي تغض طرفَك وتحفظ فرجَك، وتُعينكَ على طاعة ربِّك.

إنه من السعادة واللهِ أن يوفقك الله إلى الزواج من الصالحة، التي يكون بها الشفاء -إن شاء الله- من هذه الهوة السحيقة المدمِّرة.

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: **«أربع من السعادة:.. المرأة الصالحة»**[2].

وهناك آيات وأحاديث كثيرة تحثُّ على النكاح وتبيِّن فضله، بل إن العلماء قالوا: إن الزواج واجب على من خشيَ العنَت، واجبٌ وجوبًا يأثم بتركه هذا لمن خشي على نفسه الوقوع في الزنا وغيره من الكبائر.

فما يُقال إذًا لمن وقع فعلا في الفاحشة تكرارًا ومرارا، نسأل الله أن يتغمدنا بواسع فضله، ويقينا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

- إعانة الله لمن يريد النكاح لإعفاف نفسه:

إن الله ﷻ يعلم يقينًا هذه المصائب التي يضعها عباده في وجوه طالبي العفاف والإحصان، علِمَ الله بخراب هذه القلوب الميتة التي تتربص بكل خاطب يريد الزواج والعفة، فتُثقل كاهله بما يروي جشعهم وحرصهم على حُطام زائل، فما يكون من الخاطب إلا أن ينزع فكرة الزواج من جذورها،

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٠)، والصحيحة رقم (٦٢٥).

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٨٧)، والصحيحة رقم (٢٨٢).

آيس من قسوة هذه الضمائر، ويصبح بدلا أن كان يطلب معاشرة ابنتهم في الحلال، يتربَّص بها الدوائر حتى تقع في شِباكه المسعورة رغبة منها إليه، وفرارًا من شبح والدها وعنوستها الآسنة.

عَلِمَ الله ذلك الواقع المرّ، فجعل عبء النكاح تفضُّلا منه على كل من يريده يوم أن تخلى الناس عن المروءة، وتمسَّكوا بسراب الطمع والشح والبخل.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»(١).

قال المباركفوري: "ثلاثة حق على الله عونهم: أي ثابت عنده إعانتهم، أو واجب عليه بمقتضى وعده معاونتهم، والناكح الذي يريد العفاف: أي العفة من الزنا، قال الطيبي: إنما آثر هذه الصيغة إيذانًا بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره، لولا أن الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف لأنه قمع الشهوة الجبلية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعف وتداركه عون الله ﷻ ترقى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليِّين"(٢) اهـ. والكل يشهد بذلك أن الله تُلتَمس إعانته لمن يريد التعفف التماسًا ظاهرًا.

---

(١) حسن: رواه الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والمكاتب والناكح وعون الله إياهم، رقم (١٧٠٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، تحفة الأحوذي (٥/ ٢٤٢)، وفي المسند رقم (٧٤١٠)، وقال احمد شاكر: إسناده صحيح، وحسّنه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (٣٠١٧)، وصحيح ابن ماجة رقم (٢٠٥٧)، وصحيح الجامع رقم (٣٠٥٠).

(٢) تحفة الأحوذي (٥/ ٢٤٢).

- رسالة للآباء:

يقول الأستاذ الدكتور عبدالله ناصح علوان:

"كثير من الناس اليوم انحرفوا عن الإسلام الصحيح، وأصبحوا ينظرون إلى تزويج بناتهم نظرة مادية بحتة، كما ينظر التاجر إلى سلعته التجارية التي يتوخّى منها الربح العظيم والمكاسب الكثيرة، دون التعرُّف إلى القيَم الأخلاقية والاعتبارات الدينية التي بها تيسير سُبُل الزواج وتأسيس دعائم الأسرة. إن هؤلاء الآباء والأولياء .. الذين يقفون مثل هذه المواقف المشينة في تعقيدات الزواج، ويغالون في المهور فوق حدّ المعقول والتصور .. قوم ظالمون ومستبدّون وأنانيون!

قومٌ لا يحسبون حسابًا لهذا الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه، ولا يقدِّرون النتائج الخُلقية والمفاسد الاجتماعية التي تنجم عن كساد سوق الزواج.. قومٌ حكمت عليهم نفوسهم الظالمة، واستبدادهم الغاشم بأن يُحولوا دون تقدُّم الأمة في أخلاقها!

قومٌ استهواهم بريق المادة الخدّاع، واستحكمت فيهم أعراف ما أنزل الله بها من سلطان، فلا يزوِّجون إلا من يدفع لهم مهرًا أكثر وثمنًا أغلى! قومٌ ابتعدوا عن روح الشريعة الغرّاء وعن جوهر الدين الحنيف .. حتى أضحوا لا يفقهون من الدين إلا اسمه ولا يعرفون من الإسلام إلا رسمه"(١).

فأين هؤلاء الآباء من تعاليم الإسلام السامية.. أين هم؟! لقد حفل تاريخ السلف الصالح ومَن بعدهم بصور قلَّما يأتي مثلها، فأين هؤلاء من سعيد بن

---

(١) عقبات الزواج (٤١، ٤٢).

المسيِّب وقصته في تزويج ابنته أشهر من أن تذكر، وأين هؤلاء ممن كانوا يتزوجون بالقرآن لشدَّة فاقتهم وعوزهم، فلم يمنعهم فقرهم من وجود من يزوجهم، كان منهم من يجد من يزوجه بأربع أواق فضَّة، وبدرع حديد لا يساوي شيئًا إلا القليل، فأين هذه الرجولة الأبية من رجولة اليوم المتطفلة على فتيات لا حول لهن ولا قوة إلا بالله ..!

لو علم هؤلاء حجم الخطر الذي يهدد بناتهم، لو علموا هذه الوساوس والأفكار التي تحيط بالشباب والفتيات، حتى تؤرق مضاجعهم، لو علم الآباء قدر هذه الأهواء التي تزلزل قلوب فتياتهم، والمخاوف التي تهدد أعراضهن، والله لسارعوا في تزويجهن بأقل القليل متى وجدوا الكفء لذلك.

ولَوَجدُوا السعادة يوم أن يلتزموا بشرع الله في تيسير الصداق لكل من يرغب في الزواج حسب استطاعته.

فعن سهل بن سعد ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: «... التمس ولو خاتمًا من حديد..»[1].

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«خير الصداق أيسرُه»"[2].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ مَن يُمن[3] المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها»

(١) البخاري: كتاب النكاح، باب السلطان وليّ .. رقم (٥١٣٥)، الفتح (٩/ ٢٣٨).

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٣٢٧٩) وإرواء الغليل رقم (١٩٢٤).

(٣) يُمن..: بركتها.

إلى غير ذلك من الأخبار كثير كثير، يحضّ على عدم المغالاة في المهور، ذلك لأن كساد البيوت من الزواج يعرض هذا النشء بما لا يخفى على الناس.

ومن ناحية أخرى يجب على كل أب ميسور الحال أن يساهم بشكل فعَّال في تزويج ابنه، وإلا مات غاشًا لرعيته، فأنت أيها الأب ما جمعتَ هذا المال إلا لولدكَ، وسواء أنفقته في زواج ولدك أو لم تنفقه فأنت رغمًا عنك ستخليه له وترحل رغمًا عنك إلى دار الجزاء، وإن كان الأب غير ميسور الحال فهنا يحمل هذا العبء المجتمع، وذلك عن طريق المؤسسات الخيرية التي تساهم في هذا العبء الخطير.

- **رسالة إلى الشباب.. كونوا واقعيين:**

أيها الشاب الذي ينشد العفة والهدوء والاستقرار، إني لأعجب من حالك! إذا ما بكيت من غلاء المهر وتباكيتَ من المطالب التي تنهك قواك عن المسير في الزواج، ثم تضاعف هذه العقبات بأن تلزم نفسك بأشياء فوق الطاقة بحجة مواكبة البيئة التي مستواها لا يسمح بهذا التواضع في الزواج، والذي يُعدُّ فيها تقشف وتبذُّل يُستحى منه.

وكم سمعنا واللهِ من شباب منحرف يسرح بخياله في عالم التقدم والرقيّ فلا يرضى لنفسه أن يسكن في شقة متواضعة على حسب استطاعته، بل تراه ينشد فيلاً أو قصرًا يسكن فيه، في لحظة أنه لا يملك قوت يومه، يحلم بالأرائك والأسرَّة ذات الديباج والحرير والفراش الوثير، ويعلنها صريحة أمام أهله أو من يتولى أمره أن مستواه لا يسمح إلا بذلك، يحلُم بأحدث الموضات في فرش المنزل ذات الطابع الغربي، أقول لهذا ولغيره من المخدوعين: انظروا لحالكم أولا، فستجدوا أن ديننا الحنيف يحرِّم هذا السرف والتبذير، وجعلهم -أي أصحاب السرف- إخوان الشياطين.

وثانيًا: ألم يرعَ انتباهك هذه الكبائر التي قرب بتلبسك بها حتفك، لماذا تُقدم على الزواج مع أنك عاشرت لذة الحرام إلاَّ لرغبتك في التوبة الصادقة، والرجوع إلى الله، فإن كانت هذه هي الحقيقة فلماذا تعسِّر طريق النجاة في وجهك مع أنك تريدها؟!.

وأخيرًا: الواقعية هي صفة كل عاقل ينظر إلى الحياة نظرة شاملة من جميع الجوانب، أما أنت بخيالك وأمانيك هذه مفقود الواقعية بل عديمها، تنشد قصرًا

وأهلك يعيشون في كوخ، تشمخ برأسك إلى الطوابق العالية وأنت سقف بيتك يصطك برأسك، تحلم بالديباج والحرير وأنت تلبس الخَلِق من الثياب والبالي.

وجدلاً لو سلَّمنا لك أنك تستطيع أن تصل إلى أحلامك، فذلك أيضًا مقيد بالضوابط الشرعية، وإذا ما أقلعت فعلا عن هذه الذنوب ثم ذهبت تنفق المال يمينًا وشمالا لكي تحقق العفَّة، ترى بأمّ عينيك شبابًا يسيرون كما كنت تسير ويشبعون رغباتهم كما كنتَ تُشبعها، وتراهم سُكارى في كل وادٍ سحيق، وبيدك بهذا المال الذي تبعثره فيما لا يُسمن ولا يُغني أن تنتشلهم من هذا المستنقع الآثم ثم لا تفعل فتوبتك غير كاملة، لتبلُّد حسِّك تجاه ما كنت تئن منه وتتألم، وكأن أمر هذا الشاب المسلم الضائع لا يعنيك!

الفصل الرابع

الصَوم

تمهيد

ولستُ أعني بالصوم الامتناع عن الطعام والشراب فقط، لأن صاحب هذا الصوم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش. إنما أعني الصيام الذي أمر الله ﷻ به، وهو الامتثال والتعبُّد لله بترك الطعام والشراب، وكل ما حرَّم الله من نظرة خائنة أو همز أو غمز أو لمز، وترك جميع المنكرات التي نُهيَ عنها سواء ما يتعلق بالمُفطرات أولا أو ما يتعلق بالمعاصي فهذا الصوم هو العلاج الذي أرشد الله ﷻ إليه وأخبر أنه يُثمر التقوى التي تقي العبد من الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وهذا الصوم الشرعي -بلا شك- يقيِّد الشيطان تقييدًا ويردُّ كيده في نحره، ويجعله يتميَّز من الغيظ، وتسدّ عليه الثغرات التي فتحها نارًا تتأجج على العُصاة حتى أوبقهم كل موبق.

إن الصيام علاج لدحر هذه الفوضى الجنسية المشتعلة، وإن كثيرًا من أصحاب هذه الشهوات جربوا الصيام مرة تلو مرة، وجاهدوا النفس وهواها حتى قادوها إلى الصيام الشرعي الصحيح، فكان العلاج بفضل الله أولا وآخرًا، ومنهم من استمرأ الصيام حتى أصلح حاله ظاهرًا وباطنًا، ذلك لأن الصائم يجد أن صومه يمنعه من الاقتراب من الفاحشة ودواعيها، فلا يرى صورة تُستثار لها الغرائز، بل يغض طرفه، ولا يتعرض لدواعي هذه الغريزة، بل يسدّ عليها الذرائع جميعًا، وإن حام حول قلبه هاجس التفكير في المحذور

شرعًا كابده وقاومه بكل ما يستطيع بالأذكار تارة وبالاستغفار تارة أخرى، وبالصلاة أيضًا، ويظل يستعيذ بالله من الشيطان وهمزه ونفخه ونفثه حتى يصرف الله ﷻ هذه الهواجس المزعجة، ويخسأ الشيطان الرجيم ذليلا كالذباب.

فالصوم أيها الباكي على ذنوبه جُنَّة لك مما ألم بك من التهتُّك والضياع، الصوم -إن شاء الله- كفيل لاجتثاث كل غائلة نشبت في قلبك وإيمانك، ويُثمر مكانها التقوى القاصمة لظهر المعاصي والكبائر.

- **فضل الصوم:**

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

فالتقوى هي الثمرة القوية للصيام، وهي المانعة والحامية للإنسان من كل آفة شهوانية فتَّاكة أو غيرها.

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال:

« قال رسول الله ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصبر فإنه له وِجاء»[٣].

---

(١) البقرة (١٨٣).

(٢) البقرة (١٨٤).

(٣) سبق تخريجه

قال الحافظ بن حجر:

"عَدَل عن قوله فعليه بالجوع وقلّة ما يثير الشهوة ويستدعي طُغيان الماء من الطعام والشراب إلى ذكر الصوم إذ ما جاء لتحصيل عبادة هي برأسها مطلوبة، وفيه إشارة إلى أن المطلوب من الصوم في الأصل كسر الشهوة"[1].

فالمقصود من الصيام كما يقول ابن القيم في زاد المعاد: حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوّتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويسكّن كل عضو منها وكل قوة عن جِماحه، وتُلجم بلجامه، فهو لجام المتقين وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، فهو ترك محبوبات النفس وتلذّذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته"[2]. فتسلّح أيها المذنب بهذا السلاح المتين، وحارب به ذلك الضياع المبين، وجالد به عدو الله الرجيم، فهو خير علاج لكسر كل شهوة استفحلت وتمردت، ولكن بشرط أن يكون صيامًا شرعيًا يتوجه الإخلاص لله رب العالمين.

- ولإتمام الصيام وتأثيره

سبق معنا أن الصيام الشرعي هو المطلوب لدرء هذه الشهوة، وكما هو معلوم أنه كلما تمت صحة الصوم قوي تأثيره في العلاج، وكلّما ضعف الصوم وذلك بالتقصير في لوازمه ضعف معه العلاج.

---

(١) فتح الباري (٩/ ١٣٦).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٢٨، ٢٩).

فما هي العوامل واللوازم التي ينبغي للذي يعالج نفسه بالصيام ويتقرَّب إلى الله به أن يلتزم بها لإتمام صيامه على النحو الذي يكون به التأثير وقمع هذه الغريزة الجنسية عن طغيانها، وكفّ الجوارح عن الآثام وعن كل ما يُغضب الله، والبُعد عمّا يعيد لهذه الشهوة فورانها وثورانها؟!

ومن هذه الأمور التي بها يقوَّم الصيام، ويحصل به العلاج -إن شاء الله- ستة أمور ذكَرها الغزالي في إحيائه:

"الأول: غض البصر وكفُّه عن الاتساع في النظر إلى ما يذمّ ويُكره، وإلى ما يشغل القلب ويُلهي عن ذكر الله عز وجل.

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان والكذب، والغيبة والنميمة، والفُحش والجفاء والخصومة والمِراء، وشُغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن.

وقد قال سفيان: الغيبة تفسد الصوم.

الثالث: كفّ السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، لأن كل ما حُرِّم قوله حُرِّم الإصغاء إليه.

الرابع: كفّ الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام.

الخامس: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، فما من وعاء أبغض على الله ﷻ من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدوّ الله، وكسر الشهوة، إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره، وربما يزيد عليه في أوان الطعام.

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلَّقًا مضطربًا بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدري أيقبل صومه أو يردّ عليه"(١).

- شبهة وردها:

هناك بعض الأشخاص الذين ابتلوا بالكبائر الجنسية أو بعضها يقولون لقد جربنا الصيام ولكن دون جدوى، ففي النهار نمتنع عن هذه المعاصي ثم نعاقرها في الليل، وهكذا، فكيف العلاج؟!

أقول: اعلم أيها المريض أنه سبق معنا أنه لا بد من التوبة الصادقة، ومن الدعاء كذلك.

فهل كنت في صيامك مستغفرًا نادمًا تائبًا عازمًا على ترك هذه المعصية التي تلبست بها؟! هل ما زلت على هذه الحال المنكسرة، دامعَ العين، وجِلَ القلب، مُشفقًا على نفسك من عذاب الله، خائفًا ألا يُتقبَّل عملك من توبة وصيام وأنت في صيامك؟!

ثم هل ما زلت لهجًا بالدعاء الصادق وأنت في حال صيامك أن يقيك الله المنكرات ما ظهر منها وما بطن، وأن يعينك على التخلص من هذه الكبيرة التي تعلقتَ بها، وأن يكرِّهها إلى قلبك وأنت في صيامك وإفطاركَ؟!

ثم هل التزمت بهذه الشروط الستة التي ذكرها الغزالي في صيامك، فلم تترك منها شيئًا إلا وطبقته كما أمر الله؟!

ثم هل كان هذا الصيام خالصًا لوجه الله تعالى أولا، ثم تنوي أنك بصيامك هذا تتعبد إلى الله به، ثم تنوي بذلك أنه سيكون سببًا في التخلص من

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٣٦٥- ٣٦٧) بتصرُّف شديد.

هذه الفاحشة التي بتركها يزداد تعبدك لله وخوفك منه، لا خوفًا من هذه الأضرار التي سبقَت معنا بدنيًا أو دنيويًا، فيكون الصيام أولا وآخرًا تعبدًا لله لا خوفًا من هذه النكايا التي تسوِّد عِرضك أو تمنع رزقك أو تجرّ عليك الأمراض، فتكون بذلك في خوفٍ من الأعراض والأمراض لا من الله، فهل حقَّقتَ هذا الأصل وهو أن يكون الصيام خالصًا لوجه الله أولا وآخرًا أم لا؟!

إن كانت هذه الأسئلة قد التزمتَ بمقتضياتها، فيصعب، بل من المستحيل - إن شاء الله- أن تعود إلى هذه الفاحشة، وإن عُدت إليها فاعلم أنك مقصرٌ في هذه الضوابط ولا بد، ولكن مع ذلك إن عدتَ إلى هذه الفاحشة مرة أخرى فعُد إلى التوبة والصيام والدعاء، فإن الله تعالى لا يملّ حتى تمل، هداني الله وإيَّاك إلى الصراط المستقيم.

الفصل الخامس

غضّ البصر

تمهيد

وهذا أصلٌ عظيم، ومرفد قويم لكل من رام السلامة من هذا الداء الوبيل، لا بد له أن يأخذ بمجامع طرفه عن كل صورة محرَّمة قبل ن يؤخذ بمجامع قلبه، فلا الصورة ينالها، ولا يسلم من صدى خيالها.

وإني لأعجب ممن أصيب في مقتله وأصبح من الهلاك قاب قوسين أو أدنى، ثم هو في يده سمٌّ يتحسَّاه ليكون أسرع في قضائه، ومع ذلك يرجو النجاة مما فَعلت يداه حتى آخر نفَس في الحياة.

إن أراد هذا أن ينضم إلى قافلة الأصحاء، ويلحق بركب الأقوياء لا بد أن يتعاطى أسباب الشفاء، فينزع عمَّا أورده الهلاك، ويحجُم عن هذه الآفات التي ضمَّته إلى من قبروا في سرائرهم وأرائكهم، أما من يظل ملتهمًا لما فيه حتفه ثم يرنو النجاة فهذا ليس من طوائف العُقلاء، بل مكانه المصحَّات النفسية وسط المجانين، تهاب الناس خبله وجنونه، ويجتنبوه في جميع مظاهر الحياة، ويظل رهين الأسوار مع شاكلته، فإما أن يشفى من جنونه ويلتحق بعقلاء الناس، وإما أن يدركه الموت وهو على حاله.

ومع الفارق في التشبيه فإن صاحبنا هذا أعظم من هذا الوصف، فهو يعلم أنه بالتهامه مئات الصور سيتفتَّت قلبه بعدد هذه المناظر، ثم هو في كل لحظة يحمِّل نفسه فوق طاقتها بسيره وراءها لإشباع ميولها، ويعلم أن هذا هو الهلاك

الذي ما منه ملاذ ولا مهرَب، إلا أن يلطف الله به وينقذه من هذا الدمار العاجل والآجل.

لا يا أخي، أين الصرامة والإرادة والعزيمة والرجولة، أي التوبة والأوبة والدعاء الذي يبرق نوره في السَّحَر إلى رب العالمين، فيمطر عليك بركات الحفظ والرعاية من كل ما يودِي بإيمانك؟!

إني لأجزم أنه بمجرد قلقك من هذه الصور، وتفكيرك في إيجاد حل لهذه الزوبعة التي صدتك عن الطهر والعفة، أن العلاج آتٍ إن شاء الله، ما دام أن هناك هذه النزعة، ولكن .. القلق وحده لا يكفي! فلا بد من خطوات صارمة نحو العلاج الحقيقي الذي تنشده، وهذا الجد والصدق هو المطلوب للإقلاع عن هذه النظرات الزائغة المتلذذة بما حرَّم الله، ولا تيأسن من بصرك إذا ما سطا مرة على القاذورات، فجلب إلى قلبك جراثيم الذباب المتوحشة، فهدَّه وأبكاه .. لا تيأسنَّ.

ولا بد من الجهاد، ولا بد من الصبر، وأن يكون سلاحك على هذا المرض، وعدتك لجهاد هذا الانفلات، هو اللجوء إلى الله في كل لحظة وطرفة عين، حتى يبارك الله في جهادك الباسل، وإخلاصك وصدقك في الاستعانة والاستغاثة به سبحانه، حتى يتم الشفاء والعلاج التام من كل هذه القلاقل القلبية، ببُعدك عن كل ما يُعيد إليك هذا النظر المحرَّم الداعر، الذي قلَّما تخطئ شِباكه ومصائده، وقاني الله وإياك كل نظرة جائرة خائنة، آمين.

- الأمر بغض البصر:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين، أن يغضُّوا من أبصارهم عمَّا حُرِّم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرَّم من غير قصد فليصرف بصره سريعا"(٢).

لأن البصر كما يقول القرطبي: "هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذكر ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضُّه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما تخشى الفتنة من أجله"(٣).

﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ يقول ابن كثير: "أي لقلوبهم وأتقى لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته، ويُروى في قلبه"(٤).

وكما جاء القرآن آمرًا بغض البصر عن المحارم، كذلك جاءت السنة المطهرة بذلك تحث على غض البصر وحفظ الفرج.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) النور(٣٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٧٢، ٢٧٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٢٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٧٣).

«إن الله عز وجل- كتب على ابن آدم حظه من الزّنا أدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه»[1].

قال الحافظ ابن حجر: "قال ابن بطال: سمّى النظر والنطق زنا لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي"[2].

وقال ابن القيم -رحمه الله- في [روضة المحبين]:

"فبدأ بزنى العين لأنه أصل زنى اليد والرِّجل والقلب والفرج، ونبَّه بزنى اللسان بالكلام، وعن زنى الفم بالقُبل، وجعل زنى الفرْجَ مصدِّقًا لذلك إن حقق الفعل أو مكذبًا إن لم يحققه، وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصي بالنظر وأن ذلك زناها، ففيه ردٌّ على من أباح النظر مُطلقًا"[3].

ويقول سيد قطب رحمه الله:

"وغضّ البصر من جانب الرجال أدب نفسي، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الإطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام، كما أن فيه إغلاقًا للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية، ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم!

(١) البخاري: كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، رقم (٦٢٤٣)، الفتح (١١/ ٣٠).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣١).

(٣) روضة المحبين (٨٤).

وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر، أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة، ويقظة الرقابة، والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولى"[1].

- غض البصر عن المشاهد الهابطة والخليعة المحركة للغرائز:

وهذا يندرج تحت ما سبق من الأمر بغضّ البصر عن كل ما حرَّم الله تعالى من النظر إليه، مما يثير الغرائز الشهوانية الراكدة، فتصبح بعد أن كانت آمنة متشوِّقة إلى الحلال، غير مستقرة وحائرة مما طلّ عليها من نوافذ العُهر والمجون المستورد من بلاد الحقد الأسود على الإسلام وأهله، ممن يرفعون راية التوحيد ويلتفون حولها.

فجاء الإسلام بتعاليمه السامية النبيلة، ليذود بأهله عن هذه الأحقاد السوداء السابحة على الدوام، ممطرة على أبناء المسلمين في جميع البوادي والحضر الرذائل المجردة في صراحة صارخة عارمة، وليحفظ أبناءه من هذه الفوضى المدبَّرة من قبل بروتوكولات أصابت أهدافها في قلب الأمة الإسلامية.

فيجب عليك أخي أن تتحرز عن هذه المهالك، وأن تنزه بصرك عن هذه الفتن المائجة كقطع الليل المظلم.

إن حفظ البصر ليس مقصورًا على عدم التطلع إلى النساء في الشوارع والأسواق فحسب، بل يمتد ليشمل الغضّ عن كل محرَّم من صور عارية متحركة وغير متحركة، ومرئية في وسائل المرئيات من تلفزيون وفيديو وسينما ومسرح، ومرئية في غير وسائل البث من شوارع وأزقة وأماكن الازدحام ..

---

(٣) في ظلال القرآن (٤/ ٢٥١٢).

وكذلك من وسائل حفظ البصر البعد عن كل ما يكون ذريعة لاجتذاب البصر إلى ما يُغضب رب السموات والأرض من اقتناء أي جهاز يحتوي على هذه المثيرات، منها التلفزيون الذي حوى بداخله الغثّ وهو أكثر، والسمين وهو أقل القليل، وما جهاز الدّش عنا ببعيد!

فما هو القول في جهاز اكتظ في الإرسال عليه عشرات المحطات الغربية، جهاز مليء بعشرات القنوات الساقطة، كل واحدة منها أشرُّ من الأخرى وإن هذا الجهاز [الدّش] صدرَت فيه فتاوى كثيرة، وأشهرها فتوى العلامة ابن عثيمين، وهي أشهر وأظهر من أن تذكر، حرَّم فيها(1) -حفظه الله- هذا الجهاز اللعين.

- **من فوائد غضّ البصر:**

ومن المسلَّم به أن غضّ البصر من أسرع العلاج لتقويم هذه الشهوة، ذلك لأن في غضّ الطرف عن الحرام فوائد جمة وغالية الثمن، من حُرِمَها حُرِمَ جميع الخير، وإننا عندما نحثّ على غضّه من كل ما يفترس هذه الشهوة ويسخِّرها في مبارزة الله، ليس معنى ذلك أن غض البصر ليس له ثمرة إلا حفظ الفرج، مع أنه لو كان هذا فقط لكفى له مكرمة في احتواء الفرج عن كل ما يُغضب الله، وليجعل صاحبه من المقربين.

ولكن مع هذا الفضل العظيم الذي يكون بغضّ البصر، هناك فوائد أخرى لا تقل عمّا سبق ذكرها الإمام بن القيم- رحمه الله- في روضته فقال:

---

(1) وهناك قاعدة شرعية يحسن ذكرها هنا وهي: أن كل ما حرَّمه الله حرَّم النظر إليه كالنساء والخمر والتماثيل والميتة ..

"إحداها: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق بصره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه، ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وحسرته.

الفائدة الثانية: أن غض البصر يورث نورًا وإشراقًا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه.

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة، فإنها من النور وثمراته، وذلك في قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾(1) عقب قوله:
﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾(2).

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرَت فيه حقائق المعلومات وانكشفَت له بسرعة، ومن أرسل بصره تكدَّر عليه قلبه، وانسدَّ عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة، ولهذا يوجد في المتَّبع لهواه من ذلّ القلب وضعفه، ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه.

(1) النور (35).

(2) النور (30).

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورًا وفرحة، وانشراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظرة، وذلك بقهره عدوَّه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه.

الفائدة السابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، فهو كما قيل: طليق برأي العين وهو أسير، ومتى أسَرَت الشهوة والهوى القلب تمكَّن منه عدوه وسامه سوء العذاب.

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابًا من أبواب جهنم، فإن النظرة باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هُتِكَ الحجاب دفع إلى الوقوع في المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها.

الفائدة التاسعة: أنه يقوى عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلاَّ من خفَّة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب، ومُرسِل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره.

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سُكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة"[1].

فاعلم أخي أن "بصرك نعمة من الله عليك، فلا تعصه بنعمِهِ، وعامله بغضِّهِ عن الحرام تربح، واحذر أن تكون العاقبة سلب تلك النعمة، وكل زمان الجهاد في الغضِّ لحظة، فإن فعلت نلتَ الخير الجزيل، وسلمتَ من الشرِّ الطويل".

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٨٨- ٩٤) بتصرُّف.

ليس الشجـاع الذي يحمي مطيَّتـه يوم الـنزال ونار الحرب تشتعلُ

لكن فتىً غضّ طرفًا أو ثنى بصَرًا عن الحرام فذاك الفارس البطلُ[1]

---

(١) ذم الهوى (١١٩).

الفصل السادس

عدم سماع الغِناء

تمهيد

إن سماع الغناء المثير لكوامن الغريزة حرام، وكذلك الغناء المصحوب بآلات الموسيقى حرام. فلا تغترّ أيها الجريح بمن أفتوا بإباحته، واحذر أن تكون ممن يلتمس رُخص المذاهب، فمقامك هذا لا يحتمل الرَّوغَان، لأنك جريح مريض بحاجة إلى الشفاء العاجل، فالعمر قصير والموت قريب!

فكم من شاب والله سحره الغناء، فاجتث إيمانه من قلبه، وألقاه في سراديب الفجور! فلو نظرت إليه وهو هائم في الشوارع، يبحث في مواخير الاستريو عن أحدث أغنية وصلت، ثم يتلقف هذا الشريط بأي مبلغ كان غير نادم يوم أن شلُت يمينه فلا يتصدق بعُشر معشار ثمن الشريط؟!

يأخذ هذه الأغنية ويعيش على آهاتها في السيارة غير عابئ بالناس، وفي كبد الليل، بدل أن يصفّ قدميه لله تعالى ويستغفر، يُشعل السيجارة ويحيا حياة الوله والوجد الشيطاني، على أنغام الموسيقى، تحت الضوء الخافت الأحمر والأزرق، يحلّق ببصره في دخان سيجارته، وفي سقف غرفته، ويسبح مع صدى أوتار الليل إلى فارسة الأحلام، إلى عالم الحب والهُيام، وأما وقت سماعه فتجده في حال كأنما على رأسه الطير، يتنهد كالنساء، يرتفع صدره وينخفض كلما لذعته حرارة الأغنية، قد ودَّع عالم الرجولة، وأصبح كالشاة العائرة بين جبلين، فلا إلى الرجال ينتمي ولا إلى النساء كذلك، فكان هذا من الجنس الثالث وهم

المخنثون، لو نظرت إلى حال هذا الشاب لأبكاك أن يكون هذا من المعدودين على الإسلام.

أفترضى بعد ذلك -أخي- أن تكون من هذا الفريق المخنَّث على افتراض حسن الظنّ، فالفرار الفرار من الغناء الساقط وأهله، والحذر الحذر من هذا التشبيب الناقض لعُرى الإيمان، فأي خير يُرجى ممن لا يجتمع مع القرآن في مكان فهذا هو العلاج الرباني، وهذا هو الطب الروحاني، فبادر.. فالعلاج بين يديك.

- الإعلام بأن العزف والغناء حرام:

لعلك -أخي- تجادل بأن الغناء ليس حرامًا، لذلك فأنت تتسلى به للتخفيف عن أحزانك وآلامك، ما دام أن هناك قومًا أباحوه وأجازوه ..

سبق أن قلت لك أن من تتبع رُخص الفقهاء اجتمع فيه الشر كله، وهذا في غير أصحاب هذه الكبيرة، يعني فيه من الخير ما يكمم الأفواه عن اتهامه في عِرضه، ومع ذلك لو تتبع هذه الرُّخص اجتمع فيه الشر كله، فما هو القول فيك وفي أمثالك ممن يسعون في فكاك رقابهم من قيود الذل والأسر البهيمي، ثم هم يثرثرون بأن الغناء يريحهم من الغمّ والاكتئاب! لا يا أخي، إن كان هذا هو حالك فأبشر بما يسوؤك دنيا وآخرة، ولكي يطمئن قلبك وتعلم خطورة هذا الغناء وحجم إفساده لإيمان العبد، فإليك هذا التقرير الذي لا يحتاج لمزيد بيانك:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾(١).

(١) الإسراء (٦٤).

قال القرطبي: "عن ابن عباس: قال مجاهد: الغناء والمزامير واللهو، وقال الضحاك: صوت المزمار"[1].

يقول العلامة أبو بكر الجزائري:

"وإذًا فَلْيَكفِ الغناء والمزمار قُبحًا وتحريمًا أن يكونا عدة الشيطان وعتادًا له، يُغري بهما عباد الله على الفسق والعصيان.."[2].

وقال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

قال ابن كثير:

"عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبدالله بن مسعود وهو يُسأل عن هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود:

الغناء واللهِ الذي لا إله إلا هو، ويرددها ثلاث مرات"[4].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ *وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٩٣).

(٢) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (٢٥).

(٣) لقمان (٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢٦).

(٥) النجم (٥٩- ٦١).

قال القرطبي رحمه الله:

قال عكرمة: "هو الغناء بلغة حمَير، يقال: سمِّد لنا أي غنِّ لنا، فكانوا إذا سمعوا القرآن يُتلى تغنُّوا ولعبوا حتى لا يسمعوا"[(١)].

قال العلامة الجزائري حفظه الله: "هذه ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، قال فيها أئمة التفسير: إنها دالة على تحريم الغناء، ومن بين هؤلاء الأئمة - رحمهم الله تعالى أجمعين- الإمام المفسر الكبير القرطبي"[(٢)].

أما السنة المطهرة ففيها كذلك أحاديث كثيرة وصريحة في تحريم الغناء، وإليك بعض هذه النصوص:

عن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«ليكوننَّ في أمتي أقوامٌ يستحلون الحِرَ[(٣)] والحرير والخمر والمعازف»[(٤)].

يقول الجزائري حفظه الله تعالى:

"ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء دلالة قطعية، ولو لم يرد في المعازف حديث ولا آية سوى هذا الحديث لكان كافيًا في التحريم وخاصة في نوع الغناء الذي يعرفه الناس اليوم"[(٥)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٢٠).

(٢) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (٢٨، ٣٨).

(٣) الحر: الفرج، والمعنى أنهم يستحلون الزّنا.

(٤) البخاري: كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، رقم (٥٥٩٠)، الفتح (١٠/ ٦٣) وصححه الألباني وناقش من ضعّفه في تحريم آلات الطرب (٣٨- ٥١).

(٥) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (٢٨، ٣٨).

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:
«إن الله تعالى حرَّم على أمتي الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مُسكِر حرام»[(١)].

يقول الجزائري حفظه الله: "فالكوبة: الطبل الصغير، وعلى كل آلة من آلات الطرب ولا شك، وأما الغبيراء فقد اختُلِف في معناها فقيل: هي آلة من آلات الطرب، وقيل: هي شراب يتخذه الحبشة من الذرة، وكونها آلة من آلات الطرب كالعود والطنبور أقرب.

ووجه دلالة الحديث على تحريم الغناء هي:
١) أن الغناء لهو وحرام، ولو لم يكن حرامًا كيف تُحرَّم آلته؟!
٢) الأغاني المعروفة اليوم والتي تذيعها محطَّات الإذاعة لا تخلو قط من آلة طرب كمزمار أو قانون ونحوهما، فيحرم الغناء لذاته، ولأنه بألفاظ الفُحش والباطل والسوء.

ويحرم لأنه بأصوات المومِسَات والعاهرات، التي يحرم على الرجال سماع أصواتهن، أو بأصوات المخنثين الذين مهروا في النغم المثير للشهوات المحرِّك للغرائز، فيحرم على المرأة سماعه لذلك، وهو مع هذا مصاحب للعزف على آلات اللهو المحرَّمة بنص حديث البخاري السابق ذكره"[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه الإمام احمد في المسند رقم (٦٥٩١)، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، وذكر الألباني حديثاً يحمل معناه في الصحيحة رقم (١٧٠٨).
(٢) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (٣٩- ٤٠).

وقال محدِّث العصر وحافظ الوقت العلامة الألباني رحمه الله:

"اعلم أخي المسلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدًا، فقد جاوز عددها العشرة عند ابن حزم وابن القيم، فهي من الكثرة أن مجموعها يدل الواقف عليها أن مضمونها الذي اتفقت عليه متونها وهو التحريم ثابت عنه يقينًا"[1].

- **أسماء الغِناء:**

يقول الإمام ابن القيم في كتابه النفيس "إغاثة اللهفان":

"هذا السماع الشيطاني المضادّ للسماع الرحماني، له في الشرع بضعة عشر اسمًا:

فالاسم الأول: اللهو، ولهو الحديث، قال تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾[2] الآية قد سبقت معنا.

الاسم الثاني والثالث: الزور، واللغو، قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[3].

وهذه الآية -وإن كان سبب نزولها خاصًا- فمعناها العام، متناول لكل من سمع لغوًا فأعرض عنه، وتأمل كيف قال سبحانه:

(١) تحريم آلات الطرب (٣٦).

(٢) لقمان (٦).

(٣) الفرقان (٧٢).

﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ ولم يقل: بالزُّور، لأن [يشهدون] بمعنى: يحضرون، فمدحهم على ترك حضور مجالس الزور فكيف بالتكلم به وفعله؟ والغناء من أعظم الزور.

الاسم الرابع: الباطل، فالباطل إما معدوم لا وجود له، وإما موجود لا نفع حقيقيا له، فالكُفر والفسوق والعصيان والسِّحر والغناء واستماع الملاهي: كله من النوع الثاني.

وأما اسم: المُكاء والتصدية، فقال تعالى في الكفار:

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾(1)، والله سبحانه لم يشرع التصفيق للرجال وقت الحاجة إليه في الصلاة إذا نابهم أمر، بل أمروا بالعدول عنه إلى التسبيح، لئلا يتشبَّهوا بالنساء، فكيف إذا فعلوا لا لحاجة، وقرنوا به أنواعًا من المعاصي قولا وفعلا؟!.

وأما تسميته [رُقية الزِّنا]: فهو اسم موافق لُمسماه، ولفظ مُطابق لمعناه وهذه التسمية معروفة عن الفضيل ابن عياض قال: (الغناء رُقية الزِّنا)(2).

ومن الأمر المعلوم عن القوم: أن المرأة إذا استصعبت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذٍ تعطي اللّيان، وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جدًا.

---

(1) الأنفال (35).

(2) قال شيخنا الدكتور احمد علاء: وارى أن التعبير برقية الزنا تركه أولى، لأن الرُّقية شفاء، فإذا قلت رُقية صداع أي الشافية منه، والغناء يوقع في الزنا ولا يشفي منه.

وأما تسميته: [منبت النِّفاق]: ذلك لأنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا، لما بينهما من التضادّ، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغيّ، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله، فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق.

وأما تسميته: [قرآن الشيطان]، فمأثور عن التابعين، قال قتادة:

"لما أُهبِط إبليس قال: يا ربِّ لعنتني فما عملي؟، قال: السِّحر، قال: فما قرآني: قال: الشعر، قال: فما صوتي؟ قال: المزامير.."

وشواهد هذا الأثر كثيرة، فكل جملة منه لها شواهد من السنة أو من القرآن.

وأما تسميته بـ:[الصوت الأحمق، والصوت الفاجر]، فهي تسمية الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

وأما تسميته: [صوت الشيطان]، لأنه من المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية، ولهذا فُسِّر صوت الشيطان به.

وأما تسميته: [مزمور الشيطان]، فهي تسمية أبي بكر الصديق ﷺ وأقرَّها رسول الله ﷺ.

وأما تسميته بـ: [السُّمُود]، قد سبق ذلك معنا.

فهذه أربعة عشر اسمًا، سوى اسم الغناء"[(١)].

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٦٧- ٢٨٩) بتصرف شديد.

فهذه الأسماء البغيضة وحدها حريَّة أن تصد قلب كل امرئ يؤمن بالله عنه، ويفرّ منه، ويجزع من صوته، كيف لا وهو يحمل في طيَّاته كل هذا الفسق والدعوة إلى الشهوات المحرَّمة بكل جرأة وسفور.

- الإنشاد بين التحريم والإباحية:

ربما يستهويك الشيطان، بعدما رأى باب الغناء المثير للغرائز قد غُلِّق في وجهه، إلى مجال الإنشاد الإسلامي الذي يخرج عن ضوابطه إلى لحون أهل الفسق والفجور لصدِّك عن الحق، وذلك بالتدرج معك في المغالاة بالأناشيد الدينية، حتى يصبح الحال كما هو الآن، من أن هناك أشرطة تسمَّى بالأناشيد الحماسية للجهاد أو غيره، فإذا سمعتها حسبتها أغنية لأحد المغنين، وذلك لأن إيقاعات الصوت ورنة الدف لا فرق في ذلك بينها وبين الأغاني الأخرى، اللهم إلا الموسيقي فقط.

وقد جلَّى لنا الدكتور عمر سليمان الأشقر هذه القضية فقال:

"تواترت الأخبار عن أصحاب المصطفى المختار ﷺ، أنهم كانوا يُنشدون الأشعار في حضرته في الحضَر وفي الأسفار تنشيطًا لكلال النفوس، وتنبيهًا للرواحل أن تنهض في أثقالها، وكانوا مما يقولونه وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

فيجيبهم الرسول ﷺ بقوله: **«اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»**[1]، وجد أقوام فمنعوا مثل هذا الإنشاد ومثل هذا الحداء، الذي يروح عن النفوس ويجمُّها.

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال، رقم (٢٨٣٤)، الفتح (٦/ ٥٧).

وجاوز أقوام الطريق الصحيح فأصبح الإنشاد والغناء شغلهم الشاغل، وأحدثوا له أنغامًا، ورقَّقُوا أصواتهم حتى أصبح فنًا، لا أقول هذا عن الفسَّاق من المغنين والمغنيات، وإنما مُرادي أولئك الذين اتخذوا هذا دينًا وقربة إلى الله تعالى، وشغلوا بذلك أوقاتهم، وهجروا قرآن ربهم.

والفريق الوسط يتمثل في أولئك الذين يروِّحون عن النفوس بمثل حداء العرب في بعض أوقات الفراغ، وفي الأسفار، وحين القيام بشيء من الأعمال، يجدون وينشدون على السجية، وتكون أبيات النشيد تحبيبًا في الزهد، وترك الغرور والباطل، أو حثًا على طلب العلم والرغبة فيما عند الله"[١].

(١) جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة (٥٧، ٥٨).

الفصل السابع

عدم التفكير المهيِّج للشهوة

تمهيد

وهذا العلاج من أهم العلاجات التي لا يتسنى للمسلم المبتلى بهذا البلاء الجنسي أن يتخلى عنه، وهو عند الشباب أشد منه عند الشيوخ.

بل قد لا أبالغ إذا ما قلت أن هذا التفكير الملتوي الأخَّاذ تسبب في إقبال كثير من الشباب على مقارفة الفواحش الغليظة، كيف لا، وذلك لأنك تجد هذا الشاب الغرّ قد طار عقله هنا وهناك في عالم الفتيات والنساء، وفي كل لحظة من اللحظات تجده غارقًا بل ومتفانٍ في عالم اللذة البهيمية بأوضاعها وأشكالها، حتى يصبح ذلك الحال سجيةً عنده. قد أدمنها ولا يستطيع التخلص منها إلا بالتنفيس عن نفسه في أي موطن كان، إمَّا "بجلد عميرة" أي الاستمناء حتى تُنهك قواه، وإمَّا في حانة من حانات الجرائم المغلَّظة. ويا ليته ينتهي بعد ذلك عن ارتكاب مثل هذه الفواحش المنحطة! بل يتعداها إلى مراحل الإدمان، حتى يستحكم الهلاك..

إذًا، فالعلاج الأمثل هو الامتناع عن خطوات الشيطان الأولى المبتدئة بالتفكير الشهواني من جميع الجوانب، وهذه هي السلامة من العطب المزري بالسعادة في الدنيا والآخرة.

ولكن اعلم أيها المسلم أن ذلك لا بد له من الجهاد والورَع، وذلك أن كل امرئ أعرف بنفسه، فاحذر أخي أن تتمادى في السير وراء كل نزعة هوائية تحسُّها في نفسك، بل لا بد من الحزم الشديد عند ذلك، وأن تستعين بالله في

ولكن اعلم أيها المسلم أن ذلك لا بد له من الجهاد والورَع، وذلك أن كل امرئ أعرف بنفسه، فاحذر أخي أن تتمادى في السير وراء كل نزعة هوائية تحسُّها في نفسك، بل لا بد من الحزم الشديد عند ذلك، وأن تستعين بالله في ترويض نفسك بصرفها إلى التفكُر فيما يسكِّن ثورتها، ويقوِّم اعوجاجها، ويقودها إلى التفكُر في كل ما يجلب لها السعادة بالفوز بالجنة والنجاة من النار.

- الإثم ما حاكَ في صدرِك:

إن العبد الذي يريد أن يستأصل شأفة هذا المرض من قلبه لا بد له أولا أن يعرف حقيقة ما يجول بخاطره، لأن البعض يشغل قلبه بأشياء، ثم يعلِّل ذلك بعلل واهية، كإقباله على قراءة جرائد ومجلات هابطة، وكُتب جنسية هدفها الرَّواج، وغير ذلك من الأشياء الخاصة بهذه الحياة الجنسية ثم يعلل ذلك بأنه ما أقبل على مثل هذه الأفعال إلا لتزداد خبرته في مجال الحياة الخاصة والسرية من الحياة الزوجية، إلى غير ذلك من علل واهية.

أقول: لا بد وأن تعرف الحقائق مجرَّدة عن أهوائك وحظوظ نفسك حتى لا تنخدع فتقع في مستنقع الخواطر المهيجة للغريزة الجنسية، والعُذر في ذلك هو"زيادة الخبرة"والحقيقة أنها زيادة الفجور والاستهتار ليس إلا، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1].

فلا تخدع نفسك أيها المسلم، واعلم أن الحقيقة جنة أو نار، وأن إبليس الرجيم قد أخذ على عاتقه عهدًا فقال لله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[2].

(١) الشمس (٩- ١٠).

(٢) الأعراف (١٧).

فالحرب بيننا وبينه قائمة ما دام هناك عرق ينبض، فالقضية لا تحتاج لمراوغة ومخادعة، لأن الدائرة على هذا النمط لا بد وأن تكون عليك، فالحذر الحذر.

عن النواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «البِرُّ حُسنُ الخُلُق، والإثمُ ما حَاكَ في نفسك وكَرِهتَ أن يطَّلعَ عليه الناس»(١).

قال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه "جامع العلوم والحكم":

إن في الحديث " إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجًا وقلقًا واضطرابًا، فلم ينشرح له الصدر، ومع هذا فهو عند عامة الناس مستنكر، بحيث ينكرونه عند اطِّلاعهم عليه، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه، وهو ما استنكره الناس على فاعله وغير فاعله"(٢).

قال ابن مسعود ﷺ: "فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ"(٣).

قال الحافظ ابن رجب:

"فهذا يدل على أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه، فيقبله قلبه، وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه"(٤) اهـ.

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم (٢٥٥٣)، نووي (١٦/ ١١٠).

(٢) جامع العلوم والحِكم (٢/ ١٠١).

(٣) إسناده صحيح: رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٣٦٠٠)، وقال العلاّمة أحمد شاكر، إسناده صحيح، وهو موقوف على ابن مسعود.

(٤) جامع العلوم والحِكم (٢/ ١٠٠).

وعن الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك»[(١)].

قال الحافظ ابن رجب:

"ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتّقائها، فإن الحلال لا يحصل للمؤمن في قلبه منه رَيب، والريب بمعنى: القلق والاضطراب، بل تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب، وأما الشبهات فيحصُل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك"[(٢)] اهـ. إلى غير ذلك من الأخبار كثير.

فالحاصل أنه ينبغي على من أراد النجاة أن يقطع تلك العلائق والعوائق التي تصده عن الله، وما سعد مَن سعد إلا بجمعية قلبه على ربه، وما تعس من تعس إلا بتفرُّق قلبه وتشتته وانزلاقه عن طريق الاستقامة إلى دروب الحيرة والدهشة وسط هذه المغريات الجنسية ومتعلقاتها، حتى صار القلب هشًا خاويًا إلا من حب الشهوات ودواعيها، تحركه أدنى زوبعة وتزجّ به في نيران شهوة الفرج! نسأل الله الثبات.

(١) صحيح: رواه النسائي (٥٠)، الحث على ترك الشُبهات، رقم (٥٧١١) سنن النَّسائي وحاشية السندي (٨/ ٣٢٧)، ورواه الدارمي في سننه كتاب البيوع، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، رقم (٢٤٣٧) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (٥٢٦٩) والإرواء رقم (٢٠٧٤) وغاية المرام رقم (١٧٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠).

- دفع الخواطر والأفكار الشهوانية والرديَّة بدايةً:

وللإمام ابن القيم في هذا الفصل تفصيل يُكتب بماء الذهب، فقال-رحمه الله- في كتابه الفائد "الفوائد":

"واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الفِكر فيؤديها إلى التذكُّر، فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل، فتستحكم فتصير عادة، فَرَدّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوَّتها وتمامها، ومعلوم أنه لم يُعط الإنسان إماتة الخواطر، ولا القوة على قطعها فإنها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تُعينه على قبول أحسنها ورضاه به ومساكنته له، وعلى رفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه.

فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحَبّ الذي يوضع في الرُّحى ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لا بد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حبًا يخرج دقيقًا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملا وحصىً وتبنًا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبيَّن له حقيقة طحينه.

فإذا دفعتَ الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما بعده، وإن قبلته صار فكرًا جوالا، فاستخدم الإرادة فتساعدك هي والفكر على استخدام الجوارح، فإن تعذر استخدامها رجعا إلى القلب بالمنى والشهوة، وتوجهه إلى جهة المراد.

ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك

فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد، فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعنيك باب كل شرّ، وإياك أن تمكِّن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنه يفسدها عليك فسادًا يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرَّة، ويحول بينك وبين الفكر فيما يعنيك، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك"[1].

- **كيف يتمكن الشيطان من قلب المسلم:**

قال شيخنا الفاضل وحيد عبد السلام بالي حفظه الله:

"واعلم أخي المسلم أن الشيطان لا يدخل إلا على ذي القلب الخالي من الذكر والتقوى والإخلاص واليقين، فيلقي وساوسه، فتجد المحل خاليًا فتتمكن منه وتستقر فيه، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

وأما إذا كان القلب عامرًا بالإيمان، مُسربلا بالتقوى، محصنًا بالذكر، فلا يكون للشيطان عليه سلطان، ولا إليه سبيل.

والطامَّة الكبرى فيما إذا كان محشوًا بالهوى والشهوة، فهما قُوت الشيطان، فلا يمكن دفعه، وهذا كمثل كلب جائع مرَّ برجل بين يديه لحم، فكلما زجره لم ينته، فإذا رفع اللحم من بين يديه يئس الكلب وانصرف، كذلك صاحب القلب المليء بالشهوات، فلا بد أن يطهِّره أولا منها، ثم يعمره بالتقوى، وفي

(١) الفوائد (١٩٨، ١٩٩).

هذه الحالة عندما يقول: [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] انصرف عنه الشيطان.

ومَن فهم هذا عرف سبب قلة جدوى الاستعاذة عند كثير من الخلق فليست الاستعاذة مانعة للشيطان إلا إذا كان قلب المستعيذ خاليًا من قوت الشيطان وعامرًا بالتقوى والإيمان، ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1]. فهذه الآية خاصة بالمتقين دون غيرهم[2] اهـ.

- **كيف تروض خواطرك وتطرد شيطانك؟**

إن كانت نفس العبد محبَّة لهذه الخواطر الدنيئة، فعلى العبد أن يروضها ويقودها ويسوقها ويجلدها بالمواعظ، والموت يذكِّرها إياه، والقبر يخوِّفها من عُقباه، ويظل وراءها ثابت الجأش، لا تهوله الفتن حتى يردها إلى الله، ويصلح تشرُّدها، ويأخذ بزمامها إلى ربِّ العالمين.

يقول الشيخ عمر سليمان الأشقر في كيفية ردّ هذه النفس الشهوانية إلى الله:

"وإذا كانت النفس عصيَّة تأبى الانقياد فعليه أن يذكرها الموت والقبر والبعث والنشور والجنة والنار، ذلك أن القلب إذا تذكَّر الأهوال والعقبات التي سيمر بها في الموت وما بعده شدته كثيرًا ودعته إلى تدارك ما فات، والزهد في الدنيا، والشغل بأعمال الآخرة.

وقد حدثنا كتاب ربنا كما حدثنا رسولنا ﷺ عن الموت وسكراته، والقبر وآفاته وفتنته، وكيف يكون روضة من رياض الجنة أو حُفرة من حُفر النار،

(١) الأعراف (٢٠١).

(٢) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (١٧٠).

وحدَّثنا عن فناء هذا الكون حيث تُخسف شمسه، ويُكسف قمره، وينفرط عقد نجومه، وتُدك الأرض والجبال، وتُسجر البحار، وغير ذلك من الأهوال العظام، ثم يقوم الناس لرب العالمين، عندما يُنفخ في الصور النفخة الثانية، حيث يُحشرون حُفاة عُراة غُرلا بها، يجمع الله الأولين والآخرين في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، يقع فيه للعباد من الأهوال ما يجعل الناس سُكارى وما هم بِسُكارى ولكن عذاب الله شديد.

وتُنصب الموازين للحساب، ويُساق الناس بعد ذلك إلى نار لا يخبو سعيرها، ولا يرجو أهلها الخروج منها، أو إلى جنة الخلد التي وُعِدَ المتقون أُكُلُها دائم وظِلُّها، وشبابها دائم، وخيرها عميم، وأفراحها متصلة:

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[1].

ولذلك يحسن بالمسلم أن يقرأ كثيرًا فيما حدثنا الله به عن اليوم الآخر، فإنه يزكي القلوب، ويدفعها إلى فعل الخيرات وترك المنكرات وتقوية الصلة بالله"[2] اهـ.

---

(١) الواقعة (٢٥، ٢٦).

(٢) منهاج تزكية النفس في الإسلام (٤٥، ٤٦).

الفصل الثامن

الرُّفقة الصالحة

تمهيد

كثيرًا ما نسمع أن الإنسان لو استحيا من الله حياءه من رجل صالح لنجا، وهذه حقيقة، فهناك من العُصاة من يتغيَّر وجهه خجلا إذا ما رآه بعض الصالحين متلبسًا بصغيرة من الصغائر، فما هو القول إن رآه أي إنسان وهو يرتكب بعض الكبائر، لا شك أن هذه مصيبة من المصائب.

بل ربما يستفيق هذا المذنب ويرجع إلى الله إذا ما استشعر عظمة الله عند حيائه ممن لا يملك له ضرًّا ولا نفعًا، ورأى أن الله أحق بهذا الحياء، والخوف من هذا العبد الصالح المسكين.

بل لو سألنا أي شاب من الشباب الملتزم بدين الله، ما سبب التزامك؟ وما هي أقوى العوامل التي جعلتك تضع أول قدم على درب الهداية؟ سيخبرك بلا تردد أن السبب في ذلك الله أولا، ثم فلان الرجل الصالح فإنه ما فتئ[1] يدعوني إلى الله بالنصيحة تارة وبالشريط أخرى، حتى فتح الله على قلبي بالهداية.

وإنني أذكر سؤالا طُرح ذات مرة على فضيلة العالم محمد صفوت نور الدين -رحمه الله- عندنا في مصر، ومضمون السؤال على حسب ما أذكر جيدًا: "إنني شاب قد وقعت في ذنب من الذنوب، وقد تُبتُ إلى الله، ولكن سرعان ما أعود

(١) ما فتئ: ما زال، القاموس المحيط (٦٠).

إلى هذا الذنب مرة أخرى فأتوب، وأعود، وهكذا .. فما العلاج؟ "فأجاب فضيلته وكان ذلك في محاضرة عامة: "عليك بالرفقة الصالحة" ثم استطرد فضيلته في الإجابة، هذا ما أذكره جيدًا.

فالحاصل أن الرفقة الصالحة تُعين العبد على التخلص مما أرهقه وأتعبه من كبار الذنوب وصغارها، وذلك لأن الإنسان العاصي سوف يرى من أصدقائه الصالحين الطُهر والعفاف وشفافية الروح ونقاءها من الدَّغَل وصلاح علانيتهم، ونصائحهم الصادقة، ما يجعله يفكِّر ألف مرة ما بالهم هكذا وأنا عاثٍ في الأرض فسادًا، مع أن السن واحد، والهدف الدنيوي واحد والغرائز واحدة، سوف يفكر دائمًا في هذه الخواطر وغيرها حتى يتم العلاج بإذن الله تعالى.

- الحث على صحبة الصالحين:

قال تعالى:

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[3]

---

(١) لقمان (١٥).

(٢) التوبة (٧١).

(٣) آل عمران (١٠٣).

وها هو رسول الله ﷺ يُنذر ويحذر من مغبة المصاحبة والمجالسة لأصدقاء السوء. ويحثنا ﷺ على مُصاحبة الأخيار الأطهار، فعن أبي موسى عن أبيه ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«مَثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء كَمَثَل صاحب المِسك وكير الحدَّاد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحَه، وكير الحدَّاد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة»(١).

يقول الحافظ ابن حجر:

"وفي الحديث النهي عن مجالسة مَن يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما"(٢).

ويقول صاحب [عون المعبود]:

"وفي الحديث إرشاد إلى الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء ومجالستهم فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وإلى اجتناب صُحبة الأشرار والفُسَّاق فإنها تضرّ دينًا ودنيا"(٣).

فعليك أيها العبد بصحبة الصالحين، كما وصَّاك بذلك رسول الله ﷺ والفرار من الخُبثاء والفُسَّاق وشياطين الإنس فإن الهلاك كله في مصاحبتهم ومخالطتهم، والشفاء التام في البُعد عنهم وهجرهم.

---

(١) البخاري: كتاب البيوع، باب في العطَّار وبيع المسك، رقم (٢١٠١)، الفتح (٤/ ٤٠٦).

(٢) فتح الباري (٤/ ٤٠٧).

(٣) عون المعبود (١٣/ ١٢٢).

- **شروط من تختار صُحبتَه:**

اعلم أخي المسلم أنه ليس كل شخص يصلح للمصاحبة والمؤانسة والمشاورة، بل لا بد لمن تصاحبه أن تتوفر فيه شروط وضوابط، لكي يكون نِعم العون -بعد الله تعالى- ومن هذه الشروط والخصال ما يلي:

"الأولى: أن يكون مسلمًا متمسكًا بدينه، عاملا بمقتضاه من الأوامر والنواهي، متبعًا لمنهجه من الكتاب والسنة، بعيدًا عن البدَع والأهواء.

الثانية: أن يكون متخلقًا بأخلاق الإسلام، محافظًا على مكارم ومحاسن الشِيَم والأخلاق، قال ﷺ:

«إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»[1]، فاحرص على مؤاخاة من يكون دليلك إلى أرض النجاة ومرآتك إلى الخير.

الثالثة: أن يكون نظيف النفس من أدران النقص، بعيدًا عن الرذائل، مستقيمًا كما يريد الله ورسوله، متطهِّرًا بالقول والفعل، إذ لا فائدة من مؤاخاة الفاسق، اللهم إلا أن يخالط لإصلاحه، إذ أن الفاسق لا تُؤمن غائلته، ولا يُوثق بصداقته، كما أن صُحبة الفسَّاق ومشاهدة الفسق تهوِّن أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها، ثم إن مصاحبتهم ومجالستهم بغير قصد الدعوة إنما هو كمجالسة جليس السوء الذي نهانا عن مجالسته الرسول ﷺ.

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ، كتاب حُسن الخلُق، باب ما جاء في حُسن الخلُق، رقم (٨)، (٢/ ٩٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (٢٠٧)، والحديث عن أبي هريرة.

الرابعة: ألاَّ يكون حريصًا على الدنيا يعضّ عليها بالنواجد، إذ أن هذه من صفات إخوان الدنيا، أخوَّة وقتية ولغاية معينة، تنتهي بانتهاء المصلحة المادية التي يرجوها من خلال أخوَّته لك"[1].

قال الماوردي:

"الإنسان موسوم بسيماء من قارب، ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب، قال علي بن أبي طالب ﷺ:

الصاحب مُناسب، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (ما من شيء أدلّ على شيء، ولا الدخان على النار، من الصاحب على الصاحب).

وقال بعض الحكماء: اعرف أخاك بأخيه قَبلك.

وقال بعض الأدباء: يظنّ بالمرء ما يظنّ بقرينه.

وقال عدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قومٍ فصاحب خيارهم   ولا تصحب الأردى فتردى مع الرّدي

فلزم من هذا الوجه أيضًا أن يتحرز من دُخلاء أهل السوء، ويجانب أهل الرِّيب، ليكون موفور العِرض، سليم الغيب، فلا يُلام بملامة غيره"[2].

---

(١) الأخوَّة (٩-١١) بتصرُّف.

(٢) أدب الدنيا والدين (١٦٦، ١٦٧).

الفصل التاسع

مع النَّفْس

تمهيد:

وهنا تتجلى الصورة الحقيقية لرسوخ الإيمان أو عدم رسوخه، وتظهر أمارات النجاة أو عدمها، وسنعلم أن النفس ما زالت سوداء مظلمة كالكوز مجخيًا لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، أو بيضاء نيِّرة لا تضرُّها فتنة ما دامت السموات والأرض أولاً.

ففي هذا الموطن سيكون المعيار الدقيق للإيمان، ذلك لأن التعامل سيكون مع النفس، والحرب هنا ضَروس لا رحمة فيها ولا هوادة، لأن الخاسر في هذه المعركة سيخسر بخُسرانها الدنيا والآخرة، اللهمَّ إلاَّ إذا كان الانتصار على النفس وردُّ رعونتها وخساستها، ثم تزكيتها، فليس معنى ذلك أنها خاسرة، بل الخاسر هنا الشيطان..

نريد هنا التشمير عن ساعد الجدّ والمنازلة، والاستعانة بالمعين ﷻ، وعدم اليأس، وشدة البأس، وطول النَّفَس، في محاورة النفس وترويضها إلى ما فيه صلاحها، وليس والله هذا بالأمر الهيِّن، كيف يهون والثمن جنة أو نار؟!

هنا موطن الورع والصبر والإرادة والعزيمة وصدق الاستعانة والاستغاثة، والتوكل العملي على الله.

لا بد وأن تقود أيُّها العبد المشفق على نفسه من عذاب الله، هذه النفس إلى مواطن النجاة، لا بد وأن تعرِّفها خطورة موقفها إن هي أصرَّت على فجورها

وإثمها وعدوانها، ولا بد من محاسبتها والأخذ بزمامها، فإن حرنت ينبغي مجاهدتها وعقابها.

لا بد وأن تسوقها بسوط الخوف والترهيب من عذاب الله، وتستدر دمعها بين منازل الخوف والرجاء.

والحذر الحذّر من التساقط على الطريق، فتهلك مع من هَلَكوا بل عليك بنفسك ومداواتها، وإشعارها بسلطان الله عليها، ومراقبتها له سبحانه، تكون النجاة إن شاء الله.

- مراقبة الله تعالى:

وهذه المراقبة من أعظم أبواب الحفظ للعبد بعد حفظ الله تعالى، فلا بد أيها المسلم أن تُشعر نفسك بمراقبة الله لها في جميع الأحوال، وسائر الأوقات، قال تعالى:

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[3].

---

(١) الشعراء (٢١٨، ٢١٩).

(٢) الحديد (٤).

(٣) آل عمران (٥).

وقال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال:

«كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل.. قال: ما الإحسان؟

قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. »[2].

قال النووي:

"هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه ﷻ، لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السَّمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به، فقال: اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان.

وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعًا من تلبسه بشيء من النقائص احترامًا لهم واستحياءً منهم، فكيف بمن لم يزل ﷻ مطلعًا عليه في سره وعلانيته"[3] اهـ.

قال صاحب [مختصر منهاج القاصدين]:

"وينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفي العمل، هل حرّكه عليه هوى النفس، أو المحرّك له هو الله تعالى خاصة ؟! فإن كان الله تعالى أمضاه، وإلا تركه، وهذا هو الإخلاص.

---

(١) الفجر (١٤).

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .. رقم (٩)، نووي (١/ ١٦١).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٥٧، ١٥٨).

قال الحسن:

رحم الله عبدًا وقف عند همِّه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر، فهذه مراقبة العبد في الطاعة، وهو أن يكون مخلصًا فيها، ومراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع، ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب، والشكر على النعم.

وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود:

"حقٌّ على العاقل أن لا يُشغَل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يُفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلُّ ولا يُحرَّم.

فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات، وإجمام للقوة، وهذه الساعة التي هو مشغول فيها بالمطعم والمشرب لا ينبغي أن تخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر"[1].

وقد قيل:

إذا ما خلوت يومًا فلا تقل   خلوت ولكن قل علي رقيبُ
ولا تحسبنَ الله يغفل ساعةً   ولا أن ما تخفيه عنه يغيبُ
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهبٍ   وأن غدًا للناظرين قريبُ[2]

(١) مختصر منهاج القاصدين (٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٦٠٩).

- محاسبة النفس:

قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[1].

فمن حاسب نفسه الآن خفف عنه غدًا وطأة هذا الحساب الشديد.

وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[3].

يقول سيد قطب رحمه الله:

وهذه الآية "تُشعِر هذا الإنسان بالحاجة الدائمة للرجوع إلى الموازين الإلهية الثابتة، ليظل على يقين أن هواه لم يخدعه ولم يضلله، كي لا يقوده الهوى إلى المهلكة، ولا يحق عليه قدر الله فيمن يجعل إلهه هواه"[4].

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[5].

---

(١) آل عمران (٣٠).

(٢) الحشر (١٨).

(٣) الشمس (٩، ١٠).

(٤) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩١٨).

(٥) الرعد (١١).

وقال الحسن ﷺ:"إن المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة.

إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول: واللهِ إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من وصلة إليك، هيهات، حيلَ بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا والله مالي عُذر بها، والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله.

إن المؤمنين قومٌ أوثقهم القرآن، وحالَ بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله -عز وجل- يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله"[1].

يقول ابن قدامة رحمه الله:

واعلم أن العبد كما ينبغي أن يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه، كذلك ينبغي أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه في آخر النهار، ويحاسبها على جميع ما كان منها، كما يفعل التجَّار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم.

ومعنى المحاسبة أن ينظر في رأس المال، وفي الربح، وفي الخسران، لتتبين له الزيادة من النقصان، فرأس المال في دينه الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي، وليحاسبها أولا على الفرائض، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها ليستوفي منها ما فرَّط.

(١) الزهد (٥١).

فينبغي للعبد أن يحاسب نفسه على الأنفاس، وعلى معصية القلب والجوارح في كل ساعة، فإن الإنسان لو رمى بكل معصية يفعلها حجرًا في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي وهي مثبتة ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾(1).

أنا العبد الذي كسَب الذنوبا ... وصدته الأماني أن يَتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزينًا ... على زلاته قلقًا كئيبا
أنا العبد الذي سُطِّرت عليه ... صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المُسيءُ سرًا ... فمالي الآن لا أبدي النَّحيبا
أنا العبد المفرِّط ضاع عمري ... فلم أرعَ الشبيبة والمشيبا
أنا العبد الغريق بِلُجِّ بحرٍ ... أصيحُ لَرُبَّما ألقى مُجيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا ... وقد أقبلتُ ألتمسُ الطَّبيبا
أنا العبد المخلَّف عن أناسٍ ... حَوَوا من كل معروفٍ نَصيبا
أنا العبد الفقير مددتُ كفِّي ... إليكم فادفعوا عني الخُطوبا
أنا الغدَّار كم عاهدت عهدًا ... وكنتُ على الوفاء به كذوبا
أنا المقطوع فارحمني وصِلني ... ويسِّر منك لي فرَجًا قريبا
فيا أسفي على عُمرٍ تَقضَّى ... ولم أكسب به إلا الذنوبا(2)

- مُجاهدة النفس:

ذلك لأنك إن لم تجاهد نفسك ولم توبخها وتردعها وتصرفها عمَّا وراء هلاكها، علمت النفس وأيقنت بحريتها، وآلمتك بجراح الشهوة الجائرة، بل

(1) المجادلة (6).

(2) صلاح الأمة في علوّ الهمّة (4/609).

وأسكرتْكَ سُكرًا لا يُرجى بعده برء إلا برحمة الله، فتعيث على وجهك مثل الذباب يقع على كل منتن مستقذر، فلا تترك زمامها، وكُن خير قائد لها، تنجو من إفكِها ووحلهَا.

قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]، وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾[2].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ قال: «إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات ثم بينَ ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعمِلَها كَتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كَتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[3].

قال الحافظ ابن حجر: "قال ابن بطال: في هذا الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة، لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل الجنة أحد، لأن عمل

---

(١) العنكبوت (٦٩).

(٢) النازعات (٤٠، ٤١).

(٣) البخاري: كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو سيئة، رقم (٦٤٩١)، الفتح (١١/ ٣٩٢).

العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات، وفيه ما يترتب للعبد على هجران لذته وترك شهوته من أجل رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه"(١).

والهمّ بالسيئة والإقبال عليها بنهم ثم تركها مخافة الله، والانزواء عنها بعيدًا رجاء ثواب الله ﷻ، لا شك أن ذلك من أعظم المجاهدة للنفس وصاحب هذه المجاهدة، سوف يلامس لذّتها وحلاوتها، والجزاء من جنس العمل.

وعند البخاري: باب مَن جاهد نفسه في طاعة الله عن معاذ بن جبل ﷺ قال: «بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرَّحل فقال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيكَ يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيكَ يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حقُ العباد على الله إذا فعلوه؟، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله ألاَّ يُعذّبهم»(٢).

قال الحافظ في الفتح:

"قوله: باب مَن جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل، يعني: بيان فضل من جاهد، والمراد بالمجاهدة: كفّ النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة، وبهذا تظهر مناسبة الترجمة.

قال ابن بطال:

(١) فتح الباري (١١/ ٣٩٩).

(٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، رقم (٦٥٠٠)، الفتح (١١/ ٤١٠).

جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ الآية، ويقع بمنع النفس عن المعاصي، قال القشيري: أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها.

وللنفس صفتان: انهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات.

فالمجاهدة تقع حسب ذلك، وأقوى المعين على جهاد النفس، جهاد الشيطان بدفع ما يلقى إليه من تحسين ما نهى عنه من المحرَّمات، وتمام ذلك من المجاهدة أن يكون متيقظًا لنفسه في جميع أحواله، فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات"[1] اهـ.

(١) فتح الباري (١١/ ٤١٠، ٤١١).

الفصل العاشر

ومن أعظم وسائل العلاج ما يلي:

تمهيد

وسوف أسلك في هذا الفصل -إن شاء الله- مسلك الاختصار ما استطعت، وذلك لأن الوسائل كثيرة، ولو أسهبتُ لطال المقام جدًا، لكثرة الآثار والأخبار في سنن المصطفى ﷺ في هذا الفصل.

وإن هذه المحظورات يشترك في دفعها المجتمع كله، ليكون هو بدوره أيضًا عونًا لمن أراد أن يستقيم على طريق الله تعالى، فيجب على كل فرد له رعية أن يمنع رعيته من إفساد البلاد والعباد، وليضرب على يد كل من يعول، وليمنعه من أن يكون سببًا في تأجيج هذه الشهوة.

فإن تكاتَفَ الناسُ وصار كل منهم عنصرًا بنَّاءً في المجتمع، فسوف تستأصل شأفة هذه الشهوة المنحرفة، لتسير مسارها الطبيعي الذي خلقها الله من أجله.

وإن كانت هذه التوجيهات يحمل عبأها المجتمع، فأنت يا من تريد النجاة دورك إن فرَّط الناس في هذه التعاليم الدينية أن لا تكون ضحية إعراضهم وتفلتهم عن نهج الله، بل عليك أن تفرَّ من هذه السموم قدر استطاعتك معتصمًا بالله وبسنة رسوله ﷺ.

أولا: فرض الحجاب:

وذلك أن تلتزم كل امرأة بالحجاب الذي أمرها الله به، وهو أن تستر جميع بدنها كما أمر الله تعالى وكما أمر رسوله ﷺ.

وشروط الجلباب ثمانية كما ذكرها الألباني -رحمه الله- وهي:

١. "استيعاب جميع البدن (إلا ما استثنى)، وهناك من العلماء من خالف الشيخ -رحمه الله- في هذه المسألة وهي كشف الوجه، أما إن كانت هناك فتنة ستحصل بكشف الوجه فإن الألباني -رحمه الله- يرى وجوب الستر عندئذٍ.
٢. أن لا يكون زينة في نفسه.
٣. أن يكون صفيقًا لا يشفّ.
٤. أن يكون فضفاضًا غير ضيق.
٥. أن لا يكون مبخرًا مطيبًا.
٦. أن لا يشبه لباس الرجل.
٧. أن لا يشبه لباس الكافرات.
٨. أن لا يكون لباس شهرة"[1].

وترك لباس الشهرة: أي أن يكون اللباس غير مخالف لما اعتاده صُلحاء الناس في البلد.

ثانيًا: منع التَبَرُّج:

وهو أن تُظهر المرأة من جسدها ما حُرِّم عليها إظهاره، وذلك كإظهار عنقها وماكياج الوجه والساقين وغير ذلك مما يراه الناس من مظاهر هذا التبرج الصارخ الذي يثير كوامن الشباب وغرائزهم.

---

(١) جلباب المرأة المسلمة (٣٧).

فعلى كل إنسان مسلم أن يمنع ابنته أو أخته أو زوجته أو من يعول من كل تهتّك وسفور، وخاصة في الأفراح المتفسخة من كل قيد، أو المتهاونة في كثير من تعاليم الإسلام.

ولقد تهاون أناسٌ فيهم خير كثير في أمر هذه الأفراح والليالي الملاح! وما استبان لهم شُنع فعلهم، ولا قُبح تهاونهم، إلا بعد أن سُجِّلت عليهم هذه السيئات التي جنوها من جرّاء هذا التهاون واللامبالاة، فندموا أشد الندم، وتمنوا أن لو استقبلوا من أمرهم ما استدبروا، ليصلحوا ما جنوه على أنفسهم من تبعات الندم والأسف والأسى، وهم مع ذلك تائبون نادمون مستغفرون. والحاصل على كل من يعول امرأة أن يذب عنها هذا التبرج والسفور.

ثالثًا: تحريم مسّ الأجنبية ومصافحتها:

يقول الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله:

"وإذا كان الإسلام يطارد الحرام أنّى وُجد، ويترصّد المنكر حيثما كان يقضي عليه، فلمس المرأة باليد يحرك كوامن النفس، ويفتح أبواب الفساد، ويسهل مهمة الشيطان، من أجل ذلك توعَّدَ الله من يفعل ذلك بصارم عقابه وشديد عذابه"[1].

فعن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يُطعَن في رأس أحدكم بمخيَط من حديد خير له من أن يمسَّ امرأة لا تحل له»[2].

قال العلامة الألباني رحمه الله:

---

(١) عودة الحجاب (٣/ ٤٣).

(٢) صحيح: ذكره الألباني في الصحيحة رقم (٢٢٦)، وانظر الحديث رقم (٥٢٩، ٥٣٠) في الصحيحة.

"وفي الحديث وعيد شديد لِمَن مسَّ امرأة لا تحل له، ففيه دليل على تحريم مصافحة النساء، لأن ذلك مما يشمله المسّ دون شك، وقد بُليَ بها كثير من المسلمين في هذا العصر"[1].

رابعًا: منع الخلوة بالأجنبية:

قال الشيخ الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله:

"وحقيقة الخلوة أن ينفرد رجل بامرأة في غيبة عن أعين الناس".

إن الخلوة بالأجنبية من أعظم الذرائع، وأقرب الطرق إلى اقتراف الفاحشة الكبرى.

إن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية مدرجة الهلاك، وداعية الإثم والفجور، وكيف لا يكون ذلك، والفرصة سانحة، وقد مهدَت الخلوة لغريزة أن تستيقظ"[2].

وإن من أعظم الشرور على الإطلاق خلوة الخطيب بمخطوبته، وإن فيها من المفاسد مالا يعلمه إلا الله وحده، وعذر الناس في ذلك أنهم يثقون في بناتهم وأبنائهم، وكذبوا وربِّ الكعبة، كيف لا؟! وهم يتركونها بين ناب سبع أو ذئب، ولربما نهش عِرضها وتركها قنبلة موقوتة تصطاد ضحاياها في الليالي الحمراء والسوداء.

وكم سمعنا عن هذا الوباء في المجتمع، فالحذر الحذر من الأوهام الكاذبة، والثقة مهما كانت قوية لا بد أن تضبط بميزان الشرع. فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «لا يخلوَنَّ رجل بامرأة إلاَّ مع ذي محرَم»[2].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤٤٨).

(٢) عودة الحجاب (٣/ ٤٥)، ويلحق بها كل انفراد أدى إلى مفسدة كالانفراد بالسيارة من غير محرم.

خامسًا: منع سفر المرأة بغير محرم:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«لا يَخلُونَّ رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة إلا ومعها مَحرَم. فقام رجل فقال: يا رسول الله، اكتُتِبتُ في غزوة كذا وكذا، وخرَجت امرأتي حاجَّة، قال: اذهب فاحجُج مع امرأتِك»(١).

"فتبًا لهؤلاء المستغربين، وسُحقًا لعبيد المدنية الزائفة، الذين أطلقوا لبناتهم ونسائهم العنان يسافرون دون محرَم، ويخلون بالرجال الأجانب، مدَّعين أن الظروف تغيرت، وأن ما اكتسبته المرأة من التعليم، وما أخذته من الحرية يجعلها موضع ثقة أبيها وزوجها، فما هذا إلا فكر خبيث، دَلَفَ إلينا ليفسد حياتنا، وما هي إلا حجج واهية ينطق بها الشيطان على ألسنة هؤلاء الذين انعدمت عندهم غيرة الرجولة والشهامة، فضلا عن كرامة المسلم ونخوته"(٢).

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب مَن اكتُتب في جيش نخرجت امرأته حاجَّة، رقم (٣٠٠٦)، الفتح (٦/١٧٦).

(٢) عدوة الحجاب (٣/٤٩).

سادسًا: منع خروج المرأة متطيِّبَة متعطِّرَة:

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:

«كُلُّ عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية»[(١)].

قال المباركفوري رحمه الله:

"..إذا استعطرت أي: استعملت العطر، فمرَّت بالمجلس أي: مجلس الرجال، يعني زانية لأنها هيجت شهوة الرجال بعطرها، وحملَتهُم على النظر إليها، ومن نَظَر إليها فقد زنى بعينه، فهي سبب زنى العين فهي آثمة"[(٢)].

سابعًا: منع الخضوع بالقول:

يقول الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله:

"فقد يكون صوت المرأة رخيمًا، يحرك النفوس المريضة، فيجرها إلى التفكير في المعصية، أو يوقعها ويوقع بها في بلية العشق.

ومن هنا نُهيتَ المرأة عن مخاطبة الأجانب بكلام فيه ترخيم، كما تخاطب زوجها، وأمرت أن تتحرى الصوت الجاد العاري عن أسباب الفتنة، ولم يخوِّل لها الإسلام إذا نابها شيء في الصلاة أن تسبح كالرجال بل عليها أن تصفق، وهي في الحج لا ترفع صوتها بالتلبية، ولا يشرع لها أن تؤذن للصلاة في

---

(١) حسن صحيح: رواه الترمذي أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، رقم (٢٩٣٧)، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح،، تحفة الأحوذي (٨/ ٥٨)، ورواه أبو داود كتاب الترجُل، باب في طيب المرأة للخروج، رقم (٤١٦٧)، عون المعبود (١١/ ١٥٣)ن مشكاة المصابيح: كتاب الصلاة، باب الجماعة وفضلها، رقم (١٠٦٥)، وقال الألباني: إسناده حسن، ولفظ الحديث للترمذي.

(٢) تحفة الأحوذي (٨/ ٥٨).

المسجد، ولا أن تؤمّ الرجال، وقد سدَّ الإسلام على المرأة كل سبيل للتسيُّب في هذا الباب حينما جعل أمَّهات المؤمنين محلا للقدوة، فلم يبقَ هناك عذرٌ لمعتذر.

قال تعالى:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[1].

ثامنًا: منع الاختلاط المستهتِر:

ومن صور هذا الاختلاط المحرَّم:

"١- اختلاط الأولاد الذكور والإناث -ولو كانوا أخوة- بعد التميز في المضاجع، فقد أمر النبي ﷺ بالتفريق بينهم في المضاجع.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال رسول الله ﷺ:

«مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»[2].

"أي فرِّقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشرًا، حذرًا من غوائل الشهوة، وإن كنَّ أخوات"[3].

---

(١) عودة الحجاب (٣/ ٥١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم(٤٩١١)، عون المعبود (٢/ ١١٤)، وصححه الألباني في الإرواء رقم (٢٩٨).

(٣) عون المعبود (٢/ ١١٥).

٢- اتخاذ الخدَم الرجال، واختلاطهم بالنساء، وحصول الخلوة بهن.

٣- اتخاذ الخادمات اللائي يبقين بدون محارم، وقد تحصل بهن الخلوة.

٤- السماح للخطيبين بالمصاحبة والمخالطة التي تجر إلى الخلوة، ثم إلى ما لا تُحمد عُقباه، فيقع العبث بأعراض الناس بحجة التعارف ومدارسة بعضهم بعضًا.

٥- استقبال المرأة أقارب زوجها الأجانب، أو أصدقائه في حالة غيابه ومجالستهم.

٦- الاختلاط في دور التعليم كالمدارس والجامعات والمعاهد، والدروس الخصوصية.

٧- الاختلاط في الوظائف، والأندية، والمواصلات، والأسواق والمستشفيات، والزيارات بين الجيران، والأعراس والحفلات.

٨- الخلوة في أي مكان ولو بصفة مؤقتة كالمصاعد، والمكاتب، والعيادات، وغيرها" (١).

تاسعًا: مشروعية الاستئذان:

إن الله ﷻ قد حرَّم الدخول إلى البيوت إلا بعد الإذن، قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟

(١) عودة الحجاب (٣/ ٥٦، ٥٧).

فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾[1].

قال سيد قُطب -رحمه الله-:

"ذلك أن استباحة حُرمة البيت من الداخلين دون استئذان، يجعل أعينهم تقع على عورات، وتلتقي بمفاتن تُثير الشهوات، وتهيئ الفرصة للغواية الناشئة من اللقاءات العابرة، والنظرات الطائرة، التي قد تتكرر فتتحول إلى نظرات قاصدة تحرِّكها الميول التي أيقظتها اللقاءات الأولى على غير قصد ولا انتظار، وتحوِّلها إلى علاقات آثمة بعد بضع خطوات، إلى شهوات محرومة، تنشأ عنها العُقَد النفسية والانحرافات"[2].

(٢) النور (٢٧، ٢٨).

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٥٠٧).

الفصل الحادي عشر

استحضار نار جهنَّم

تمهيد

إن تَذكر نار جهنم وما فيها من عذاب دائم، واستحضارها كلما همَّت النفس بعصيان الله، لهو من أنفع الأدوية للقلب على الإطلاق.

فكم سمعنا وقرأنا والله عن أناسٍ لم يكتحل النوم جفونهم إلا قليلا، منهم من تكون خروج روحه بآية فيها ذكر لعذاب الله، ومنهم من يعوده الناس في فراشه أيامًا لسماعه آية فيها ذِكر لعذاب الله، ومنهم مَن كان يفرُّ إلى الصحراء هاربًا خوفًا من النار، ومنهم مَن كان دائم السُّهاد والبكاء، إلى غير ذلك من الأخبار التي نرى فيها الخوف والرجاء من أُناسٍ صالحين أقضَّ الخوف من النار مضاجعهم!

فويلٌ لِمَن ذكرها ثم هو راقد في غيِّهِ لم ينزجر، ويلٌ لِمَن وُعِظَ بها ثم لم يتعظ، وويلٌ لمن علم حقيقتها ثم هو ماضٍ بجدٍ وعزم في سُبل الشهوات يكرع منها ليلا ونهارًا، سرًا وجهارًا، غير عابئ بها، ولا خائف منها.

أيها العبد المكلوم، إنها النار، إنها النار !!

حرَّها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد، مَن دخلها لا يموت فيها ولا يحيا، نارٌ يشيب الرأس من ذِكرها، فكيف عند قدومها، نارٌ وقودها الناس والحجارة، ملائكتها غِلاظٌ شداد أقوياء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرُون !!

أيها العبد، أدِّب نفسك الجموح بسياط جهنم، فكم أدبَّت هذه النار من عصاة، وكم قوَّمت والله نفوسًا أعوجَّت عن الهداية.

فأفٍّ للذة سريعة الانقضاء تعقبها نارٌ لا يخبو سعيرها، ولا ينطفئ أوارها، فيا أيتها النفس افعلي ما بدا لكِ، وتمرغي في وحل الرذيلة عمركِ ولكن اعلمي أنكِ راحلة لا محالة، ومُقبلة على نار يشيب منها الوليد، وستجازينَ عن فعلك إن حسنًا فحسن وإن قبيحًا فقبيح، عيشي ما بدا لكِ في ظل إسرافكِ، وستجدي كل شيء هنالك، وهناك لا ينفع الندم!.

- صفة جهنَّم وأهوالها وأنكالها:

قال الغزالي رحمه الله:

"يا أيها الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردكَ، فإنك أُخبرتَ بأن النار مورد للجميع، إذ قيل:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(1).

فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فَعساكَ تستعد للنجاة منه، وتأمَّل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعَب، وأطلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الرُكب، حتى أشفق

(1) مريم (71، 72).

البراء من سوء المُنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا: أين فلان ابن فلان المسوِّف نفسه بالدنيا بطول الأمل، المضيِّع عمره في سوء العمل، فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له:

﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[(١)].

فاسكنوا دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرُّهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فِكاك، قد شُدَّت أقدامهم إلى النواصي، واسودَّت وجوههم من ظلمة المعاصي، لا يُنجيهم الندم، ولا يُغنيهم الأسف، بل يُكَبُّون على وجوههم مغلوبين، النار من فوقهم والنار من تحتهم، والنار عن أيمانهم وعن شمائلهم، فهم غرقى في النار، طعامهم نار، وشرابهم نار، ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القَطِران، وضرب المقامع، وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقها، ويتحطمون في درَكاتها، تغلي بهم النار كغلي القُدور، يتمنون الموت فلا يموتون»[(٢)].

(١) الدخان (٤٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٥/ ١٦٥، ١٦٦) بتصرف.

عمق جهنَّم وشدة حرها:

عن أبي هريرة ﷺ قال:

«كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجَبةً فقال النبي ﷺ: أتدرون ما هذا؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: هذا حجرٌ رُميَ به في جهنم منذ سبعين خريفًا فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»[١].

"وعن عبدالله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٢] قال: هي حجارة من كبريت خَلَقَها الله يوم خَلَق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين.

وعن عبدالله بن مسعود في قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾[٣] قال: إما إني لستُ أقول كالشجرة ولكن كالحصون والمدائن"[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم قيل: يا رسول الله إن كانت لَكافية، قال: فُضِّلَت عليهن بتسعٍ وستين جزءًا كلّهنّ مثل حرها»[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) مسلم: كتاب الجنة، باب جهنم أعاذنا الله منها، رقم (٢٨٤٤)، نووي (١٧/ ١٧٩).

(٢) البقرة (٢٤).

(٣) المرسلات (٣٢).

(٤) البحر الرائق في الزهد والرقائق (٣٠٢).

(٥) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم (٣٢٦٥)، الفتح (٦/ ٤٠٧).

«اشتكت النار إلى ربِّها فقالت: ربِّ أكَل بعضي بعضًا فأذِنَ لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفَس في الصيف، فأشدّ ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»[(١)].

فانظر الآن في عمق الهاوية، فإنه لا حدَّ لعُمقها كما لا حدَّ لعُمق شهوات الدنيا، فكما لا ينتهي أرَب من الدنيا إلا أرَب أعظم منه، فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها "[(٢)] اهـ.

- **طعام أهل النار وشرابُهُم:**

يقول الدكتور عمر الأشقر: "طعام أهل النار الضَّريع، والزَّقوم، وشرابهم الحميم، والغِسلين، والغساق، قال تعالى:

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾[(٣)].

والضريع شوك بأرض الحجاز يقال له الشبرق، وعن ابن عباس: الشبرق: نبت ذو شوك لاطئ بالأرض، فإذا هاج سُميَ ضريعًا، وقال قتادة: مِن أضرع الطعام وأبشعه وهذا الطعام الذي يأكله أهل النار لا يفيدهم، فلا يجدون له لذة، ولا تنتفع به أجسادهم، فأكلهم له نوعٌ من أنواع العذاب"[(٤)].

(١) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم (٣٢٦٠)، الفتح (٦/ ٤٠٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٥/ ١٦٧).

(٣) الغاشية (٦، ٧).

(٤) اليوم الآخر، الجنة والنار (٨٧، ٨٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ * كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾[1]. وقال عنها:

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾[2].

يقول الدكتور عمر الأشقر:

"يؤخذ من هذه الآيات أن هذه الشجرة خبيثة، جذورها تضرب في قعر النار، وفروعها تمتد في أرجائها، وثمر هذه الشجرة قبيح المنظر، ولذلك شبَّهه برؤوس الشياطين، وقد استقر في النفوس قبح رؤوسهم وإن كانوا لا يرونهم، ومع خبث هذه الشجرة وخُبث طلعِها، إلاَّ أن أهل النار يُلقى عليهم الجوع بحيث لا يجدون مفرًا من الأكل منها إلى درجة ملء البطون، فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلي في أجوافهم كما يغلي الزيت، فيجدون لذلك آلامًا مُبرحة.

فإذا بلغت الحال بهم هذا المبلغ اندفعوا إلى الحميم وهو الماء الحار الذي تناهى حره، فشربوا منه كشرب الإبل التي تشرب ولا ترتوي لمرضٍ أصابها، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[3]، هذه

---

(١) الدخان (٤٣، ٤٦).

(٢) الصافات (٦٣، ٦٧).

(٣) محمد (١٥).

هي ضيافتهم في ذلك اليوم العظيم، أعاذنا الله من حال أهل النار بمنه وكرمه"[1] اهـ.

- واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا؟!:

عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريتَ السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم -يعني- مكان الدمع»[2].

"فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة، وفوت لقاء الله تعالى، وفوت رضاه، مع علمهم أنهم باعوا كل ذلك بثمن بخسٍ دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أيامًا قصيرة، وكانت غير صافية، بل كانت مكدَّرة منغَّصة، فيقولون في أنفسهم: واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا؟!، وكيف لم نكلف أنفسنا أيامًا قلائل؟ ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين، متنعمين بالرضا والرضوان؟!، فيا لحسرة هؤلاء، وقد فاتهم وبُلوا بما بُلوا به، ولم يبقَ منهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها"[3] اهـ

فالهَرَب، الهرب من النار، فعذابها لا يُطاق،، اشترِ نفسك أيها المسكين تفكَّر فيها على الدوام، وسربل نفسك بالحزن والخوف منها، عساك أخي أن تنجو من نفسك التي تؤزك على محاربة الله بأقبح الذنوب التي قرنها بالشرك، فأين

(١) اليوم الآخر، الجنة والنار (٨٧، ٨٨).

(٢) حسن: حسَّنه الألباني في الصحيحة رقم (١٦٧٩).

(٣) إحياء علوم الدين (٥/ ١٧٢).

الدمعة والزفرة، أين الحزن والقلق والخوف، أين المبادرة في فِكاك الرقاب من النار، كأننا والله أخذنا منشورًا بالأمان.

يقول الحسن البصري رحمه الله:

"والله إن أصبح فيها -أي الدنيا- مؤمن إلا حزينًا، وكيف لا يحزن المؤمن وقد حُدِّث عن الله -عز وجل- وعن أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها، والله ليلقين أمراضًا ومُصيبات وأمورًا تغيظه، وليُظلَمنَ فما ينتصر، يبتغي بذلك الثواب من الله عز وجل، وما يزال حزينًا خائفًا حتى يفارقها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة"[1]. وهذا هو حال المؤمن، فكيف بعبدٍ يعلم من نفسه ما يعلم، ألا يكون أكثر خوفًا؟!

- استحكام عذاب جهنم:

وهذه هي المرحلة الأخيرة التي تكون بمثابة إغلاق هذه الأبواب الضخمة على نار جهنم، ويُترك أهلها فيها يلاقون من العذاب أشده وأخزاه وأعتاه وأنكاه، بلا رحمة ولا هوادة، وتبدأ رحلة الجزاء القاسي في نار خُلِقَت من أجل ذلك، ويالها من دهور وقرون لا تنتهي أبد الآباد! رُحماك اللهم رُحماك!

وأُولى هذه المراحل التي ينقطع بعدها الرجاء في الخروج من النار هو ذبح الموت أمام أهل الجنة وأهل النار وهم يُبصرون ذلك.

فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح[2] -زاد أبو كريب- فيُوقف بين الجنة والنار- واتفقا في باقي الحديث- فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟

---

(١) الزهد (٥٥).

(٢) أملح: الذي يكون بطنه وأرجله أسود وظهره أبيض..

فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: ويُقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به فيُذبح، قال: ثم يُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خُلودٌ فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [1] وأشار بيده إلى الدنيا» [2].

فإذا ما سمعوا هذا النداء:

"يا أهل النار خُلودٌ فلا موت" يئسوا من كل خير وأيقنوا بالخلود فيها.

قال القرطبي:

"قلت: هذه الأحاديث مع صحتها نصٌ في خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال الله في كتابه الكريم وأوضح فيه من عذاب الكافرين:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [3]..." [4].

ثم بعد أن يشاء الله يُخرج من النار العُصاة من أمة محمد ﷺ بالشفاعة، ولكن قل لي بربِّك: ألكَ طاقة أن تتحمل غضب الله وليس عذابه الذي يطول إلى أمدٍ لا يعلمه غيره؟!

---

(١) مريم (٣٩).

(٢) مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبَّارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٢٨٤٩)، نووي (١٧/ ١٨٤).

(٣) فاطر (٣٦).

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٢١١).

الفصل الثاني عشر

استحضار الجنة ونعيمها

تمهيد

إذا عَلِمَ العاصي أنه بحفظه لفرجه وغضه الطرف عن كل حرام، سينال هذا النعيم الأزلي السرمدي، الذي لا يُقارن أصلا بنعيم الدنيا، فشهوات الجنة خالية من المنغصات والمكدرات، بخلاف شهوة العاصي في دنياه، فإنه بعد قضاء لذائذه يحضر لديه كل همّ وغمّ وخوف من المستقبل وتبعاته الأسرية والبدنية، كل هذا يختلج قلبه قبل أن يفارق فراش المعصية.

أما الجنة -رزَقَنا الله إياها- فهي مبرأة من كل نقص على الإطلاق، فإذا ما عاين العاصي بقلبه هذا النعيم العظيم، واستشف بروحه نساء الجنة وحورها، وعَلِمَ أنه إن أعرض عنها إعراضه ازدادت في عينه أضعاف أضعاف ما كانت معه، وعَلِمَ أنها منزهة عمًا أصاب نساء الدنيا، بدنيًا أو معنويًا، وعلم ما انطوت عليه من حُسن وبهاء وعذوبة صوت، وسائر ما يُسرُّ به منها، إن علم الذي يريد النجاة هذه السعادة الحقيقة لهان عليه الرجوع إلى الله، ولاستعذب كل ما يعانيه في مجاهدة نفسه رجاء راحتها وسعادتها.

إن الجنة والله غالية الثمن، فلماذا لا نكدّ ونتعب ونجاهد الحياة وشهواتها، لكي نجمع ثمنها، مع أننا نكابد الأهوال من أجل شظف الحياة ودنيئها، ونبذل الغالي والرخيص لاحتوائها، مع أنها رخيصة الثمن لا تستحق، فما بالنا نعضّ على الرخيص البالي بالنواجذ، ونركل باستخفاف سعادة فيها مالا عين رأت

ولا أذن سمعت ولا خَطر على قلب بشر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

لماذا هذا؟! أمن أجل لذة سرعان ما تفتر؟، أم من أجل شهوة حيوانية ضالَّة؟، أم من أجل عاهرة مخمورة؟، أم من أجل نفسٍ أمارة بالسوء شريرة؟، أمِن أجل هوى لا يرتوي ولو شرب خمر الدنيا واستمتع بنسائها؟، من أجل أي شيء أيها العبد تقيِّد نفسك وتغلّها هكذا؟! ألتُسعِّر بها النار وتُحرم من الجنان؟! أفق أيها المسكين، وتفكَّر في دار تُشدّ الأفئدة إليها، فالحياة الطيبة وصنوف الراحة أبت أن تجتمع إلا في الجنة العلية الرضية الأبدية.

- صفة الجنة وأصناف نعيمها:

قال الغزالي:

"اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى، فتأمل نعيمها وسرورها، فاستثِر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم، واستثِر الرجاء بطول الفكر في النعيم لأهل الجنان، وسُق نفسَك بسوط الخوف وقُدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم، فبذلك تنال الملك العظيم، وتسلم من العذاب الأليم، فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم، يُسقون من رحيقٍ مختوم، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل، ومحفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحِسان كأنهن الياقوت والمرجان، لم يطمثهُنَّ قبلهم إنسٌ ولا جانٌ، آمنات من الهِرَم، مقصورات في الخيام.

ثم يُطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق، وكأس من معين، بيضاء لذَّةٍ للشاربين، ويطوف عليهم خدَّام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاءً بما كانوا يعملون، في مقام أمين، في جنَّات وعيون، في جناتٍ ونهَر، في مقعد صدق عند مليكٍ مُقتدِر، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم، وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم، فهُم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم من ريبِ المنون آمنون، فيا عجبًا ممن يؤمن بدار هذه صفتها، ويوقن بأنه لا يموت أهلها، ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها، ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها، كيف يأنس بدار قد أذن الله خرابها، ويهنأ بعيشٍ دونها؟!

والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان، مع الأمن من الموت والجوع والعطش، لكانَ جديرًا بأن يهجر الدنيا بسببها، وألا يؤثر عليها ما التصرُّم والتنغص من ضرورته، كيف وأهلها ملوك آمنون، وفي أنواع السرور متمتعون، لهم فيها ما يشتهون، وهم بفناء العرش يحضرون، وإلى وجه الكريم ينظرون، وهم على الدوام بين أصناف هذه النِّعَم يترددون، وهم من زوالها آمنون»[(١)] اهـ.

- **الجنة لا مثِل لها:**

عن سهل بن سعد الساعدي يقول:

شهدتُ مع رسول الله ﷺ مجلسًا وصفَ فيه الجنة حتى انتهى ثم قال ﷺ في آخر حديثه:

---

(١) إحياء علوم الدين (٥/ ١٧٣- ١٧٤).

"فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعَت وَلا خطَر على قلبِ بشر" ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١)

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«لَقابُ قوسٍ في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»(٣).

يقول الحافظ ابن حجر:

"ومن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة.. وأن من حصل له من الجنة قدر سوطٍ يصير كأنه حصل له أمرٌ عظيم من جميع ما في الدنيا، فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات"(٤).

ويقول ابن القيم:

"وكيف يقدَّر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، ومُلكها بالمُلك

---

(١) السجدة (١٦، ١٧).

(٢) مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، رقم (٢٨٢٦)، نووي (١٧/ ١٦٧).

(٣) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم (٢٧٩٣)، الفتح (٦/ ١٦).

(٤) فتح الباري (٦/ ١٧).

الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهَّرها من كل عيبٍ وآفة ونقص"[(١)]

اهـ.

- **طعام أهل الجنة وشرابهم:**

قال تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[(٣)].

وقال تعالى:

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[(٤)].

وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[(٥)].

وقال تعالى:

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[(٧)].

وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٤٧٣).

(٢) الواقعة (٢٠، ٢١).

(٣) الزخرف (٧١).

(٤) الحاقة (٢٤).

(٥) الإنسان (٥، ٦).

(٦) الإنسان (١٧، ١٨).

(٧) المطففين (٢٧،٢٨).

«إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتحميد كما تُلهَمون النفس»(١).

وعن أنس بن مالك قال: سُئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال:

«ذاك نهرٌ أعطانيه الله، يعني في الجنة، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُر قال عمر: إن هذه لناعمة، فقال : أكَلَتُهَا أنعم منها»(٢).

وقال النووي:

"مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون ويشربون، يتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعّمًا دائمًا لا آخر له، ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يبصقون، وقد دلت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره، أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدا"(٣) اهـ.

- أدنى أهل الجنة منزلة:

عن المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

---

(١) مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وأصيلاً، رقم (٢٨٣٥)، نووي (١٧/ ١٧٣).

(٢) حسن: رواه الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير الجنة، رقم (٢٦٦٥)، تحفة الأحوذي (٧/ ٢١١)، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ١٧٣).

«إن موسى -عليه السلام- سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل قد يجيء بعد ما دخل أهل الجنة فيُقال له: ادخل الجنة، فيقول: ربِّ كيف وقد نزلت الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربِّ، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله.. فقال في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت ربِّ، قال: ربِّ فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»[1].

وهذا أدنى أهل الجنة منزلة! فوالله الذي لا إله إلا هو، لو أن أحدنا يُسحب على وجهه منذ نعومة أظفاره وإلى أن يصير شيخًا في طاعة الله، لاستقلها في هذا اليوم، كيف لا؟ وإن العبد المُعدم في الدنيا ينسى ما جالده وكابده فيها بغمسة واحدة يغمسها في الجنة، فلتكن هذه الدار في خَلَد من يريد النجاة، فوالله إنها لكافية في طرد الوساوس والأفكار والشهوات، إذا ما لاح نسيمها في القلب المشفق على نفسه من مصائبه وبلواه.

- **الحور العين:**

قال تعالى:

﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ * جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال تعالى:

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٨٩)، نووي (٣/ ٤٦).

(٢) الواقعة (٢٢- ٢٤).

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[3].

يقول ابن كثير:

"أي أن أثداءهن نواهد لم يتدلَّين لأنهن ابكار عُرب أتراب أي في سنٍّ واحدة"[4].

وقال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[5].

يقول ابن كثير:

"أي من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس، وغير ذلك مما يعتري نِساء الدنيا"[6].

وكذا سوء الخلق وفظاظة الطباع إلى غير ذلك.

---

(١) الواقعة (٣٥- ٣٨).

(٢) الرحمن (٧٢- ٧٤).

(٣) النبا (٣٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٦٥).

(٥) آل عمران (١٥).

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«.. ولو أن امرأة من نساء أهل الجنّة اطّلعَت إلى الأرض لأضاءَت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها -يعني خمارها- خير من الدنيا وما فيها» [1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دُرِّي في السماء، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يُرى مُخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب» [2].

قال ابن القيِّم:

"ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لِما في حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للعبد المؤمن في الجنَّة لَخيمة من لؤلؤة مجوَّفة طولها ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضًا» [3] [4].

وقال الحافظ ابن حجر:

"والذي يظهر أن المراد أن أقلَّ ما لكل واحد منهم زوجتان" [5].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ الحور العين لَتُغنِّينَ في الجنَّة يَقُلنَ:

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٦٨) (فتح/١٠/٥١٠).

(٢) مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم، رقم (٢٨٣٤)، نووي (١٧/ ١٧٠).

(٣) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٢٤٣)، الفتح (٦/ ٣٩١).

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٣٩٢).

(٥) فتح الباري (٦/ ٤٠٠).

نحن الحورُ الحِسان ... خَبُئنا لأزواجٍ كرام»[1]

فيا عاشقًا للغـواني مُغـرمًا بهـوى ... دار الغرور وعـيشٍ شِيب بالكـدرِ
إن الغواني الحِسان الحور مسكنُها ... دار السرور على فُرُشٍ على السُّرُرِ
في سُندس الفُرش أقمارٌ على سُررٍ ... مـن اليواقيت في قصـرٍ من الـدُّرَرِ
شاهَـد المـخّ في السـاقين ناظـرها ... من فوق سبعين ملبوسًا مـن الحِبَرِ
قد طِلنَ شوقًا إلى أزواجـهنَّ كمـا ... يَشتاقُ للغائب المحبوب في السـفر[2]

- أخي: هذا هو النعيم والسحر الحلال:

يصف ابن القيم نساء أهل الجنة فيقول:

"فهن الكواعب الأتراب الَّلاتي في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرُّمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللدقة واللطافة ما دارت عليه الخُصور، تجري الشمس في محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حِبَّها فقُل ما شئت في تقابل النيِّرين، وإذا حادثته فما ظُنُّكَ بمحادثة الحبيبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها، كما يرى في المرآة التي جلاَّها صقيلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٦٠٢).
(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (٥/ ٥٦٦).

ولو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا، ولاستنطقَت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمِضَت عن غيرها كل عين، ولَطَمَست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على وجهها بالله الحي القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها.

لا تزداد على طول الأحقاب إلا حُسنًا وجمالا، ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبَّة ووصالا، مبرأة من الحَبَل والولادة والحيض والنفاس، مُطهَّرة من المخاط والبُصاق والبول وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يَخلق ثوب جمالها، ولا يكل طيب وصالها، قد قصَرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحدٍ سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، فهو معها في غاية الأماني والأمان"[1] اهـ.

فتبًا وسحقًا لشهوة عاجلة تكون عاقبتها الحرمان من هذا النعيم، والتقلب في دركات الجحيم، والحجاب عن ربِّ العالمين!

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٤٧٦).

الفصل الثالث عشر

الخِتـان[1]

تمهيد

"لقد كثر اللغط والجدل حول مشروعية خِتان الإناث وكثرت فيه الأقوال ما بين معارضٍ ومؤيد، وبدا ذلك واضحًا أثناء فترة انعقاد مؤتمر السكّان الأخير، وازداد ذلك حدة بعد أن انفض ذلك المؤتمر بما انطوى عليه.

ولقد أثار المُعارضون للختان الكثير من الشبَه والشكوك حول مشروعيته، وبلغ ذلك مداه إلى حد التصريح بعدم مشروعيته، وأن ليس فيه سنَّة تُتَّبع، إلى القول بعدم وروده في كتب الفقه، وتجاوز بعضهم ذلك -تطاولا وتسفُّهًا- فوصفه بأنه عادة مرذولة توارثها الناس عن قدماء المصريين. وغير ذلك مما أثاروه، وأعرضنا عنه تعففًا وترفقًا.

هذا، وما أثاره هؤلاء أقل من أن يُردّ عليه أو حتى يُلتفت إليه"[2].بل إن العاقل ليتضح له من أول وهلة أن طرح هذه القضية وبهذا الحجم الكبير، أن وراءها من أهداف وغايات لا يمكن الوصول إليها إلا بتحقيق هذا المأرَب الدقيق، للوصول إلى الهدف المنشود من إغراق البلاد والعباد بالشهوات التي لا تُساق غالبًا إلا عن طريق المرأة أوّلا.

---

(١) لقد كتبتُ هذا الفصل بعد تقديم الشيخ أبي بكر الجزائري، وهذا للأمانة العلمية.

(٢) مجلة التوحيد: مقالة بعنوان الختان، أ.د علي الشريف -العدد الثامن، شعبان ١٤١٥هـ السنة الثالثة والعشرون.

وذلك لا يكون إلا بتزويد المرأة بكل ما من شأنه مساعدتها على نشر الفساد بدون تعب أو ملل.

وإن ترك الأنثى بدون ختان، يجعلها في حالة ثورة إذا ما اصطدمت بأدنى مغازلة، ولو حتى من ثيابها الضَّيِّقَة.

ومن هنا برزت أيدي الأعداء في استغلال هذا السلاح أسوأ استغلال، زعمًا منهم أن تركها بدون ختان مَكْرمة لها أي مَكْرَمَة، وحفظًا لها من العبث بذلك الجزء الذي إن اقترب منه لتهذيبه ربما أدى إلى نزيف حاد يشرف بها على الموت.. إلى غير ذلك من الأوهام والترهات التي لا تنطلي إلى على من هذا فهمه وفكره.

أما دور الدَّعارة، وكل مكان يزدحم بالنساء الكاسيات العاريات مع الرجال، وما ينتج عن ذلك من مصائب، كل ذلك هو الحرية التي يعترف بها الغرب ويتزعمها وينادي إليها، ويا للخجل أن سرَى وانتشر هذا الفكر في بلاد الإسلام!.

- مشروعية خِتان الإناث من كتاب الله تعالى:

والكلام في أمر الختان هنا، إنما هو خاص بالإناث لا الذكور، ذلك لأن هذا الأمر معلوم لدى الجميع أن الختان واجب على الذكور، وبه قال أكثر أهل العلم، ومنهم "الشعبي وربيعة، والأوزاعي، ويحي بن سعيد الأنصاري،

ومالك، والشافعي، وأحمد، وشدد في أمر الختان الإمام مالك حتى قال: "من لم يختتن لم تجز إمامته ولم تُقبل شهادته.."[١].

ولشهرة هذا الحكم أو الأمر عند الناس وتواتره زمنًا بعد آخر، ضربت صفحًا عنه، وجعلت حديثي فيما اختلفوا.

ويستدل على مشروعية الخَتان من القرآن الكريم بأدلة عامة أذكر منها ما يلي:

أولا: قوله ﷻ:

﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، ومما لا شك فيه أن بالختان يتحقق الخير للفتاة، وذلك بتقويم شهوتها، ووقايتها من الأمراض الخطرة[٣] التي حذر منها كثير من الأطباء المسلمين.

ولو لم يكن في الختان إلا ذلك لكفاه مكرمة للمرأة، كيف وهو من أهم الأسباب التي تحافظ على أغلى شيء لديها، ألا وهو عفَّتها.

ثانيا: قوله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤]، والختان مما أتانا الرسول ﷺ وجاءنا به كما سنذكر ذلك فيما بعد.

ولقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ في كثير من الآيات، وهناك في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تحث على الخير، والختان كما تقرَّر من الخير.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ١١١).

(٢) الحج (٧٧).

(٣) انظر ما يأتي بعنوان الأضرار الطبية لعدم الختان.

(٤) الحشر (٧).

والذي أعتقده وأدينُ به، أن ختان الإناث إذا ما فعله الوليّ بمواصفاته الطبية الصحيحة لَمن يرعى أمرها، قاصدًا بذلك إبعادها عن الآفات والزلأت، أنه بذلك قد عمل عملا صالحًا وقُربة تقربه إلى الله عز وجل، في هذه الأيام التي انتشر فيها الفساد، وعمَّ وطمَّ جميع البلاد، وكذا العباد، إلا من رحم الله، وقليل ما هُم!

- مشروعية ختان الإناث من حديث رسول الله ﷺ:

أولا: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**خمسٌ من الفِطرة: الخَتان، والاستحداد[1]، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقصّ الشارب**»[2].

يقول الأستاذ الدكتور علي الشريف حفظه الله:

"والمراد بالفطرة الواردة في الحديث: الدين كما أخبر بذلك في قوله:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾[3] الآية، ويجوز أن يُراد بالفطرة أيضًا: السنة بمعنى الطريقة والملَّة والشريعة، وعليه فإن الختان إنما هو من دين الله وشرعه كما هو منصوص عليه في الحديث، لأنه من الفطرة.

وكذلك هو من سنّة رسول الله ﷺ أي: من شريعته وملّته وطريقته، إذ أنه من الفطرة، ولا يُعترض على ذلك بأن الختان الوارد في الحديث للرجال فقط دون الإناث، ويردّ هذا الاعتراض بأن هذا تخصيص للحديث دون دليل،

(١) الاستحداد: حلق العانة. المغني (١/ ١١٧).

(٢) البخاري: كتاب اللباس، باب: قصّ الشارب، رقم(٥٨٨٩).

(٣) الروم (٣٠).

والعام يبقى على عمومه ما لم يرد له نص مخصص كما يقول علماء الأصول، ولا مخصص هنا لهذا الحديث، فهو باقٍ على عمومه، فيتناول الذكور والإناث"(١).

ثانيا: قال ابن قدامة في "المغني":

"قال أبو عبدالله: حديث النبي ﷺ: «إذا التقى الخَتانان وجب الغُسل»(٢) فيه بيان أن النساء كُنَّ يختتنَّ.."(٣).

ثالثًا: ما روته أم عطية أن رسول الله ﷺ أمر ختَّانة تختِن فقال: «إذا ختنتِ فلا تُنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحبُّ للبعل»(٤).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

"ومعنى هذا أن الخافضة إذا استأصلَت جلدة الخَتان ضعفت شهوة المرأة، فقلَّت حظوتها عند زوجها، كما أنها إذا تركتها كما هي لم تأخذ منها شيئًا ازدادت غُلمتُها، فإذا أخذت منها وأبقت كان في ذلك تعديلا وتقويمًا للشهوة.."(٥).

---

(١) مجلة التوحيد: السنة الثالثة والعشرون، العدد الثامن، ١٤١٥هـ.

(٢) صحيح: صححه الألباني في الصحيحة رقم (١٢٦١).

(٣) المغني (١/ ١١٦).

(٤) صحيح: أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الختان، رقم (٥٢٧١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٥٢٧١)، والصحيحة رقم (٧٢١).

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود (١١٥)، تحقيق بشير محمد عيون.

- **الأضرار الطبية لعدم الاختتان:**

قال بعض الأطباء: "إن عدم الاختتان يجعل الإفرازات والبكتيريا والفيروسات تتراكم في هذا المكان، ويسبب ذلك الالتهابات وسرطان الفرج، وتنتقل هذه الالتهابات إلى الداخل فتُحدث بذلك عقمًا أوليًا، ولذلك فإن سرطان الفرج في بلادنا أقل بكثير من البلاد الأخرى التي ليس بها خِتان، كما أن الخِتان لا يؤثر على الاستجابة بين الزوجين، وأي قول غير ذلك لا أساس له من الصحة"(1).

وتقول إحدى الطبيبات المتخصصات في أمراض النساء والتوليد:

"إن الخِتان بالشكل الذي أوصى به الرسول ﷺ يعتبر عملية تجميل تستكمل الأنوثة، كما تساعد على النظافة والصحة، وقد أظهرت الدراسات العلمية أن معدل حدوث سرطان الفرج يقل كثيرًا في مصر عنه في البلاد الأوروبية بفضل انتشار خِتان الإناث، حيث أن قطع الجزء الزائد يمنع تراكم الإفرازات الضَّارة التي يؤدي وجودها إلى نمو البكتيريا وحدوث الالتهابات المزمنة"(2).

"كما أن الخِتان من الناحية الأخلاقية تكريم للمرأة وصيانة لعِرضها وعفتها، فتركه يهيج الشهوة ويُثير الغريزة عندها، ويُكثر من ممارسة المراهقات للعادة السرية التي تشكّل خطرًا على عذريتهنّ- كما تقول الطبيبة سابقة

---

(1) مجلة لواء الإسلام، عدد (9) السنة (48) جمادى الأولى 1415هـ/ أكتوبر 1994م، ص 46، نقلاً عن مجلة التوحيد.

(2) جريدة الشعب، عدد الثلاثاء، 4 جمادى الآخرة 1415، 8/11/1994م، ص 11، في نصف الصفحة العلوي نقلاً عن مجلة التوحيد من مقال الخِتان.

الذكر- ويؤدي ذلك كله إلى إشاعة الفاحشة، وإثارة الفتن، وانتشار الرذيلة، ومن ثم يبين لذوي البصائر أن الخِتان خيرٌ تحقق به المنافع والمصالح للفرد والمجتمع رجالاً وإناثا"[1]. اهـ من كلام.د علي الشريف.

الختِان تكريِم للمرأة:

ومجمل القول: "إن الختان بالنسبة للإناث ثابت ومشروع، دلَّت عليه وأقرَّته وأكدته آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ الحِسان والصِّحاح، ودلَّت عليه أقوال الفقهاء والمحدثين من علماء الأمة ولم ينكر ذلك منهم أحد، وأن حكمه يدور بين الوجوب والندب للرجال والنساء.

والراجح من أقوال العلماء أنه واجب في حق الرجال، ومندوب في حق النساء، وأنه لهن مكرمة وحظوة عند أنفسهن وعند أزواجهن، وثَبتت هذه المشروعية وتقررت منذ أن شرعها الله ورسوله وإلى أن تقوم الساعة، وتلقتها الأمة بالقبول والتسليم والرِّضا، ثم العمل بذلك والالتزام به عبر العصور والأجيال، ينقلها العدول من العلماء خلفًا عن سلَف، وسَتظل كذلك إلى ما شاء الله تعالى، ينافح ويذب عنها العدول من أهل العلم في كل عصر ومصر.

ولا يصحّ لأحدٍ كائنًا مَن كان أن ينكر أو يمنع أو يحدّ من هذه السنة الثابتة المشروعة بأي وسيلة، فأحكام الله تعالى لا تخضع لأهواء الناس، وإنما نحن البشر الذين يجب علينا الخضوع لأحكام الله.

وليس هناك أدنى مبرر لإثارة هذه الصيحات التي تطاير وتناثر شررها تريد النَّيل من الإسلام وأحكامه الشرعية، وليس هناك من غاية تُبتَغي من وراء ترك

(٣) مجلة التوحيد.

الخِتان سوى محاربة الخُلق والفضيلة، وإشاعة الانحلال والرذيلة والفحشاء والمنكر، بالدعوة إلى ترك أحكام الشريعة السامية.."[1]

كيفية الختان:

سبق معنا كلام ابن القيم -رحمه الله- في توضيحه لحديث أمّ عطية عنها- ووصية الرسول ﷺ للخاتنة، أن لا تستأصل جلدة الخِتان ولا تتركها كما هي، بل تأخذ منها وتُبقي، وفي ذلك وردت آثار وأقوال للفقهاء كثيرة ذكرها ابن القيم في أحكامه.

وإذا ما ذكرنا الأحاديث التي تدعو إلى الرفق حتى بالحيوان، وإلى التوسط في كل شيء دعانا إليه الإسلام، وإلى أخذ الحيطة والحذَر في إجراء هذه العملية على أيدي أهل الاختصاص، وإلى غير ذلك مما يساند هذه القضية، لسدَدنا بذلك جميع الأبواب في وجه هؤلاء المُغرضينَ الذين يريدونها حربًا مستعرة تأتي على ما بقي من خير في الشعوب الإسلامية التي يكفيها ما فيها من وسائل الفساد الظاهرة والباطنة.

وإذا ما نظرنا إلى البلاد الإسلامية التي تُحيي هذه السنة على مرّ الأزمان لوجدنا أن هذه السنة كانت تسير فيما بينهم بشكل طبيعي جدًا حتى لا تكاد تجد من يعترض على ذلك. وذلك لسهولة إجراء هذا الخِتان ويسره، وانعدام الحالات التي تهدد حياة من يُجرى لها الخَتان، اللهم إلا إذا تمت على أيدٍ غير متخصصة مثلها مثل أي عملية أخرى.

---

(١) المرجع السابق.

فليتجه الغرب إلى بلاده، وليُصلح ما فيه من فجور وخمور وإفساد وإرجاف وأمراض استحال علاجها، إلى غير ذلك من الأوبئة المزمنة التي أصبحت شبحًا يطاردهم ليل نهار، بسبب انتشار الفوضى الجنسية، والتي أصبح عدم الخِتان يؤزها على التمادي في غيِّها أكثر وأكثر.

وإليك بعض الشروط التي ينبغي أن لا يستغني عنها الخاتن أو الخافضة حتى تتم هذه العملية بنجاح:

١) أن يبدأ الخاتن أو الخافضة بالبسملة وحمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

٢) أن يقوم بإجراء هذه العملية طبيب أو طبيبة يشترط في كل منهما:

- الإسلام وظاهرية الصلاح، ولا يكفي الإسلام وحده، بل لا بد أن يكون الطبيب متدينًا.
- أن يكونا متخصصين في الجراحة الطبية وأصولها المبنية على العلم.
- أن يكونا فاهمين لتعاليم رسول الله ﷺ في هذا الشأن.
- أن يستخدما أحسن الوسائل الطبية في ذلك لتخفيف الألم.

٣) أن تتم عملية خِفاض البنت في سرية تامة، ولا يحضرها إلا وليّ البنت - أو من يقوم مقامه- أو من هو أكثر شفقة عليها، لأن حال النساء مبني على الستر في التشريع الإسلامي.

٤) ألا يقل سن البنت عن سبع سنوات إذا كانت بصحة جيدة، وإلا فعشر حتى تستطيع أن تتحمل إجراء هذه العملية بخلاف الذكر فإنه يجوز يوم السابع من ولادته.

٥) ينبغي أن تتم عملية خِفاض البنات بالذات نهارًا بحيث يستطيع الطبيب إجراءها بطريقة صحيحة على ضوء النهار"(١).

وبذلك فلا يكون هناك أدنى ثغرة لأي متغرِّب أو متفلسف يدخل منها ليشوش على المسلمين مبادئهم وأفكارهم، التي يسعى وراءها كل حاقد وحاسد لمحوها من الوجود.

(١) خِتان الذَّكر وخِفاض الأنثى من منظور إسلامي (٨٦)، د. عبدالسلام السكَّري.

الخـاتمـة

وبعـد:

فهذا جهد المقلّ، ما أراني أقدمت عليه إلا ابتغاء مرضاة الله، فإن أكُ أصبت فذاك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولله الحمد والمنّة، وإن تكن الأخرى فمني، واستغفر الله من كل ذنب وأتوب إليه، وأسأله أن يقبل معذرتي، وحسبي أني ما ابتغيت إلا وجهه، ونُصحي إخواني المسلمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

قائمة المراجع

أولا: كُتب التفسير

١) أضواء البيان، الشنقيطي، خرَّج أحاديثه: محمد عبدالعزيز الخالدي، العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، ط٧، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، عبدالرحمن السعدي مجلَّد ضخم مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، خرَّج أحاديثه، د.محمود حامد عثمان، راجعه د.محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦) الكشَّاف، الزمخشري، دار الفكر، بيروت.

٧) مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دارالقلم، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

ثانياً: كتب الحديث

٨) آداب الزفاف، الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٩) الأذكار للنووي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دار الهدى، الرياض، ط٦، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٠) إرواء الغليل، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١١) تحريم آلات الطرب، الألباني، مكتبة الدليل، الجبيل الصناعية بالسعودية، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

١٢) تخريج أحاديث مشكلة الفقر، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٨٤م.

١٣) ترتيب أحاديث صحيح الجامع وزيادته على الأبواب الفقهية، رتبه: عوني نعيم الشريف، وشرَح غريب ألفاظه: علي حسن عبد الحميد، مكتبة المعارف، الرياض: ط١، ١٤٠٦هـ.

١٤) جامع العلوم والحِكَم لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شُعيب الأرناؤوط، إبراهيم باحس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٤٩. -١٩٩٤م.

١٥) جلباب المرأة المسلمة، الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ط٢، ١٤١٣هـ .

١٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٧) سُنن ابن ماجة ومعها حاشية السندي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٨) سُنن أبي داود ومعها عون المعبود لشمس الحق العظيم أبادى، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩) سُنن الترمذي ومعها تحفة الأحوذي للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٢٠) سُنن الدارقطني، علّق عليه وخرّج أحاديثه: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢١) سُنن الدارمي، علّق عليه: مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٢) السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٣) سُنن النسائي ومعها حاشية السِّندي، اعتنى بها: عبد الفتاح أبو غُدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٤، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٥) صحيح الأدب المفرد، الألباني، مكتبة الدليل، الجبيل الصناعية بالسعودية، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٦) صحيح البخاري ومعه فتح الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٢٧) صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م.

٢٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٩) صحيح سُنن ابن ماجة، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

٣٠) صحيح سُنن النسائي، مكتب التربية العربي بدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٣١) صحيح مسلم ومعه شرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢) الصحيح المسند من فضائل الأعمال لأبي عبدالله علي بن محمد المغربي، راجَعَه: مصطفى العدوي، دار ابن عفان، الخُبَر، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٣) ضعيف سُنن أبي داود، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٣٤) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٥) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، وشارَك في تحقيقه، د. عبد الفتاح ابو سنة، دارا لكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٦) كتاب السنة للضحاك، ومعه ظلال الجنّة في تخريج السُّنة من ١-٢ للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٧) المسند للإمام أحمد، تحقيق: احمد شاكر، وحمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣٨) مشكاة المصابيح للتبريزي، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٩) الموطأ للإمام مالك بن انس، صحّحه ورقّمه: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثالثًا: كُتب الفقه

٤٠) إغاثة اللهفان لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤١) الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء، لأبي الفضل عبد الله بن الصديق الحسني الإدريسي، مكتبة طبرية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٤٢) التدابير الواقية من الزِّنا، فضل الهَين إدارة تُرجُمان الإسلام، باكستان، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٣) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ.

٤٤) الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٥، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٤٥) زاد المعاد لابن القيم: تحقيق: شُعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٤هت- ١٩٩٤م.

٤٦) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن عثيمين، مؤسسة آسام، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٧) المحلَى لابن حزم، تحقيق د.عبد القادر سليمان البنداري، دار الفكر، بيروت.

٤٨) المغني لابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبدالله عبد المحسن التركي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢ن ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٤٩) عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، الرياض، ط٩، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥٠) فقه السنّة، سيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي- القاهرة، ط١٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥١) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن صالح باحارث، دار المجتمع، جدة، ط٥، ١٤١٧هـ- ٢٩٩٦م.

٥٢) نيل الأوطار للشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

رابعًا: الرَّقائق

٥٣) إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٥٤) الأخوَّة: جاسم محمد مهلهل الياسين، دار الدعوة، الكويت، ط٤، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٥٥) أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار الفكر، بيروت.

٥٦) الإعلام بأن العزف والغناء حرام، أبو بكر الجزائري، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٥٧) الأعمال بالخواتيم، سعد بن سعيد الحجري، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٥٨) إلى كل أب غيور يؤمن بالله، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط٧، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٥٩) البحر الرائق في الزهد والرقائق، د. أحمد فريد، مكتبة الصحابة، جدة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٦٠) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي، خرَّج أحاديثه: أبو سفيان محمود منصور البسطويس، دار البخاري، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٦١) جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، ط٣، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٦٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: محمد إبراهيم الزغلي، دار رمادي، الدمام، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٣) الدَّاء والدواء، ابن القيِّم، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦٤) ذمّ الهوى، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان البستي، هذبه وحققه: إبراهيم عبدالله الحازمي، دار الشريف، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ.

٦٦) روضة المحبين ونُزهة المشتاقين، خرَّج أحاديثه: عبد الرزّاق المهدي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٦٧) الزهد، الحسن البصري، دار الحديث، القاهرة.

٦٨) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة، ط١،١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٩) صلاح الأمة في علوّ الهمّة، د. سيد حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٧٠) صيد الخاطر، ابن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٠هـ-١٩٩٣م.

٧١) عقبات في طريق الزواج، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٧٢) الفوائد، ابن القيّم، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٧٣) قضايا وأحكام، عبّود علي درع، دار هجر، أبها، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧٤) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

٧٥) المدهش، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٦) معاملة الإنسان لنفسه، عبدالرحيم الطحان، شريط.

٧٧) منهاج تزكية النفس في الإسلام، د.عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٧٨) موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز الحمد السلمان، ٢٦، ١٤١٦هـ.

٧٩) وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبدالسلام بالي، مكتبة الصحابة، جدة، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٨٠) ولا تقربوا الزّنا، محمد عبدالعزيز الهلاوي، مكتبة القرآن، القاهرة.

٨١) اليوم الآخر الجنة والنار، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٦، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

خامساً: الفكر

٨٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، المستشار علي جريشة، دار الوفاء، المنصورة بمصر، ط٣، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٨٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٨٤) أرقام مخيفة، دار الوطن، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٨٥) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، دار الرسالة، مكة، ط٩، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٨٦) التغريب والمأزق الحضاري، د. سليمان الخطيب، دار هجر، أبها، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٨٧) الحجاب، أبو علي المودودي، الدار السعودية، جدة، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٨٨) الحداثة في ميزان الإسلام، د. عوض محمد القرني، دار هجر، أبها، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٨٩) حقيقة اليهود، فؤاد سيد عبدالرحمن الرفاعي.

٩٠) الخطر اليهودي «بروتوكولات حُكَماء صهيون»، محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٧، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٩١) الديمقراطية في الميزان، د. سعيد عبدالعظيم، دار الفرقان، الإسكندرية.

٩٢) الصحافة وأقلام مسمومة، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٩٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٩٤) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٦، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٩٥) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د. عبدالرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٩٦) معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، ط١٢، دار الشروق، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٩٧) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٩٨) واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة، جدة، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

سادساً: متفرِّقات

٩٩) ديوان ابي العتاهية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٠) ديوان الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٠١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٠٢) مجلّة المجتمع، الأعداد (١٢٧٨، ١٢٨٤، ١٢٨٦).

١٠٣) مختارات شعرية، بدر عبدالله الناصر، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٠٤) الموضوعة مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة، دار الجيل، بيروت.

المحتويات

الموضوع | الصفحة


بحمد الله تم

من إصدارات بيت الأفكار الدولية

International IDeas Home

Jordan
P.O.Box 927435 Amman 11190 Jordan
Tel +962 6 566 0201 Fax +962 6 566 0209

K.S.A
P.O.Box 220705 Riyadh 11311 K.S.A
Tel +966 1 404 2555 Fax +966 1 403 4238

www
www.afkar.ws
e-mail:ideashome@afkar.ws

Al-Mutaman Distribution Est.

K.S.A
P.O.Box 69786 Riyadh 11557 K.S.A
Tel +966 1 243 5423 Fax +966 1 243 5421

Makkah 02 5742532
Jeddah 02 6873547
Madina 04 8344355
Dammam 03 8264282
Qusaim 06 3260350
Abha 07 2296615

U.A.E
P.O.Box 32920 Sharja - U.A.E
Tel +971 6 743 6936 Fax +971 6 743 6937

